التفسير

المبسوط

للفاضل المحقق على المشكينى

الاردبيلى

المجلد الرابع

Princeton University Library
32101 057499277

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

Mishkīnī

التفسير

المبسوط

للفاضل المحقق على المشكينى الاردبيلى

المجلد الرابع

٣ شهر رمضان

١٣٩٩

١٣٥٨/٥/٦

حقوق الطبع
محفوظة

المطبعة العلمية ـ قم

(Arab.)
RECAP
BP130
.4
.M57
mujallad 4

بسم الله الرحمن الرحيم

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR>
32101 019697334

قال تعالى : **قل ان تخفوا ما فی صدورکم او تبدوه یعلمه الله ویعلم ما فی السموات ومافی الارض والله علی کل شیء قدیر** (آل عمران – ٢٩)

التفسير

الصدر والنفس والقلب والروح والعقل ، تستعمل كثيرا فيما هو حقيقة الانسان وبه انسانيته ، وفيه علومه وادراكاته وعليه تعرض صفاته و ملكاته ، اعنى ما يقابل جسده ، وما هو الباقي بعد فناء بدنه في البرزخ وماهو المزدوج مع جسده المتجدد خلقه في القيامة ، وهو الذي يشير اليه بقوله : انا ونحن

قوله : **ما في صدوركم** ، الموصول يراد بـه هنا امور ثلاثه : التصورات الحاصلة للنفس ، والتصديقات والعقائد ، والصفات والملكات ، ولكل منها حق وباطل ، وصحيح وفاسد .

والاول حصوله غير اختياری فی الغالب ، وهو دائم التردد والانقلاب، فيوجد وينعدم ويجيء ويرتحل وهذا امره في جميع الاحوال.

والثاني : أثبت وأدوم من الاول ، فيحصل غالبا بعد التأنى والتامل ، و قد يبقى الى الابد .

والثالث : من الالوان الثابتة للنفس ، وتحصله للنفس قديكون قهرياً وطبيعياً فطرياً ، وقديكون بالتعمد والتمرن ، وعلى اى تقدير يحتاج تحصيله الى مضى مدة من الزمان كما يحتاج زواله الى مضى مدة .

(2269) 1-1697-28

قوله: **اوتبدوه**،اظهارمافی الصدوروابدائه‌یکون تارة باللفظ والبیان.واخری بالقلم والبنان ، وثالثة بالعمل‌والارکان .

قوله : **یعلمه الله** استعمال کلمة المضارع هنا لایدل علی کون علمه تعالی حاصلافی‌زمان دون‌زمان ، بل‌الافعال الدالةعلی‌الزمان ،المستعملةفی بیان‌اوصاف‌الله تعالی علی قسمین منها ما یکون منسلخا عن الزمان ، ومنها مایکون دالاعلیه ، والضابط فی‌ذلک ان‌کلما استعمل منها فی‌صفات ذاته، فهوالمنسلخ عن‌الزمان وما استعمل‌فی صفات الفعل فلا ، والاول کالعلم والحیاة والقدرة ونحوها،والثانی کالاحیاء والاماتة والرزق وغیرها فقولک علم الله اویعلم اوقدر او یقدر، معناه انه عالم وقادر بلا قید زمان ، وقولک یحیی ویمیت ویرزق ویخلق او احیی وامات ، ورزق، تدل علی الحصول فی المستقبل اوالماضی .

والقانون الکلی فی تشخیص صفات الذات عن‌صفات الفعل‌هو ان‌کلمایقع تحت الارادة بحیث یصلح تعلق الارادة به فهوصفة الفعل، کالخلق والرزق، وما لایقع تحتها فهو صفة الذات، کالحیاة والعلم .

۵- وقوله : **ویعلم مافی‌السموات** ، بیان سعة علمه تعالی وعدم اختصاصه بما فی‌الصدور ، والموصول فی (ما فی‌السموات)یشمل‌الاجناس العامة،کالجواهر والجمادات والنباتات والحیوانات ، ویشمل‌الانواع الواقعة تحت‌جمیع‌الاجناس والاصناف الموجودة تحت‌الانواع، والافراد الشخصیة کلهاواجزائها حتی‌الذرات الاتمیة وابعاض الذرات .

قال تعالی : ومایعزب عن ربک من مثقال ذرة فی الارض ولا فی‌السماء

(یونس ـ ۶۱)

لا یعزب عنه‌مثقال ذرة فی السموات ولافی‌الارض ولااصغر من‌ذلک‌ولااکبر الا فی کتاب مبین

(سبا ـ ۳)

۶ ـ ثم ان المقصود من ذکر علمه تعالی بکل شیء ، وتعقیب ذلک بذکر

القدرة ، بيان انه سيجازي المحسن والمسيء بالنسبة الى مافى الصدور فالاية فى مقام الوعد والوعيد بالمجازاة او بالمحاسبة ، فتوافق قوله تعالى : لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى انفسكم اوتخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير (البقرة ـ ۲۸۴)

وح فيشكل الامر بانه كيف يعذب الله عباده على الخواطر ، مع انها غير اختيارية ، ومثله التعذيب على الأوصاف والملكات النفسانية .

والاولى ان نقول فى المقام: انالاية المبحوث عنها باق على عمومها بالنسبة الى الخواطر والعقائد والملكات ، فعلمه تعالى شامل للجميع ، واما كونها فى مقام بيان الجزاء ، فلاينافى ماذكرنا، فليكن المقصود ان الله عالم بالجميع ، ويجازى على مافى الصدور فى الجملة لاعلى كله، فتحتاج فى تعيين مايجازى منها الى دليل آخر ، وهو الاية الاخرى (۲۸۴ من البقرة) :

وان تبدوا مافى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ا ه وحيث قد علمنا من دليل خارج ، عدم ترتب العقاب على الخواطر مطلقا فهى خارجة عن مساق هذه الاية (۱) فيخصص بالعقائد والاخلاق ، وحيث ان المترتب على ذلك المحاسبة

(۱) لكن لايبعد القول بترتب الثواب والعقاب على النية اى القصد والارادة ، من بين الخواطر، اذ قد يظهر من عدة اخبار ومن بعض الايات ايضا ذلك ،كما نقل بعضها العلامة الانصارى فى رسائله كقوله : نية المؤمن خير من علمه ، ونية الكافر شرمن علمه .

وقوله : انما يحشر الناس على نياتهم .

وما ورد من تعليل خلود اهل النار واهل الجنة بعزم كل من الطائفتين على الثبات على ماكان عليه من المعصية والطاعة لو خلدوا فى الدنيا .

وما ورد من انه اذا التقا المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول كلاهما فى النار ، فقيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول . قال : (ص) لانه اراد قتل صاحبه .

وما ورد فى العقاب على بعض مقدمات الحرام ، كغارس الخمر والماشى لسعاية المؤمن.

وما ورد من ان الراضى بفعل قوم كالداخل معهم ، وعلى الداخل اثمان اثم الرضا*

المترتب عليها استحقاق العقاب ، سواء شمله الغفران املا ، فينحصر الموصول فى العقائد الباطلة والاخلاق الرذيلة ، فيتحصل من هذا البيان ان كل عقيدة باطلة ورذيلة خلقية ، مورد للمحاسبة ومقتض للعذاب ، ولعله يؤيده قوله تعالى .

«لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم» (البقرة–٢٢٥) .

وقوله تعالى : «ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا» . (٣٦–الاسراء)

وقوله تعالى: «ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والاخرة» (النور١٦) .

فهذه الايات تدل على محاسبة الانسان بما فى قلبه، وان كان مورد بعضها خاصاً من حيث السياق .

ثم ان قوله تعالى : فيغفر لمن يشاء ويعذب الخ ، يدل على ان الانحراف فى العقائد والاخلاق قد يقع مورداً للغفران يوم القيامة .

فنقول : اما الاخلاق الرذيلة فلعل المغفور منها ما لم يكن مؤثرا فى العمل ولم يكن مصدراً لقبائح الاعمال وفواحشها ، بان كان مقهوراً تحت سلطان العقل، وممنوعا من قبله، وح فغير المغفور ما كان منشألحصول المعاصى،ومؤثرا فى القبائح والرذائل .

او يقال : ان الصفات الرذيلة اذا كانت مودوعة فى النفس وحاصلة قهرا

---

*واثم الدخول .

وقوله تعالى : فلم قتلتموه ان كنتم صادقين، وانما النسبة لرضاهم بفعل من سبق منهم وقتلوا نبيهم .

وقوله تعالى : تلك الدار الاخره نجعلها للذين لايريدون علواً فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين .

بلااختیارمن‌الانسان، فهی مغفورة وماكانت حاصلة بالتحصيل فهی‌سبب للعقاب هذا فی‌الصفات .

واما العقائد الباطلة ، فیمکن‌ان یکون‌المغفورمنهامن فروع العقائدالاصولية لامن اركانها .كما اذا اعتقد ان المعراج لم يقع من مكةالاالى المسجد الاقصى، اوان بعض الانبياء غيرمعصوم من المعصية الصغيرة .

او نقول : ان المغفور ماكان انحرافه عن قصور ، وغير المغفور ماكان عن تقصير ، فالعقائد الباطلة حتى الاشراك بالله تعالى فضلا عـن سائر ما يعتقده بعض الجهال ، اذا كانت عن جهل قصورى كاهل بعض الممالك غير الاسلامية الذين نشائوا على الكفر والعقائد الخرافية ، ولم‌يقرع سمعهم ما ينبههم ويوقظهم فهى غيرمأخوذ بها ، ولايترتب عقاب عليها فی‌الاخرةواطلاق بعض الآی المزبورةمقيد بما ثبت من الادلة على عدم عقابهم قال تعالى:

وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا . «اسراء ـ ۱۵»

قال تعالى: **يوم تجدكل نفس ما عملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء تود لوان‌بينها وبينه امداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد .** (آل‌عمران‌ـ ۳۰)

التفسير

الظرف متعلق باذكر المقدر كما فى نظائر الموارد من الذكرالحكيم ، وقد يقال بتعلقه بيعلمه الله . اوويعلم ما فى السموات ، ويمكن تعلقه بقوله (قدير) فی آخر الاية السابقة .

فان قلت : ان تعلقه بالعلم او القدرة ، يوهم ان علمه تعالی‌اوقدرته ثابت فی‌ذلك اليوم لامطلقا ، والحال ان الامر ليس كذلك

قلت : لا اشكال فى ان اوصاف الله تعالى الذاتية لاتتغير ولاتتبدل ولا فرق

فی ذلك بين الدنيا والاخرة ، الا ان ظهور بعض الاوصاف اوجميعها وتجليه‌تعالى بذاك الوصف الجلالى اوالجمالى لعباده ، لايكون الافى الاخرة وفى البرزخ و القيامة وما بعدها قال تعالى :

يوم هم بارزون لايخفى على‌الله منهم شیء لمن الملك اليوم‌لله‌الواحدالقهار (۱۶ ـ المؤمن)

والامريومئذلله (الانفطار۱۹)

فالمعنى على‌هذا ان‌علمه تعالى بما فى‌الصدور، اوبما فى السموات‌والارض يظهروينكشف كمال الانكشاف يوم القيامة ، اوان قدرته تعالى‌على كل‌شیء لاتظهر كما هوحقها الافى ذلك اليوم .

قوله : **تجدكل‌نفس** ، المراد بالنفس هنا اما خصوص النفس الانسانية ، اوالاعم منها ومن الجن ، لانهم ايضا نفوس‌مكلفون‌مثلنا بتكاليف الدين ،صائرون معنا من حال الى حال ومن عالم الدنيا الى‌القيامة ، مثابون معنا على الحسنات و معاقبون على السيئات .

قال تعالى : قل اوحى الى انه استمع نفرمن الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى‌الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احداً (الجن۲ـ)

وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا (الجن۱۱ـ)

سنفرغ لكم ايها الثقلان ، يامعشرالجن والانس . يرسل عليكما شواظ من نارونحاس فلاتنتصران ، فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولاجان ، ولمن خاف مقام ربه جنتان .

ويمكن ارادة الاعم منهما ومن الشياطين والملائكة وان لم‌يصدر من الاول منهم خيرومن الثانى شربل هم يحضرون ليروا اعمالهم ، وحضورالملائكة هنالك لتدبيرالامور، كما انهم هم المدبرون امرا فى الدنيا .

قال تعالى : فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (مريم۶۸ـ)

۱ ـ وقال تعالی: والملائکة یدخلون علیهم من کل باب (الرعد ۲۳ـ)
۲ ـ وجاء ربك والملك صفا صفا (فجر آیه۲۳) .
۳ ـ وتتلقاهم الملائکة هذا یومکم الذی کنتم توعدون(۱۰۳ـ الانبیاء)
۴ـ «ویوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائکة تنزیلا»(۲۹ـالفرقان)
۵ـ «ثم یقول للملائکة اهؤلاء ایاکم کانوا تعبدون» (۴۰ـ سباء)
۶ـ «علیهاملائکةغلاظ شداد لایعصون‌الله .»(۶ـ التحریم)
۷ـ«وما جعلنا اصحاب النارالاملائکة» (۳۱ـالمدثر)
۸ـ «یوم‌یقوم الروح والملائکة صفا لایتکلمون»(۳۸ـالنبأ)

ویمکن ارادة الاعم مما سبق ومن الدواب والحیوانات قال تعالی: ومامن دابة فی‌الارض ولاطائریطیر بجناحیه الاامم امثالکم مافرطنا فی‌الکتاب من‌شیء ثم الی‌ربهم یحشرون (۳۶ ـ الانعام)

واذا الوحوش حشرت (۵ ـ التکویر)

قوله تعالی : **ما عملت من خیرمحضراً** : الموصول‌یشمل النیات الحسنة والعقائد الحقة ، والصفات الفاضلة والاعمال الصالحة ، و احضارها اما بوجودها الکتبی ، وذلك فی ضمن کتابین: کتاب خاص لکل احد یؤتی بیمینه اوشماله

قال تعالی : وکل انسان الزمناه طائره فی عنقه ونخرج له یوم القیامة کتابا یلقاه منشوراً ، اقرأ کتابك (الاسراء ـ۱۳)

وقوله‌تعالی : فاما من اوتی کتابه‌بیمینه فیقول‌هاأوم‌اقرؤا کتابیه (۱۹ـالحاقة)

واما من اوتی کتابه بشماله فیقول یالیتنی لم‌اوت کتابیه (۲۵ـ الحاقة)

وکتاب عام لجمیع الناس قال تعالی :

واشرقت الارض بنورربها ووضع الکتاب وجیء بالنبیین والشهداء وقضی بینهم بالحق (۶۹ـ الزمر) .

ووضع الکتاب فتری المجرمین مشفقین مما فیه ویقولون یا ویلتنا ما لهذا الکتاب لایغادرصغیرة ولاکبیرة الااحصاهاووجدوا ماعملوا حاضراً (۴۹ـالکهف)

واما باحضارجزائها عنده من النعيم المبذول للمكلفين يوم‌القيامة ومابعدها في الجنة والعذاب المعدلهم فالكلام بتقدير مضاف ، اى وجدوا جزاء ما عملوه محضراً .

واما باحضارنفس الاعمال ، الاعم من القلبية والبدنية وهذا مبنى‌على‌تجسم الاعمال فى‌عالم الاخرة ، ان خيراً فخيراً وان شراً فشراً

واما باحضارها بصورها المنقوشة ونحوها

وقوله : **تود لوان بينها وبينه امدا بعيدا** جملة «تود» اماا‌ستينافية ابتدائية او هى جواب لقوله تعالى وما عملت من خير، بجعل الموصول شرطية ، و على اى تقدير فالامد كلمة تدل على‌الزمان الطويل الممتد كالابد ، الاان الابد مالانهاية له والامدمانهايته مجهولة

وهؤلاء المجرمون ، اماهم الذين الهى عنهم فى البرزخ فلم يعلموا مدة مكثهم فيه، وحيث رأوا فى القيامة جزاء عملهم تمنوا طول عالم البرزخ وبقائهم فى مرقدهم ، فانهم فى‌اعتقادهم كان لم‌يلبثوا الاعشية اوضحاها . او جميع الكفار حتى‌الذين‌كانوا محضوا الكفرمحضا فعذبوا فى‌البرزخ الى‌القيامة ،ثم تمنوا طول البرزخ لشدة ما رأوامن عذاب ما بعد البرزخ

قوله « **ويحذركم الله نفسه** »

اى من‌انقطاع نعمه المادية والمعنوية فى الدنيا ، ونعمه فى الاخرة وشمول عذابه فيهماوبعبارة اخرى يحذرالله عباده عن عدله، فان‌الله تعالى هوالذى لايخاف الاعدله ، ولايرجى الا فضله ، او المراد التحذير عن جميع ذلك .

وقوله : «**والله رؤف بالعباد**»

رأفة الله تعالى‌ورحمته من صفات فعله بمعنى ترتيب آثار الرحمة والرأفة ، وليست مثل مايحصل لنا من حالة خاصة فى‌القلب توجب الانعطاف الى‌المرئوف المرحوم والحنان ، والبذل له والاحسان ، فان هذه الصفات لاتعرض على الرب تعالى .

ثم ان اخباره تعالى برأفته للعباد بعد ذكرانهم يرون في القيامة اعمالهم، ويود المجرم بعده عن عمله ، بمنزلة مايقوله الموالى للعبيد او الآباء للابناء ، ان فعلت كذا عذبتك بكذ؛ اقول هذا رأفة بك فالمراد تحذيرهم ايضاًكقوله ويحذركم الله نفسه .

ثم ان تمنى المجرم بعده عن عمله فى المقام كتمنيه بعده عن قرينه فى قوله تعالى :

ومن يعش عن ذكرالرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين، وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون (٣٧) حتى اذا جائنا قال ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين (٣٨ الزخرف) والعشوة : التعامى وان لم يكن ببصره آفة ، وقيل العشوة آفة العين .

قال تعالى : **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفرلكم ذنوبكم والله غفور رحيم** (٣١ آلعمران) .

التفسير

ظاهرالاية الشريفة يعطى ان لازم تحقق حب العبد لربه اتباعه النبى الاعظم، ولازم ذلك الاتباع حب الله تعالى لعبده وغفرانه ذنوبه .

لكن حب العبدلله لايحصل الا بعد ان يفيض الله اليه نعمة الوجود ، ونعمة العقل، وارسال الرسل، وانزال الكتب واعطاءالمعجزات، وتوفيق التعقل والتفكر فيها ، حتى يعرف ربه اولا فيحبه ثانياً وهذه الامور لاتصدر من الله تعالى الا بعد حبه لعبده ، بل هى عين حبه ، فانه من صفات الفعل لامن صفات الذات كما فى الحب الحاصل فينا كما عرفته فى صفة الرأفة والرحمة فهنا حب متحقق من الله مقدم على حب العبد ، وعلة لحدوثه .

واما اتباع النبى (ص) ، فالمراد اتباعه فى جميع ماجاء به من كتاب ودين، فالاتباع يحصل بالقلب والاركان بان يصدق مايجب التصديق به ويعمل بمـا يلزم

العمل به وهذا فى الحقيقة اتباع لله ، فانه ليس للنبى (ص) الا البلاغ وهو ماينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى ، فسوق البيان بهذا التعبير دون (فاتبعوا الله) تعظيم للرسول (ص) واشارة الى اناتباعه اتباع‌الله. وانه من قبل‌الله ، وان وساطته بين الله وخلقه لازم الاذعان .

واما حب الله لعبده فحيث انه عبارة عن ترتيب‌آثاره كما عرفت، فالمرادهنا ليس بذل نعمة العقل وارسال الرسل والكتب والمعجزة وغيرها مما ذكرنا ، فان ذلك كان قبل تحقق حب العبد، بل المراد به ح توفيق الله لعبده فى تكميل نفسه، وصعوده مدارج الكمال فى‌مراحل عقائده، واوصافه النفسية واعماله‌البدنية وعلومه وادراكاته ، ثم اعطائه الجزاء الجميل والثواب الجزيل فى دنياه وآخرته .

فتحصل ان‌حب العبدلربه يقع بين حبين من الله، حب فى‌مرتبة العلة لحب العبد ، وحب فى مرتبة المعلول له ، والحب الاول عام لجميع العباد من الانس والجن والمؤمن والكافر، والثانى خاص لمن اتبع وآمن وعمل صالحاً، فاذااحب الله عبدا عرفه نفسه ، واذا قبل العبد ولبى دعوة ربـه واتبعه احبه بالتوفيق واعطاء الثواب، وهذاكما يحصل للفرد يحصل للجامعة البشرية، ان اتبعوا وعملوا صالحاً.

ونظير هذا، التوبة الحاصلة للعبد من الذنوب وتوبةالله تعالى عليه والقبول منه ، فان توبة العبد ايضا تقع بين توبتين من الله تعالى، فيعطف الله على العاصى عطفا ويوفقه للتنبه والتفكرتوفيقاً، فيندم ويتوب، ثم يقبل‌الله رجوعه وتوبته، ويعود اليه بالاحسان والانعام قال تعالى :

ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم (١١٨ ـ التوبة) .

فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه (٣٩ ـ المائده) .

والايتان‌بعد الانضمام ظاهرتاالدلالة على‌ان توبة العبد تقع بين توبتى‌الرب.

وقوله **يغفر لكم** قد يتحقق اتباع النبى والعمل بما اتاه ممن كان كافراً او فاسقا خارجا عن الاتباع والطاعة ، فترتب حب الله وغفران الذنوب عليه (ح)

واضح ، واما لو فرضنا ان احداً وفقه‌الله من اول تكليفه لاتباع نبيه والطاعة‌له فيما امره ونهاه فامن واتقى ، فلامحالـة يتحقق حب الله فى حقه على طبق وعده ، واما غفران الذنوب فعلى الفرض لاذنب‌له حتى‌يقع مورداً للمغفرة، مع‌ان الاية‌الشريفة تشمله ايضاً قطعا .

فيمكن ان يقال ان المعنى يغفر ذنوبه لوكان له ذنوب، او يقال ان فى‌الاية اشعاراً بانه‌لايكون احد خالياً عن الذنب كائناً من كان غيرالمعصوم الذى قد عصمه الله تعالى بامداد غيبى ، وروح من عنده وعناية خاصة منه تعالى .

اويقال ان الاية تشعر بان جميع الناس مذنبون مفتقرون الى‌غفران‌الله‌تعالى حتى الانبياء والاولياء، الا ان الذنب‌له مراتب ودرجات فان‌الذنب يقع تارة‌بمعنى مخالفة الاوامر والنواهى الالزامية، واخرى بالمعنى الاعم منه ومن مخالفة الاوامر الندبية والنواهى الكراهية ، وثالثة بالمعنى الاعم ـ منها ومن ترك مـاهـو اولى ، كاختيار المندوب المفضول عند التعارض مع الافضل ونحو ذلك ، ولااشكال فى عدم وقوع الذنب بالمعنى الاول من المعصوم ، وكذا الثـانى على مايترائى من ظواهر كلمات اصحابنا ، واما الثالث فـالظـاهر جواز صدوره منه ، وعليه يحمل ماصدر من‌الانبياء (ع) فى‌بعض الاحيان ـ من‌اطلاق الظلم‌بالنفس اوكلمة‌العصيان او وقوعهم مورد اللوم والذم فى الكتاب الكريم ، وكذا مااسندوه الى انفسهم‌من الذنوب والمعاصى وما استغفروا منه وبكوا عليه، فان الذنب امر اضافى نسبى‌فكم من عمل لايعد ذنبا اذا صدر من الجهلاء وبسطاء الناس ، ويعد ذنبا اذا صدر من علمائهم وكبارهم .

قال تعالى فى آدم (ع) :

وعصى‌آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قالاربنا ظلمنا انفسنا (۱۲۲ ـ طه) .

وفى نوح (ع)قال يانوح انه ليس من اهلك انه عمل غيرصالح فلاتسألنى ماليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين ، قال رب انى اعوذ بك ان

اسئلك مالیس لی به علم والاتغفر لی وترحمنی اکن من الخاسرین (۴۸ - هود) .

وقال تعالی فی داوود (ع) .

قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الی نعاجه . . . وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راکعا واناب ، فغفرنا له ذلك (۲۳ - ص) .

وظلمه اما فی تعجیله فی‌القضاء بعد سؤال المتسورین علی المحراب، واما استنزا لـه اوریا عن زوجه ، او استباقه فی خطبتها علی ماذکروه فی تفسیر الایة الشریفة .

وقال تعالی فی سلیمان (ع) :

ولقدفتنا سلیمان‌والقینا علی کرسیه جسداً ثم‌اناب قال‌رب اغفرلی (۳۵-ص)

وقال فی‌موسی (ع) :

فوکزه موسی فقضی علیه قال هذا من عمل الشیطان انه عدو مضل مبین قال رب انی ظلمت نفسی فاغفر لی فغفر له (۱۷ - القصص) .

وقال فی یونس (ع) :

وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر علیه فنادی فی الظلمات ان لااله الا انت سبحانك انی کنت من الظالمین فاستجبناله ونجیناه من الغم(الانبیاء - ۸۷)

وقال فی یوسف (ع) :

وقال‌للذی‌ظن‌انه‌ناج‌منهما اذکرنی‌عندربك فانساه الشیطان ذکرربه‌فلبث‌فی السجن بضع سنین (یوسف-۴۳)

قوله تعالی : **قل اطیعواالله والرسول، فان الله لا یحب الکافرین**
(۳۲ - آلعمران)

التفسیر

الطاعة لله عبارة عن اتباع هدایته فی‌الاصول والاخلاق والاعمال والاخذبما امره ، والترك لمانهاه ، سواء وصل ذلك الی الانسان بواسطة کتابه الکریم ، او

بلسان نبيه‌العظيم فان ما اخبرالنبی صلی‌الله‌علیه‌و آله عنه تعالی کله‌منه واتباعه طاعة له قال تعالی .

ومابنطق عن‌الهوی انهوالاوحی‌یوحی (النجم -۳)

واما طاعة الرسول (ص) فهی علی قسمين ، طاعته فيما يخبربه ارشاداً الی طاعةالله ، کاوامره ونواهيه المتعلقة بالواجبات والمحرمات الالهية، فهو فی‌ذلك کالوالد يامر ولده بالصلوة والصيام ، فالطاعةفی‌هذه‌الموارد حقيقية اصالية‌بالنسبة الی‌الرب تعالی ، وتبعيةاعتبارية بالنسبة الی الرسول (ص) وهی‌بهذا المعنی داخلة تحت قوله اطيعواالله .

والقسم الاخر طاعته (ص) فيما يأمر به وينهی عنه استقلالا و مولويا لاتبعاً وارشاديا ، فان للنبی الاعظم واوصيائه المعصومين (ع) ولاية تشريعية وتكوينية، بالنسبة الی جميع الناس ، كمامر البحث عنها مستقصی فی اوايل السورة ، فاذا امر زيدا بتصدی ـ امر القضاء فی بلد مثلا ، او دخوله فی صف‌العسكر للمحاربة اواقامته فی‌محل‌خاص لتصدی امرمن‌الشئون الدينية، اوبذله المال‌الكذائی اونحو ذلك ، وجب ذلك عليه وجوبا تكليفيا لمكان الولاية الشرعية الالهية .

قال تعالی :

النبی اولی بالمؤمنين من‌انفسهم (الاحزاب-۶)

وقال تعالی :

وماكان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضی‌الله ورسوله امراً ان يكون‌لهم الخيرةمن امرهم (الاحزاب ـ ۳۶)

فح نقول ان الظاهر ان المراد بطاعة الرسول فی هذه الجملة ، طاعته فی اوامره ونواهيه المولوية، والاكان الكلام تكرارا فالاية‌الشريفة مسوقة لبيان‌امرين قبول دينه وكتابه وهی القوانين العادلة الالهية ، واتباع رسوله وهوالامام العدل، والدليل الی الله المصون عن الضلالة والجنف وهذان الامران لو توجهت اليهما

الجوامع الانسانية ، واخذت بهما اخذا قلبيا ، وعمليا ، لصلحت وفاقت وتكاملت ورقت وسادت وحازت فضائل النفس وارتقت مدارج الكمال في شتى نواحيها ، وفازت بالعيشة المرضية في الدنيا والسعادة الابدية في الاخرة .

ثم ان الخطاب في الاية لا يختص بمن كان حاضرا في زمان نزول الكتاب، فهو متوجه الى العباد من تلك العصور الى قيام يوم التناد ، فلابد من ان يكون المراد بالرسول النبي الاعظم لابوجوده الخاص وعنوان رسالته وبما انه علة محدثة للدين بل بما انه معصوم منصوب من قبل الله اماما للجوامع وهاديا للانام الى الحق المبين ، وعلة مبقية للبرنامج النازل من الله تعالى ، فلامحالة يشمل الامام العدل المنصوب من الله خليفة له وحافظا لدين الله .

ثم انه لم يذكر في الاية الشريفة الغرض الاقصى والثمرة المقصودة من طاعة الله وطاعة رسوله ، ولعل العلة تقدم ذكر ذلك في الاية السابقة عليه .

فان هاتين الطاعتين اريدتا بقوله تعالى فيها (فاتبعوني) اي في الاحكام الارشادية والمولوية، وقد علمت الثمرة المترتبة عليه في تلك الاية فالغرض من تكرار الطاعتين في هذه الاية بيان امر آخر ، وهو ما يترتب على ترك الطاعتين كما يعلم من قوله فان تولوا .

ثم انه قد صرح عدة من مفسري العامة ان المراد بطاعة الله اتباع الكتاب ، وبطاعة الرسول اتباع السنة وهو غير ظاهر ، اذ فيه مع ان اتباع الرسول بهذا المعنى يرجع الى اتباع الرب تعالى ، خال عن بيان لزوم الامام العدل وغير خاف على البصير انه لايكفي الكتاب والسنة اعني القوانين العادلة في اصلاح حال الجوامع مع عدم وجود قوة مجرية لها وامام عدل يقيمها و يدبر امرها ، وهل وقع الفساد والاختلاف بين المسلمين وخسر العالم بانحطاطهم وخسرانهم الا لعدم اعتقادهم بلزوم وجود الامام و تركهم ما اوصى به النبي الاعظم من لزوم اتباع الخليفة الالهية فيما بينهم ؟

قوله تعالی : فان تولوا فان‌الله لایحب الکافرین

ای ان اعرضوا عن طاعةالله وطاعةالرسول کانوا کفاراً والله لایحب الکافرین فالجزاء محذوف وقع موقعه امرآخرومعنی عدم حب الکافرین عدم ترتیب آثاره فی حقهم من النعم الدنیویة والاخرویة .

فان قلت :کیف تقول بان الله قد قطع آثار الحب عنهم مع انه قد بذل لهم الوان النعم ، مما بذلها للمسلمین الخاضعین لجنابه بل واکثر منه ، من نعمة الوجود ومابه دوام العیش ونعمة العقل، وقدعرض لهم الکتاب والدین کما عرضه لمن‌قبلها ، فلابد من‌القول بان المراد عدم ترتب‌آثاره فی‌الاخرة.

قلنا : ان بعض تلک المذکورات قد انعمه‌الله علیهم قبل ان یتولواویعرضوا کنعمة الوجود ووسیلة الحیاة والعقل وعرض الدین علیهم ، وقدعرفت عموم هذه النعم لجمیع الناس نشأوا علی الأسلام والفطرة ، اوتهودوا او تنصروا بتحریف المنحرفین‌وظاهرالآیة الشریفة ان‌عدم الحب انما هوبعد الاعراض والتولی، فذلک خارج عن موضوع البحث فی الآیة .

واما بعد التولی والعناد منهم فهناک آثار من‌الحب زائلة مقطوعة وآثار منه باقیة ثابتة .

اماالاولی : فتوفیق‌الله تعالی عبده وتأییده وتسدیده‌لان‌یرتقی مدارج‌الکمال فی مرتبة عقائده الحقة الثابتة المطلوبة ویحصل فضائل النفس و مکارم الاخلاق ، ویعمل بمحاسن الاعمال ، فیترتب علیها کماله المقصود من خلقه و فوزه بالعیش الهنییء الدنیوی والسعادة العالیة الاخرویة ، وهذه کلها آثار لحب‌الله تعالی ، و ما اکثرها من آثار ونتائج وما احسنها ، وهی تنقطع عن الکافر بعد تولیه واعراضه هذا مع مایتوجه الیه من الشرورفی‌شتی مراحلها النفسیة والعملیة وغیرهاوهذاایضا من آثار انقطاع حبه تعالی .

واما مایری من بقائهم علی سلامة الابدان ورفاه العيش واتساع ابعاد الحضوظ الجسمانية ، والوصول الى ماراموه من المحاب و اللذائذ الدنيوية ، فقد يتوهم لذلك ان الله عليهم حباً وكرامة وان لهم عنده حظاومقاما كلا وليس كذلك بل ذلك نوع من المكر والخداع ، فالله تعالى يخادعهم ويمكر بهم ويستدرجهم من حيث لايعلمون ليصلوا الى اسفل الدرجات فى شقائهم وانحطاطهم قال تعالى :

ولايحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين (١٧٨-آل عمران)

قال تعالى: **ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين (٣٣) ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم** . (٣٤ - آلعمران)

التفسير

يقع الكلام فى الاية الشريفة فى موارد .

الاول : الاصطفاء طلب صفو الشيء واختياره ، من بين ما يكدره ، كأخذ الحب السمين من بين الحبوب، وحيث عدى هنا بعلى، فالمراد ان الله اختار هؤلاء المذكورين وصفاهم وطهرهم عن العقائد الباطلة والاخلاق الرذيلة والاعمال القبيحة مقدما لهم على العالمين ومرجحاً لهم عليهم ، و ليس المراد خصوص تطهيرهم وجعلهم مقربين الى ساحة قدسه والا لقال من العالمين .

الثاني: فى آدم (ع) والمقصود من اصطفائه .

فنقول يمكن البحث فى آدم من جهات شتى كلها خارجة عن مقصد الاية الا مسئلة اصطفائه فلا نتعرض لها الا بنحو الاجمال وهى الجهات التالية .

١ - كيفية خلقته .

۲ ـ تعليمه الاسماء : اسماء المسميات ، او نفس المسميات .

۳ ـ عرض المسميات عليه وعلى الملائكة اختباراً له ولهم، وتمكن آدم مما سئل عنه دون الملائكة .

۴ ـ امر الملائكة وفيهم ابليس بالخضوع له والسجود لجنابه تعظيما له ولمقام علمه ، فاطاعت الملائكة وعصى ابليس .

۵ ـ اسكانه وزوجه الجنة مع شرائط خاصة منها اجتناب الشجرة .

۶ ـ مخالفته وزوجه النهى الالهى وتوجه الذم والتوبيخ اليهما. واخراجهما من الجنة واهباطهما عن مقامهما .

۷ ـ تلقيه من ربه ما كان سببا لتوبته واجتباء الله له وتوبته تعالى عليه وهدايته اياه ، والظاهر ان المراد به نبوته كما سيجيء انشاء الله .

اذا عرفت ذلك فنقول : يمكن ان يكون المراد بالاصطفاء هنا احد الامور الخمسة المذكورة . اولاعنى تعليم الاسماء، انبائه بها، اسجاد الملائكة له، اسكانه الجنة، توبته واجتبائه ، كما يمكن ان يكون المرادغير السادس ، ومسئلة نبوته وان لم تكن مستفادة من القرآن الكريم لكنها تستفاد من الروايات الكثيرة وبعضها وارد فى ذيل قوله تعالى : ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (۱۲۲ ـ طه) .

ثم ان البحث من الجهات السبع المذكورة موكول الى محله ، ولعلنا نبحث فى كيفية خلقته فى ذيل الاية ۵۹ من هذه السورة ، والبحث عن غيرها قد وقع مستقصى فى اوائل البقرة فى الاية ۳۰ وما بعدها وفى سورة الاعراف وسورة طه فراجع .

واما قوله (ونوحاً) فقد ذكروا فى وجه اصطفائه انه الاب الثانى للبشر ، حيث يظهر من بعض الايات ان الباقين بعد الطوفان اولاده ، فيقرب هذا ماينقل فى التواريخ ان اكثر راكبى السفينة قدهلكوا بعدنزولهم عنها، لرطوبة الارض وحدوث

بعض الامراض فيها ، فلم يبق منهم الا عدة قليلون من اولاد نوح .

وايضاانه ممن سلم‌الله عليه بقوله (سلام على نوح فى‌العالمين-٧٩ الصافات) والاولى ان يقال ان فى نوح النبى خصائص جمة بارزة ، فمنها انه اول المرسلين واول من نزلت اليه الشريعة والكتاب .

قال تعالى : شرع لكم من‌الدين ماوصى به نوحاً والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى‌وعيسى (١٣ -الشورى).

وقال تعالى: كان الناس امة واحدة فبعث‌الله النبيين مبشرين ومنذرين‌وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . (٢١٣ البقره) .

وقال تعالى: انا اوحينا اليك كما اوحينا الى‌نوح والنبيين من‌بعده واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب. (١٦٣ - النساء)

وقال تعالى: ولقدارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى‌ذريتهما النبوة والكتاب (٢٦ - الحديد)

و قال تعالى : وكم اهلكنا من القرون من بعد قوم نوح

(١٧ - الأسراء)

فيظهر من‌الاية الشريفةان‌اهلاك‌الامم لم‌يقع الابعد نوح، وهذا مع ملاحظة ان‌الاهلاك ليس‌الا لاجل‌الذنوب، والذنوب لاتتحقق الابعد نزول‌الكتاب والشريعة (وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا) - (وماكنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون) يؤيدكون نوح اول الرسل واول من انزل اليه الكتاب والشرع .

٢ - ومنها انه المبتكر الكبير والمخترع العظيم لاول وسيلة نقلية بحرية ، واكبرها واعظمها وهى السفينة ، فهو المخترع لها بالهام غيبى وتعليم الهى قال تعالى :

واصنع الفلك باعيننا ووحينا - وكلما مر عليه ملاء من قومه سخروا منه . (٣٨ - هود) (وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها) (وهى تجرى بهم فى

موج کالجبال) ؟

وحملناه على ذات الواح ودسر تجرى باعيننا جزاء لمن كان كفر . (۱۴ ـ القمر)

فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك . (۲۷ ـ المؤمنين)

واخبر الرب تعالى بان هذه السفينةآية من آياته (فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين) . (۱۵ ـ العنكبوت)

۳ ـ ومنها . انه هو الذى وقعت الحادثة التاريخية التى لم تسبق بمثلهاولم تلحق به فى عصره بدعائه ، لاغراض اصلية عقلائية ، حيث استجاب الرب دعائه واوجد تلك الواقعة وهى واقعة الطوفان ، والبحث فى كيفية ذلك وكميته فى سورة هود .

قال تعالى: ففتحناابواب السماء بماء منهمروفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر . (۱۳ ـ القمر)

وقال تعالى : حتى اذا جاء امرنا وفار التنور . (۴۰ ـ هود)

وقال تعالى : وهى تجرى بهم فى موج كالجبال . (۴۲ ـ هود)

۴ـ ومنها.انه هوالذىطهرالله به الارض من‌لوث‌العصاة والكفاروالمشركين والمجرمين جميعا ، بحيث لم يبق منهم احد ، وهذا امرعظيم وهو الغرض‌الاصيل والهدف الاسمى للانبياء كلهم ، فلم يوفق احد منهم لذلك الا نوح . ولا يتحقق ذلك ابدا الا فى‌اواخر العصور الدنيوية وهوماقبل‌آخر الدنيا ،كماان ماكان‌لنوح كان فى مابعد اول الدنيا، ويقع ذلك بيدالمصلح الكبير والقائد العظيم مولانا بقية الله حجة بن الحسن العسكرى سلام الله عليه وعلى‌آبائه الطاهرين، وفى زمانه‌ايضا لاينتفى‌اهل الكفربالمرة، بل‌يبقى بعض اهل‌الكتاب تحت سيطرةالحكومةالاسلامية يؤدون الجزية لها ويعملون بشرائط الذمة ، قال تعالى : واذ تأذن ربك ... ليبعثن عليهم‌الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب . (۱۶۷ ـ الاعراف)

وقد وقع التطهير فى عصر نوح (ع) بدعائه قال تعالى :

وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين دياراً . (٢٦ - نوح) .

وقدامرالله نوحاًبالتحميد حين ماركبوا الفلك، وانقطع عنهم ايدى‌الظالمين وانشاء اللعن والطرد لهم بعد نزولهم من السفينة وهلاك الظلمة فقال :

فاذا استويت‌انت ومن‌معك على الفلك فقل‌الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين . (٢٨ - المؤمنون)

وقال تعالى: واستوت على‌الجودى وقيل‌بعداً للقوم الظالمين. (٤٤ - هود)

٥ - ومنها انه هو الذى عمر طويلا اطول مايمكن البقاء للانسان بمقتضى العادة الجارية والسنة السارية الالهية، عمرفى‌تلك المدة وهوصاحب اسمى‌المنازل واعلى المراتب والمناصب ، اعنى منصب النبوة والرسالة بل والمنصب الارقى منها منصب الامامة ، ولم‌يسبقه احد فى‌هذه الفضيلة ولم‌يلحقه لاحق غيرمولانا ولى الله الاعظم حجة بن الحسن عليه الصلوة والسلام قال تعالى :

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاماً .

(١٤ - العنكبوت)

ثم ان الحاصل مما ذكرناه فى‌حال‌آدم ونوح ان‌الله اصطفى كل‌واحد منهما فى خمس خصال هامة عظيمة .

قوله تعالى **وآل ابراهيم**

الاية متعرضة لحال ولد ابراهيم النبى دون نفسه الشريفة ، وان‌كان قديقال ان المراد هو عليه السلام وآله الطاهرين كما فى قوله تعالى (ادخلوا آل فرعون اشد العذاب) والمراد بآل‌ابراهيم اولاد اسماعيل النبى واولاد اسحاق، وحيث انه قد هاجر باسماعيل وامه من‌فلسطين ونواحيه الى مكة المكرمة فاسكنهما بوادغير ذى زرع عندالبيت‌المحرم ،كان‌احفاده من‌نسل‌اسماعيل هم‌الباقين فى مكة‌المكرمة من قريش ، ثم بنى هاشم الى ان انتهى الى النبى الاعظم محمد (ص) واولاده الطاهرين صلوات الله عليهم، فآل ابراهيم يشملهم ونسلهم الطيب جميعا، ولاجل

هجرة اسماعيل الى مكة وتوطنه بها وامتزاجه بقبيلة جرهم العرب، كان اول نبى من العرب هو اسماعيل، وقد ذكر فى الكتاب الكريم بنائهما البيت وتطهيرهما اياه ونحوهما مما صدر منهما هناك قال تعالى .

واذ يرفع ابراهيم القواعد واسمعيل ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك - ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوعليهم آياتك (۱۲۹- البقرة) وفى الآية اشارة الى بعث نبينا فيهم !

وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود . (۱۲۵ - البقرة)

ولم يذكر فى الكتاب وجود انبياء من نسل اسماعيل الى زمان نبينا فى مكة وحواليها ، ولعل الباقين فيها من اولاده كانوا اوصياء من قبله ، لاانبياء وكان الباقى من الاديان فيما بينهم هو دين ابراهيم (ع) فى الجملة قال تعالى .

لتنذر قوما ما انذر آبائهم فهم غافلون (يس - ۶) هذا ما يرجع الى اسماعيل النبى (ص) .

و اما اسحق النبى فاولاده واحفاده والانبياء من نسله كثيرون متسلسلون ، والظاهر ان الجميع من ولد يعقوب المسمى باسرائيل وقد ذكر يعقوب مع ابيه فى الكتاب فى مواضع كثيرة وقد حمدالله تعالى ابراهيم على ما انعم عليه بعد كبر سنه ولدين نبيين فبقى نسلهما على الاستمرار قال:

الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء (ابراهيم- ۳۹)

ثم ان اسحق النبى واولاده الطاهرين كانوا قاطنين فى فلسطين والشام والاردن ومصر وكنعان ، ومن نسله (ع) الاسباط ويوسف وداود وسليمان و موسى و هارون وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام .

وكان الفصل الزمانى بين نوح وابراهيم كثيرا ، قد بعث فيه على الناس هود

وصالح وشعيب ولوط الذى عاصر ابراهيم فامن به .

ثم ان عمران المذكور فى‌الاية الشريفة اما هو ابو موسى وهارون ، اوابو مريم وعمران الاول ابن‌يصهر ابن‌قاهث ابن‌لاوى ابن‌يعقوب

وعمران‌الثانى من‌نسل سليمان بن داود بن ايشا الى ان‌ينتهى الى‌يهوذ ابن يعقوب وقالوا كان بين‌عمرانين ۱۸۰۰ سنة

فعلى‌الاول يشمل‌قوله «آل عمران» موسى وهارون وانبياء كثيرين من‌اولاد هارون فيخرجون من تحت‌آل ابراهيم لكونهم فى‌مقابلهم

وعلى‌الثانى‌يخرج مريم وابنها عيسى (ع) عن آل‌ابراهيم وتكون‌هذه‌الكلمة حاكية عنهما .

وبالجملة ، الاية الشريفة تشمل الانبياء اولى العزم و اصحاب الشرائع‌غير ابراهيم ، او تشمله ايضا على‌ماذكرنا من الاحتمال و تشمل النبى الاعظم محمدا صلى الله عليه و آله وسلم و اولاده الطاهرين ، فالمصطفون عدة كثيرة من‌الانبياء والائمة والمعصومين ، والمصطفى عليهم سائر الناس من‌زمن آدم النبى الى‌آخر عمر الدنيا .

ووجه اصطفائهم على العالمين كونهم انبياء علماء متقين صالحين ابراراً مقربين هادين‌الى‌الله ، مجاهدين فى سبيله بالاموال‌والانفس، وليس غيرهم كذلك وقدعدالله تعالى‌فى‌سورة الانبياء فى‌عدة آيات متصلة خمسة عشر نبيااولهم‌ابراهيم وآخرهم عيسى (۵۲ - ۹۱) وذكرلكل مقاما وصفة تصلح‌لكونهاوجهافى الاصطفاء وقال بعد ذكر بعضهم .

وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم‌فعل‌الخيرات‌واقام‌الصلوة وايتاء الزكوة‌وكانوا لنا عابدين (الانبياء -۷۳)

وقال بعدذكر۱۴ نبيا منهم:انهم‌كانوا يسارعون فى‌الخيرات‌ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين (الانبياء - ۹۰)

وعدالله تعالى فى سورة مريم من الانبياء عشرة ، اولهم زكرياو آخرهم ادريس (۱-۵۸) ثم قال :

اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين . . . اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداو بكيا (مريم -۵۸)

وعد فى سورة هود تسعة منهم ، او لهم نوح و آخرهم موسى (۲۵-۹۷)

قوله تعالى :**على العالمين**

العالم صنف المخلوقات من الجماد والنبات والحيوان والجن والملك ، والعالمون جميع الاصناف ، و يحتمل هنا ارادة اصناف الاناسى ، و على الاول يفهم من الكلام تفضيل الانبياء على الملائكة ايضا فانهم من العالمين ولا بأس بذلك، فان الانبياء والائمة(ع) افضل من اصناف الخلائق جمعاء بلا شبهة على مادلت عليه الاحاديث المتكاثره ولا ينافى قوله تعالى :

ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (الاسراء -۷۰)

فانه يفهم من هذه الاية عدم تفضيلهم على الجميع ، ولابد ان يكون الخارج الملائكة او المقربين منهم، ووجه عدم المنافاة كون المراد بالمفضل فى آية الاسراء بنى آدم من حيث انهم مكرمون بالذات مخلوقون على فطرة التوحيد ، وبعبارة اخرى انه قدلوحظ فى هذه الاية شرافتهم الفطرية الذاتية، وشئونهم غير الاختيارية ولوحظ فى الاية المبحوث عنها مناصبهم المبذولة من ناحية الرب تعالى وشئونهم التشريعية وقربهم و كمالهم من هذه الجهات ، فهم من حيث كرامة ذاتهم مفضلون على الكثير ،ومن حيث شئون نبوتهم وما يرادفها ، مفضلون على جميع المخلوقات حتى الملائكة .

ثم ان المراد بالعنوانين (آل ابراهيم وآل عمران) هل هو خصوص الانبياء والمعصومين ، لانهم القدر المتيقن من الكلمتين اوالاعم منهم وممن آمن بهم وعمل

صالحا ، اوالاعم من ذلك ، فيشمل كـل من يصدق عليه انه آل ابراهيم او آل عمران ؟ لا اشكال فى عدم ارادة الاخير ، اذ لاشبهة فى وجود كفار ومشركين من اولاد اسماعيل كمشركى قريش وغيرهم ، وكذا من‌اولاداسحاق النبى فليسوا مفضلين على‌العالمين .

ولا بـأس بارادة المعنى الثانى ، بمعنى ان الانبياء والائمة عليهم السلام والمؤمنون الصالحون العاملون ، بما عملوا قـد فضلهم الله على جميع العالمين غيرهم حتى الملائكة ، كما انه لابأس بارادة الاحتمال الاول وان المفضل كل نبى من نسلهما .

و على التقديرين فهل يراد تفضيل كل فرد من افراد المفضل على جميع المفضل عليهم : او تفضيل المجموع على‌المجموع بمعنى ان‌كل نبى مفضل‌على العالم الموجودين فى‌عصره ؟ وكلا الاحتمالين صحيحان ، الا انه على تقدير كون المراد خصوص الانبياء والحكم بتفضيل كل فرد منهم على جميع الغير فى‌جميع الاعصار ، ينافى ما ورد من ائمة اهل البيت من ان علماء امة النبى الاعظم كانبياء بنى اسرائيل اوافضل منهم ، لكن هذا القسم من محتملات الاية مرجوح .

فالمتحصل من معناها ان الانبياء والمعصومين فى كل زمان مفضلون على اهل عصرهم ، وكذلك الائمة عليهم السلام فى عصرهم مفضلون على الجميع حتى‌علماء العصر .

ثم ان هذاكله فى مقايسة الانبياء والمعصومين الى غيرهم من الناس ، واما مقايستهم بعضهم مع بعض فلا تعرض لها فى‌الاية ولاينافى كون بعضهم افضل من بعض (تلك الرسل فضلنا بعضهم على‌بعض) وهم‌درجات‌عندالله .

قوله تعالى : **ذرية بعضها من بعض**

اى كل‌بعض منهم‌مرتبط بالاخر برابطة نسبية‌تكوينية‌كالابوة والبنوة ونحوهما اومعنوية تشريعية ككونهم منبئين عن‌الله مرسلين من عنداله واحد ، بدين واحد ،

وهو الاسلام (ان‌الدين عندالله الاسلام) مصدقا بعضهم بعضا اوائهم اخرهم واخرهم اولهم قال تعالى :

ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعرمجنون ـ بل‌جاء بالحق وصدق‌المرسلين (۳۷ ـ الصافات)

واذا اخذالله ميثاق النبيين لما آتيتكم من‌كتاب و حكمة ثم جائكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن‌به ولتنصره ، قال اقررتم واخذتم على ذلك اصرى قالوا اقررناقال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين (۸۱ ـ العمران)

آمن الرسول بماانزل اليه من ربه والمؤمنون‌كل آمن‌بالله وملائكته وكتبه ورسله‌لانفرق بين احد من‌رسله(۲۸۵ ـ البقرة)

قوله تعالى : **والله سميع عليم** .

السميع فى الله تعالى هوالعالم بالمسموعات ولانعلم كيفية سمعه فهو وصف اخص من عليم، وهذا بخلاف وصف السميع فينا ، فانه صفة من صفات افعالنا و سماعنا طريق من‌طرق علومنا ، فان‌العلوم الحاصلة فينالها طرق‌خمس‌وهى‌الحواس الخمس الظاهرة ، مع ان قوانا العاقلة لهـا استعداد الادراك وتحصيل المعلوم و استنتاجه من المجهول ، فهى بنفسها ذات انتاج ، كما ان لها طرقا لورود العلوم والمفاهيم من الخارج ، وقد ذكر فى‌الكتاب الكريم وصف السميع‌مقروناًبالعليم فى‌موارد كثيرة. والمراد انه‌تعالى‌سميع بمقالكم عليم‌بمافى‌صدوركم، اوانه سميع بكل مايسمع عليم بكل ما يعلم .

ثم ان اطلاق الوصفين وعدم تقييدهما بالمتعلق‌فى‌المورد ، كماهودأب‌الله غالبا فى اسمائه الشريفة المذكورة فى كلامه لبيان التعميم فى‌المتعلق‌وبقاء اطلاق الوصف على حاله وعدم تقييده بقيدكما فى‌غيره تعالى ، فهو اشارة الى التوحيد الصفاتى فغيره تعالى (مع ان سماعه بالة والله سميع لابالة) سماعه مقيد بصوت خاص ومكان محدود وزمان معين ، فلايسمع جميع ما يسمع بل بعضه فى مكان

وزمان خاص ويشغله سمع عن سمع ، والله تعالى سميع بكل ما يمكن ان يسمع وفي بعض الادعية الواردة عن ائمة اهل البيت(ع) (سبحان السميع الذي ليس شيء اسمع منه يسمع من فوق عرشه ماتحت سبع ارضين ، ويسمع ما في ظلمات البر والبحر ويسمع الانين والشكوى ويسمع السر واخفى ، ويسمع وساوس الصدور ولايصم سمعه صوت اه

ثم ان تقارن العلم بالسمع مشعر بان الله عالم بحقيقة ما يسمع وكيفية تحققه وبالغرض المقصود من ذلك الصوت اذا كان صادراً من الحيوان المريد المختار ، فلايشغله صوت عن صوت ولا كلام عن كلام ، ولاشأن عن شأن ، وهذا بخلاف سماع المخلوقين

قوله تعالى : **اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك مافى بطنى محررا فتقبل منى انك انت السميع العليم ٣٥ فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم .** (٣٦-آلعمران)

التفسير

قيل كان اسم امرأة عمران حنة ولها من عمران بنت اسمها (ايشاع) تزوجها زكريا فولدت منه يحيى ، فعيسى ويحيى ابنا خالة .

ونذرها الولد لخدمة البيت ، اما بامضاء من زوجها ، اوان عمران مات قبل ولادة مريم ، ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك : وماكنت لديهم اذيلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم : وقوله تعالى وكفلها زكريا

والظاهر ان المحل الذى نذرته له هو بيت المقدس لكونه محلا لانبعاث اكثر انبياء بنى اسرائيل ، وبيت اللحم فى قرب القدس معروف .

والتحرير . فى اللغة العتق واعطاء الحرية والاخراج عن الملكية ، وذلك اقسام .

فمنها تحرير المال عن قيدالملكية كجعل الملك مسجدا او مدرسة ويسمى وقفا تحريريا :

ومنها تحرير النفس عن قيد الرقية كعتق العبد والامة

ومنها . تحرير النفس عن قيد الجهل كتعليم الجاهل وايصاله الى حدالكمال العلمى .

ومنها تحريرها عن عبادة الشيطان بارشادها الى الايمان والاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة .

ومنها . تحرير النفس او المجتمع عن قيود الاستعمار واسارة الاستحمار والاستثمار، بايقاظهم عن نومتهم ودعوتهم الى الحياة الانسانية الاستقلالية، والى التفكير فى سبيل الحرية والكمال .

ومنها . تحريرها عن الاشتغال بامور الدنيا، والتفرغ لطاعة الله كما لعله كان مرسوما فى تلك العصور :

ومنها . تحرير الولد عن قيد ولاية الاب والام وجعله من سدنة بيت الله، او خدام احد الاولياء والاصفياء ، وهذان القسمان متقاربان ، ولعل احدهما المرادمن قولها انى نذرت لك مافى بطنى محرراً .

ثم ان هذا النحومن النذر لعله كان راجحاً فى تلك الازمنة ، وكان عبادةمن العبادات ، واما بالنظر الى شرعنا فلاينعقد لوكان على نحو نذر النتيجه، كان ينوى خروج الولد عن تحت ولاية الاب وحضانة الام ويكون فى ولاية البيت اوشخص اخر من عالم او عابد ، ولوكان بنحو نذر الفعل بان لا يستفيد من الولد بترتيب آثار الولاية ، بل يجعلها من خدام محل شريف اومؤمن عالم فقد يكون راجحا، وينعقد النذر الى زمان بلوغه ورشده .

ثم ان ظاهر الكلام كون نذرها تنجيزيا ، مبنيا على اعتقاد كون مافى بطنها

ذكراً ، لاتعليقيا معلقاً على الذكورة، ويشهد له ظهور تحسرها عند انكشاف كونه انثى ، وقد يقال ان علمها بذلك كان بايحاء من الله ووعده تعالى ان يرزقها ولدا ذكراً، فكانت تتخيل انه الولد بلاوساطة ، وكان متعلق مشية الرب تعالى كونه ولد الولد اعنى عيسى (ع) .

وقوله تعالى **انك انت السميع العليم** .

اى السميع لمقالى وكل مامن شأنه ان يسمع والعليم بما فى قلبى وبكل شىء قوله . **قالت رب انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت** . اخبارها بان ماوضعت انثى وقع تعجبا من ظهور خلاف ماتعتقده ، او تحسراً على ذلك ، ويجوز فى كلمة وضعت كسر التاء وضمها وجزمها ، فعلى الاول والاخير فهى من كلام الله تعالى ، وعلى الوسط تكون من كلام امرأة عمران .

ثم ان كونه تعالى اعلم من جهة ان امها لم تعلم من مولودها الا انه انثى ، والرب تعالى يعلم وجودها وجميع آثار وجودها وماسوف تتصف بها من العقائد والاخلاق ، وسوف تكبر وتعمل من العبادات والافعال الحسنة وما ينتهى اليه امرها فى دنياها وعقباها الى غير ذلك .

قوله تعالى: **وليس الذكر كالانثى**. يحتمل كون الالف واللام فى كلمة الذكر للعهد الذهنى، وفى الانثى للخارجى والحضورى، فالكلام كلام الله تعالى يخبر بعد تعجبها وتحسرها عن عدم ولادة الولد الذكر، بان الذكر المعهود فى فكرة امراة عمران والمقصود المعين فى ذهنها ليس كالانثى الموجودة التى ولدتها ، بل هذه افضل واكمل من ذلك ، اذ المركوز فى ذهنها هو الذكر السوى القابل لخدمة البيت ، واضف الى ذلك الايمان والعمل الصالح ، لكن الانثى التى تكبر وتصير من اكبر العباد ، ومورداً لاصطفائه تعالى لها على نساء العالمين ووالدة لعيسى كلمة الله ، افضل من ذلك بلا اشكال ، فالكلام ح صادر لبيان خطاء حنة وللرد عليها وان ما اعطاها من الانثى افضل مما تمنته من الذكر .

ویحتمل ان تکـون الالف والـلام فی الکلمتین للجنس ، سواء فرضنا ان الکلام من الله تعالی اومن امرأة عمران ، ولوکان من الله فهوجار مجری تصدیقها وبیان ان الذکرلایساوی الانثی بل هوافضل منها واکمل، وح فالمراد اماترجیحه علیها من حیث القوی البدنیة ، او من حیث القوة العاقلة والادراکات الباطنیة، او من حیث صفات النفس والملکات الروحیة، فان الرجل اقوی من المرأة فی‌غالب الصفات النفسیة، کالشجاعة والصبر والکتمان والوفاء والسخاء والحلم، وان‌کانت هی اقوی فی بعضها الاخر کالرضا والرحمة والرقة والتواضع ونحوها .

اومن حیث الاحکام الشرعیة ،کعدم النبوة لهن وعدم منصب الامامة ومنصب القضاوة وسائرالاحکام التی تختص بالرجال دون النساء ، ولااشکال فی کون اغلب ماورد فی‌شرعنا من المختصات . ثابتا فی‌تلك الاعصارایضا لولم‌یکن‌اکثرمنه .

قوله تعالی : **وانی اعیذها بك وذریتها من‌الشیطان الرجیم .**

الاعاذة والاستعاذة بالشخص الالتجاء الیه والاستعانة به فی‌دفع المکاره‌ورفع المضار ، وذلك امر عقلائی کان معمولا به بین الاناسی من الازمنة السالفة ، وهی علی اقسام ، استعاذة الفرد بالفرد ، والفرد بالامة ، والامة بالفرد ، والامة بالامة .

فهنا طوائف ، المعیذ . والمعاذبه . والمستعاذ منه . وقد وقع ذکرالاستعاذة فی الکتاب الکریم فی موارد ، فذکر فی بعضها استعاذة بعض عباد الله به تعالی ، وامر بها بعض اولیائه فی‌بعضها الاخر والمعاذبه فی‌الجمیع هو الله تعالی، والمعاذ منه ومن شره امور .

۱ ـ الشیطان الانسی والجنی قال تعالی :

وقل رب اعوذ بك من همزات الشیاطین واعوذ بك ان یحضرون

(۹۷ـالمؤمنون)

قل اعوذ برب الناس .

۲ ـ المتکبر غیرالمؤمن، وقال موسی انی‌عذت بربی وربکم من کل‌متکبر لایؤمن بیوم الحساب.(۲۷ـغافر)

٣ ـ الظلمة . ومن شر غاسق اذا وقب . (٣ الفلق)

٤ ـ النفاثات . ومن شر النفاثات فى العقد . (٤ الفلق)

٥ ـ الحاسد . ومن شر حاسد اذا حسد . (٥ الفلق)

٦ ـ الجهل . قال (موسى) اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين . (٦٧ بقرة)

٧ ـ الخلق . قل اعوذ برب الفلق من‌شرماخلق . (٢ الفلق)

ثم ان حنه امرأة عمران ، اعاذها وذريتها بالله من الشيطان ، ويظهر من لحن الاية الشريفة، ان الله كما قبلها من‌حيث ترتيب‌الاثار التى ارادتها حنه، كذلك قبلها وذريتها من حيث الاستعاذة ، ومعناها فى المقام حفظهما عن مس الشيطان وتصرفه فى‌عقلهما بالقاء العقائد الباطلة، وفى نفسهما باعتياد الصفات الرذيلة ، وفى بدنهما باتيان‌الاعمال المحرمة، فلم‌يكن للشيطان مساس بهما من حين وقوع‌الدعاء الى ازمنة بقاء عيسى (ع) .

ولذلك روى البيضاوى فى تفسيره عن النبى (ص) انه قال .

مامن‌مولود يولد الاوالشيطان يمسه‌حين يولد فيستهل من‌مسه الامريم‌وابنها:

ونقل صاحب المنار عن الشيخين عن ابى هريره مايقاربه قال واللفظ هنا للمسلم :

كل بنى‌آدم يمسه الشيطان يوم ولدته امه الا مريم وابنها .

قال البيضاوى ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغواء‌كل مولود بحيث يتأثرمنه الا مريم وابنها .

اقول الرواية وان لم يكن حجة عندنا لضعف ابى‌هريرة وغير ذلك من الجهات ، الا انك لما تأملت ماورد فى شرعنا من الايات كالاية المبحوث عنها ونظائره كقوله تعالى :

ان عبادى ليس لك عليهم سلطان . (٤٢ الحجر)

وماورد من الروايات فى تنزيه ساحة الانبياء (ع) ، عن كل لوث المعاصى

وخلاف الاخلاق ، وقايست كل ذلك مع ماورد فى الانجيل من وصف عيسى(ع) علمت ميزان تلك الكتب المحرفة ، ففى الباب الرابع من انجيل لوقا مالفظه.

قال تعالى : **فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلهـا زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عندالله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب .**
(آل عمران-۳۷)

التفسير

التقبل . القبول بالنحو الاكمل الاوفى ، ولذا وصف المصدر المتعلق بـه بالحسن فمعنى تقبلها هو قبول الامور الثلثة التى عرضتها لربها، وهى ايجابها على نفسها تحريرها ، واستجازتها فى تسميتها مريم التى هى بمعنى العابدة الخادمة. واعاذتها بالله من الشيطان الرجيم .

ومعنى كماله وتاكده ، قبول كل واحد من تلك الامور باكمل كيفيته ، اما التحرير فقبلها للبيت مع انها كانت انثى وكانت سدنة البيت كلهم ذكرانا على مانقلوه ومسابقة العباد واختصاصهم فى تكفلهـا، وانتهاء الامر فى ذلك الى نبى من انبياء زمانها .

واما حسن القبول فى تسميتها مريم، فلان الله وفقها للعبادة فى البيت بل فى اعلى مكانه وهو المحراب ، واعطائها الرزق فى محرابها، وذكر الله تعالى اسمها فى القرآن فى ۳۴ مورداً ، مع انه تعالى لـم يذكر فيه اسم امرئة معينة غيرها بل تعرض لماتعرض بعنوان عام ، كقوله تعالى فى آخر سورة التحريم :

« وضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما اه .

«وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذقالت رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة» التحريم - ۱۱

«وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه» يوسف ـ ٣٠
«ومريم ابنة عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا» التحريم ـ ١٢
«انى وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شىء» النمل ـ ٢٣
«يانساء النبى لستن كاحد من النساء» الاحزاب ـ ٣٢
«قل تعالوا ندع ابنائنا وابنائكم ونسائنا ونسائكم» آل عمران ـ ٦١.
«وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة» البقرة - ٣٥
«واذ أسر النبى الى بعض ازواجه حديثا» التحريم ـ ٣
«واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك» الاحزاب ـ ٣٧
«واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه» القصص ـ ٧
«وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب» القصص ـ ١١

واما حسن القبول فى اعاذتها من الشيطان فبانه تعالى اصطفاها باصطفائين وطهرها عن الاقذار، وتكلمت الملائكة معها مع عدم نبوتها، فصارت محدثة، وبشارتها بولادة عيسى كلمة الله، وهبة عيسى لها بلا تزوج وبنحو غير معتاد، واحصانها وكونها صديقة.

وقوله تعالى: **«وانبتها نباتا حسنا»** تعقيب الفعل بالمفعول المطلق من غير بابه يلازم كون التقدير: «وانبتها فنبتت نباتا حسناً» والسر فى ذلك ان الانبات من الله تعالى ليس بلا واسطة، كما هو الحال فى سائر افعاله فى هذا العالم، فانباته الذى هو على قسمين فى المورد: (اعطاء النمو والرشد البدنى الجسمانى، واعطاء الرشد الروحانى والباطنى) يقع تارة باعداده تعالى وسائل التكامل والرشد الجسمانى من الغذاء والهواء واللباس والمسكن وغيرها من لوازم الحياة الدنيوية وعيشها، فنباتها حينئذ يتوقف على استفادتها مما رزقها الله من وسائل العيش، فلو لم تستفد منها فالقصور يكون من قبلها، ففى الآية اشارة الى ان الله هيألها وسائل العيش بأحسن وجه، وهى ايضا استفادت منها باحسن طريق، فنبتت نباتا حسنا.

ويقع اخرى باعداده تعالى وسائل كمال العقل والايمان والعقائد و الاعمال

فان وجود الانبياء عندها ، وتكفل زكريا النبى لها ، واشتغالها بالعبادة مع العباد العاملين الصالحين ، وغيرها من الامور الدخيلة فى كمال الانسان فى مراحل العقل والايمان ، انبات من الله باحسن الوجوه ، وقبولها التربية الانسانية ، والايمانية ، و تخلقها بفضائل النفس وكمالاتها نبات حسن ، وليس كل الناس حائزين هذه الفضيلة ، فهى نبتت نباتاً حسنا

وقوله تعالى : «وكفلها زكريا»

كيفية تكفل زكريا لها يعلم مما سيجيىء فى الاية ۴۴ : « وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وماكنت لديهم اذ يختصمون.

وقوله تعالى : «**كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا**

المحراب محل الحرب و مكانه ، و اطلاقه على محل العبادة لوجهين ، احدهما ان محل العبادة محل الحرب مع الشيطان أومع النفس الامارة ، وثانيهما انه كما ان فى معركة القتال والحرب ينقطع رجاء الانسان من كل شىء ، ويغفل عن ماله واولاده وعياله ودراهمه ودنانيره ، ويكون همه مصروفا فى حفظ غرضه وتنجيز هدفه ، وينحصر مقصده ومرماه فى الغلبة على الخصم وتحصيل ما يقاتل لاجله ، كذلك الانسان لابد من ان يكون غرضه فى امكنة العبادة الوصول الى مرضاة ربه وتحصيل المقام عنده ، والقرب لديه ، ويكون غافلا عن جميع امواله وما يتعلق به من دنياه وشئون حيوته

والرزق فى الاية قد فسر بفاكهة الشتاء فى وقت الصيف ، وفاكهة الصيف فى وقت الشتاء ، الا انه يمكن ان يقال : ان الفرد الاليق من الرزق ، العلوم والحكم والمعارف الدينية الالهية : فلعل زكريا اذا دخل عليها وتكلم معها كان يسمع منها من المعارف . مالم يكن يعلمه أولم يكن يسمعه من غيرها ، مما الهمه الله تعالى اياها ، فكان يسئل عنها ويقول : يا مريم انى لك هذا قالت هومن عندالله

قال الله تعالى : ان الله يرزق من يشاء بغير حساب

قد يتوهم فی‌هذه الاية ونظائرها كقوله تعالى
«فان‌الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء» فاطر-۸
وقوله: تؤتی الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزمن تشاء وتذل من تشاء» آل‌عمران - ۲۶

«والله يؤتی ملكه من‌يشاء» (البقره۲۴۷)
فيغفرلمن يشاء ويعذب من يشاء» (البقره - ۲۸۴)
«ان الفضل بيدالله يؤتيه من‌يشاء» (آل‌عمران - ۷۳)
«يختص برحمته من يشاء» (آل عمران - ۷۴)
«بل الله يزكی‌من يشاء» (النساء -۴۹)
«بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء» (المائدة -۶۴)
«ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده»(الانعام -۸۸)
« ويتوب الله على من يشاء » (التوبة - ۱۵)
« ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء » (الرعد - ۱۳)
« ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » (الرعد - ۲۶)
« يمحو الله مايشاء ويثبت » (الرعد - ۳۹)
« وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء » (النور - ۴۳)

« يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور » (الشورى - ۴۹)
انه ليس فی افعال الله تعالى لحاظ غرض وتدبير صلاح ، بل كل مافعله الله تعالى‌فيه الصلاح التام والنظام الكامل‌العام، فلوغفرابا جهل وعذب النبی‌الاعظم كان حسناً، وكان‌هوالموافق للصلاح والمطابق‌للعدل، فالصلاح والفسادهوفعله وعدم‌فعله، وبه يقاس كل صلاح وفساد ، لا ان فعله يقاس بشیء آخروهذا هو الذى ينسب‌الى الاشاعرة ، فانهم ينكرون العدل بالمعنى المعهود عندنا ، ويقولون : العدل من‌الله

هو مايفعله‌الله والظلم هومالايفعله ، فلوادخل‌الحسين الجنة ويزيد النارفهو العدل ، ولوعكس فى الامركان هو العدل ، وليس هنا ميزان‌آخر من حكم العقل وغيره يوزن‌به فعل الرب‌تعالى، بل مقامه وشأنه تعالى‌أجل من ان يوزن بشىء‌آخر. وهذا مذهب مرجوح مردود ليس المقام موضع ذكره ، وحمل ظواهر الايات على‌هذا المعنى‌باطل منكر.

ولايخفى عليك انه بناء على هذا المعنى يرجع مفاد الايات (يغفر لمن‌يشاء ويعذب من يشاء ويهب‌لمن يشاء) وغيرها الى‌انه ليس فى غفرانه وتعذيبه مثلالحاظ صلاح وتدبير نفع ونظم .

لكن الظاهر ان معنى‌الايات بيان قدرة الله على‌ماشاء ، وتسلطـه على تنجيز ماارادو ايجاد ماشاء ، فالمعنى ان الله قادرعلى‌غفران من يشاء ، لان مشيته الغفران بلا وجه وغرض ، وقادر على‌ان يهب مايشاء، لان ارادته الهبة غير منوط بصلاح فمعنى قوله تعالى: يضل من يشاء ويهدى من يشاء ، انه تعالى قادر على اضلال‌من تعلقت به ارادته وهداية من تعلقت به مشيته، واما ان تلك المشية بمن تتعلق‌ولاى جهة تتعلق فيعلم ذلك من‌آيات اخر ، حيث يقول تعالى :

يهدى به الله من اتبع رضوانه . (المائدة ـ ۱۶)

ويهدى اليه من اناب . (الرعد ـ ۲۷)

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم . (يونس ـ ۹)

والله لايهدى القوم الظالمين . (البقرة ـ ۲۵۸)

والله لايهدى القوم الفاسقين . (التوبة ـ ۸۰)

والله لايهدى القوم الكافرين (البقرة ـ ۲۶۴)

ان الله لايهدى من هو كاذب كفار . (الزمر ـ ۳)

ان الله لايهدى من هو مسرف كذاب . (غافر ـ ۲۸)

ثم ليعلم ان هداية الله تعالى على اقسام ثلثة ، هداية عامة تكوينية ، وهداية

عامة تشريعية ، وهداية خاصة . كما ان الاضلال على قسمين عدم الهداية ، وفعل الغواية .

فالهداية‌التكوينية العامة هى‌خلق الانسان‌مثلا على‌نحو يقتضى فطرته‌الاهتداء الى الحق والتوحيد وغيره من الاحكام الفطرية ، ولافرق فيها بين المؤمن والكافر وغيرهما ، قال تعالى :

فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها (الروم ـ ٣٠)
وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم، :كل مولود يولد على‌الفطرة ثم‌ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه .

والهداية التشريعية العامة هى‌ارسال الرسل، واعطائهم الكتب والمعجزات، مع اعطاء العقل القابل للفهم والادراك والسماع والطاعة ، وهذا ايضا عام لجميع الخلق .

والهداية‌التشريعية الخاصة هى‌التوفيق‌من‌الله لمن‌آمن، وقبل‌وتأييده‌وتسديده وتهيئة وسائل‌الجرى على‌الهداية التشريعية العامة. والعمل بها، والتكامل فى‌مراحل أبعادها الفكرية والنفسية والبدنية . من العقائد والاخلاق والاعمال .

والاضلال العدمى عبارة عن قطع الهداية الخاصة عن عبد بواسطة عناده وضلالته واختياره طريق الانحراف والمتاهة، وقدسماه تعالى بعدم الهداية، كقوله تعالى : والله لايهدى القوم الظالمين اوالكافرين أوالفاسقين اومن هومسرف‌مرتاب اومن هو كاذب كفاروغيرها .

والاضلال بمعنى فعل مايشقى به العبد ، ويضل فهو فى من عاند الحق وخالف الرب، بعدتكررالهداية والتنبيه والاعلام، فهيأ له الرب تعالى بعده مايمده فى‌طغيانه ويستدرجه فى‌مراتب بعده عن الله وشقائه ، فيورده الى ميزانه وقدسماه الله تعالى مكراً ومخادعة واستدراجاً وغير ذلك من العناوين ، قال تعالى :

١ ـ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين . (الانفال ـ ٣٠)

۲ـ انالمنافقين يخادعون الله وهو خادعهم . (۱۴۲ ـ النساء)

۳ـوالذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهممن حيث لايعلمون . (۱۸۲ـالأعراف)

۴ ـ ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لايشعرون . (النمل ـ ۵۰)

۵ـ قد مكر الذين من قلبهم فلله المكر جميعاً . (الرعد ـ ۴۲)

۶ـومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين.

(الزخرف : ۳۶)

۷ـفلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون . (الانعام ـ ۴۴)

۸ـالله يستهزيء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون . (البقرة ـ ۱۵)

قوله تعالى : **هنا لك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء** . (آلعمران ۳۸)

التفسير

هنالك للمكان، اى وفى ذلك المكان دعا ربه ، ولعله المحراب الذىدخل على مريم فيه ، والحاصلانه لما رأى .

قبول تحرير مريم مع انه انثى

واقراع الصالحين والعباد فى تكفلها

وكفالة نبى من الانبياء لها وهو نفسه

وصيرورتها من العبادات فى اقصر مدة

ونزول الرزق عليها فى محرابها

تمنى ان يرزقه الله ولداً بعدكبر سنه وعقر زوجه .

والطيب هو مايستطيبه الانسان ويوافق ميله، فان استطابته القوى العقلية كان طيباً عقليا ، كالعقائد الصحيحة ، والاخلاق الفاضلة ، والاحسان والرفق ونحوهما

من الاعمال الحسنة، وان استطابه الطبع كان طبعيا، طيباً كالاغذية اللذيذة والاشربة كذلك والالبسة الفاخرة ونحوها، وعلى اى تقدير فهو مقابل الخبيث الذى يتنفر عنه الانسان بقوته العاقلة أو بطبعه .

والولد الطيب مايستطيب العقل فكرته واخلاقه واعماله، وتستطيب الحواس جماله وصورته ، والمراد به في المقام، الولد الذى يوافق رغبة زكريا وميله وامله، من حيث الذكورة والكمال فى الجسم والعقل والاخلاق والاعمال والنبوة، وكان يحيى كذلك .

وقوله: **انك سميع الدعاء.** هل المراد به بيان ان الله يسمع الدعاء ويعلمه؟ والقبول موقوف على ارادته ومشيته وصلاح الامر فى حق الداعى والمجتمع ، أو المراد ان الله مستجيب للدعوات مطلقـا ، قضاء لحق الصفة المشبهة التى تدل على الدوام والثبوت ، الظاهر هو الثانى ، فان الدعاء لاحرمان فيه أبداً ولو لم يقبل بالنسبة الى نفس المقصود كما حكاه تعالى عن زكريا ، قال :

ولم أكن بدعائك رب شقيا . (مريم : ٤)

وفى الروايات الواردة عن أهل البيت (ع) ان الدعاء لاحرمان فيه ، فان لم يستجب فى نفس ماأراده العبد عوضه الله بدفع الشر اورفع الضر عنه فى الدنيا، أو بالاثابة فى الاخرة، ومثله قوله تعالى فى ابراهيم : «عسى الاكون بدعاء ربى شقيا» . (مريم: ٤٨)

ثم ان قوله تعالى فى هذه الاية حكاية عن زكريا حكاه الله تعالى فى سورة مريم بعبارة اخرى ابسط ، قال تعالى :

اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم اكن بدعائك رب شقيا وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من لدنك ولياً يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا . (مريم : ٦)

والعبارتان أو احديهما منقولتان بالمعنى ، وقد حذف من بعضها شىء مما

دعا ، فلاحظ قوله : « دعا زكريا ربه » . وقوله : « نادى ربه نداء خفيا » . وقوله: «هب لى من لدنك ذرية طيبة» مع قوله «هب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من اليعقوب واجعله رب رضيا » .

فان الظاهران زكريا دعاربه وناداه نداء خفيا، فحكى الله فيهذه الايةبعبارة اجمالية ، وفى سورة مريم مع التعرض بكون ندائه خفيا ، وايضاً انه سئل ربه ان يرزقه ولدا مرضيا طيبا ، ويجعلـه وليا له ووارثا يرث منه ومن آل يعقوب ، تركة الاموال والعلم والحكمة والمقام ، فنقل تعالى فيمـا نحن فيه شيئاً من ذلك ، وفى سورة مريم أكثر مما نقله هنا .

ولهذا الكلام نظائر كثيرة فيالكتاب الكريم ، مما حكاه الله تعالى عن حال الانبياء وغيرهم ، فنقل الواقعة الواحدة بالفاظ مختلفة ، فلاحظ قضية موسى بن عمران حينما جاء الى الشجرة لاقتباس جذوة ، فسمع الصوت منها قال تعالى :

فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة انياموسى انى انا الله رب العالمين .(القصص ـ ٣٢)

وقال: فلمااتاها نودىياموسى انى انابك فاخلع نعليكانك بالوادالمقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى انا الله لااله الا انا فاعبدنى »

(طه ـ ١١)

وقال : « فلمـا جائها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ياموسى انه انا الله العزيز الحكيم » (النمل ـ ١٠)

ولاحظ ايضاً التعبير الذى وقع منه تعالى فى عصا موسى وانقلابه حية قال تعالى :

« وان الق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبراً » (القصص ـ ٣١)

وقال تعالى : « قال القهـا ياموسى فالقاها فاذا هى حية تسعى قال خذهـا ولاتخف » . (طه ـ ٢٢)

« فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين » . (الشعراء ـ ٣٣)

فالظاهر ان الله تبارك وتعالى قد تكلم مع نبيه موسى بن عمران بكلمات كثيرة ، والقى اليه مطالب قد حكى بعضا منها فى سورة وبعضا اخر فى سورة اخرى ، فمن القريب ان الذى صدر منه تعالى فى توصيف نفسه لموسى كان كذا.

« انى انا ربك » «انى انا الله رب العالمين » « اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى « انه انا الله العزيز الحكيم »

ثم انه تعالى ذكر فى بعض الايات محل الوحى و موضعه ، و انه كان فى شاطىء الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة ، و فى بعضها الاخر امره بخلع النعل لانه فى الوادى المقدس ، وانه اختاره تعالى لنفسه، وفى ثالث انه تعالى قد بارك لموسى ومن حوله من الملائكة المرسلين الى حضرته وغير ذلك من التقريبات المخرجة للايات عما يتوهم فيها من التعارض والتناقض

واما التعبيرات المختلفة فى انقلاب العصاحية ، فبيانها ان الانقلاب قد وقع ثلاث مرات ، « الاولى » عند تكلم موسى مع ربه واعطائه منصب النبوة و بذله الايات الكبرى التى اكبرها العصا . «الثانية» بعد مجيىء موسى واخيه الى فرعون بحضرة فرعون و جلسائه و ملائه واشراف مملكته . « وثالثة » بعد احضار فرعون السحرة وموسى واخيه، ودعوى الناس الى الخروج اليهم ،والنظر فى امر مغالبتهم

اما التعبير فى الاولى فقوله فى سورة (طه١٧ ـ ٢٠) « وماتلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى.....قال القها ياموسى فالقيها فاذا هى حية تسعى» الى ان قال: «اذهب الى فرعون انه طغى» طه ٢٤

وقوله تعالى فى سورة(القصص ـ٣١): « وان الق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسى أقبل ولا تخف انك من الامنين .

و معنى كونها حية تسعى يوافق معنى كونها كالجان المتحرك حركة فى الاين والكم والكيف .

واما التعبير فى‌الثانية ، فقوله فى‌الاعراف ـ ۱۰۶ : «قال ان‌كنت جئت‌بآية فأت‌بهاان‌كنت‌من‌الصادقين‌فالقى‌عصاه فاذا هى‌ثعبان‌مبين...قالواأرجه‌وأخاه‌وارسل فى‌المدائن حاشرين .

واما التعبيرفى الثالثة ، فقوله فى‌الاعراف ايضاً ـ ۱۱۷ :«فلما القواسحروا اعين الناس واسترهبوهم وجائوا بسحرعظيم وأوحينا الى‌موسى ان‌الق‌عصاك‌فاذا هى تلقف ما يأفكون .

ولم يقع‌التشبيه بالحية ولابغيرها فى‌المورد الثالث‌فى‌آية الاعراف وغيرها بل‌قال تلقف ما يأفكون

قال‌تعالى: **فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى‌المحراب ان‌الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله و سيداو حصوراً و نبيا من الصالحين ؛**

آل‌عمران‌ـ ۳۹

التفسير

ظاهر الكلام ان النداء واقع من جمع من الملائكة ، لكن يمكن ان يراد به الفرد،كما يقال : سافر مع المسلمين، وان يكون نزول عدة من الملك تشريفاً للمبشر والمبشر به .

ثم انه تعالى قد ذكر ليحيى النبى‌هيهنا أوصافاً ستة .

«الاول» انه يحيى ، وحيث انه يبعد ان لايلاحظ فى تسميةالله تعالى مناسبة وارتباط ، فالاحرى ان يقال : ان الذى يستشهد فى سبيل ربه ، و فى طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فهولايموت ابدا، بل هو يحيى ابدا، فكان‌التسمية اشارة الى انه سوف يحيى اسمه وعنوانه فى الدنيا ويبقى الى الابد ، وانه‌سوف يحيى بعد قتله، فى‌عالم البرزخ، قال‌تعالى :

ولاتحسبن‌الذین قتلوا فی سبیل‌الله امواتاً بل احیاء عند ربهم یرزقون
(آل‌عمران ـ ۱۶۹)

الوصف‌الثانی انه‌مصدق‌بکلمة من‌الله، والمراد بها اما حسن الکلمة‌الصادرة من‌الله تعالی، فتشمل‌الکتب المنزلة کلها، اولها المنزل علی نوح وآخرها‌المنزل علی عیسی (ع) و هذا کان من جملة وظائف الانبیاء، فالتوراة صدقت ماقبله، والانجیل صدق التوراة والقرآن صدقهما، اوالمراد بها عیسی بن مریم کما فی قوله‌تعالی فی‌هذه‌السورة ـ ۴۳:

«اذ قالت الملائکة یامریم‌ان‌الله یبشرك بکلمة منه اسمه‌المسیح»ووجه‌تسمیته کلمةأی کلاماً لاجل انه (ع) وجد بقوله‌تعالی«کن»، أولانه‌کان کلاماکله، تکلمه وسکوته وافعاله وصفاته، فانه‌رب أحد یکون سکوته من اتم الکلمات واعلی المقامات، کما ان‌کلامه‌کذلك، فکان عیسی‌کنبینا صلی الله علیه وآله وسلم‌کلاما کله، فقیامه‌وقعوده وحرکاته وسکناته ومشیه ونظره وسماعه وجمیع اشاراته فضلا عن اقواله والفاظه وکلماته کلها، کلاما وکلمة، کما انه قد یکون الانسان بحیث یکون جمیع أقواله وکلماته سکوتا وابهاما غیرنافع وغیر مفید، وقد بین فی‌علم الاصول ان فعل المعصوم‌کقوله وتقریره حجة، وهذا یؤید ماذکرناه.

الوصف الثالث‌انه سید وهو‌المتولی‌لامر جمع من‌الناس یسودهم‌ویسوسهم ویدبر امورهم، وکان یحیی سیدا علی ملة‌کبیرة کما هو مقتضی نبوته، والظاهر ان هذا الوصف بیان لمرتبة امامته وزعامته للامة، وهی غیر مرتبة النبوة، وایضاً فهو اما وصف استعدادی لم یخرج الی مرتبة الفعلیة ابدا لاستشهاده قبل عیسی ولم یکن لـه امامة فعلیة فی زمانه، او انه کان متصدیا لامر المجتمع منصوبـاً من قبل عیسی اماماً لجوامع بنی اسرائیل، وکان عیسی سیاحا یدور فی البلدان لهدایة العامة.

الوصف‌الرابع انه‌کان حصورا، والحصر‌المنع کمافی‌قوله تعالی:«وجعلنا

جهنم للكافرين حصيرا» (الاسراء ـ٨) اى حابسا مانعا ، والظاهر ان المراد به‌ليس خصوص‌عدم تزويجه فى‌عمره، بل كونه حاسبالنفسه عما تشتهيه من الملاذالدنيوية والمشتهيات النفسانية ، فان افضل صفات النفس واكمل درجة الرقى فى الانسان تسلط قوته‌العاقلة على‌نفسه وميولها وقواها وشهواتها وهواها، فيحبسها عمايخالف كمالها ورقاها فى مراحل العقائد والاخلاق والاعمال .

« فان قلت » : ان معنى ذلك رجحان ترك التزويج وكذا ترك الانتفاعات بما رزق الله‌الانسان فى‌الدنيا، مع انه تعالى‌يقول: « قل‌من‌حرم زينة الله‌التى‌اخرج لعباده والطيبات من الرزق » (الاعراف ـ ٣٢)

« قلت » : مع انه يمكن القول بكون ترك التزويج راجحا فى زمانه ، فان زمانه وزمان عيسى (ع) كان من‌الازمنة التى مالت النفوس‌الى الدنيا ميلاشديداً ، ورغبوا فى الشهوات والملاذ النفسانية ، فاقتضى تشريع العصر منع بعض‌الملاذ أو اكثرها غير مااقتضته ضرورة المعاش .

مع انه يمكن ان يقال : ان من وظائف الامام وزعيم الامة اذا رأى الامة والمجتمع راغبين الى‌الدنيا، مكبين عليها حرصاً فى تحصيلها، ان يحرم على‌نفسه بعض مااحله الله اولاوبالذات، لكى يقدرعلى ردع‌الناس فى‌المحرمات ويزجرهم عن الشهوات .

الوصف‌الخامس. انه نبى‌مبعوث آتاه الله الحكم صبياً، وجعله من‌المنبئين عن الله تعالى وان‌كان تابعا لعيسى ومؤمنا به .

الوصف السادس، انه من ذرية الصالحين من‌الانبياء والعباد، لان نسبه‌يصل الى داود وهو الى يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام .

قال تعالى : **قال رب انى يكون لى‌غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل مايشاء (٤٠) قال رب اجعل لى آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الارمزاً واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والابكار .**

(٤١ آل‌عمران)

التفسير

يظهر من سئوال زكريا هذا وتوجيه خطابه الى ربه تعالى، انّنداء الملائكة لم يكن مقروناً برؤيته لهم والتكلم معهم ، بل نادوه من حيث لايراهم، ولعله كان غير شاعر بان المنادى الملك ، ولذلك وجه خطابه فى الجواب الى ربه، وحيث كان تبشيرالملائكة باذن الله تعالى وامره‌اسنده فى‌الاية السابقة الى الملائكة، وفى الاية السابعة من‌سورة مريم الى نفسه، قال تعالى :

«يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى» (مريم ـ ٧) فلاتخالف بين‌الايتين.

ثم ان‌السئوال وقع استعجابا وسروراً لاانكاراًواستبعادا ، فان ذلك لايناسب منصب النبوة ، ولوكان الامر كذلك لما سئل الولد اصلا ، فالسئوال للاستعجاب واستفهام كيفية اعطائه بعد كبر سنه وعجزه عن مباشرة النساء وكون امرأته عاقرا، فسئل عن انه هل يرجع سنه الى الشباب ؟ او توجد فيه حالة الشباب ؟ وكذا فى امرأته ، او انه يرزقه تعالى زوجا غيرها ، او نحو ذلك من الاحتمالات .

ويظهر من قوله تعالى : « وقد بلغت من الكبر عتيا » (مريم ـ ٨) انه قد بلغ كبره فوق حد المعتاد، ونقل انه عمره كان مأة وعشرين سنة ، وعمر زوجه نيفاً وتسعين ، والايـة لاتدل على غير عقرها ، الا ان الاية الثامنة من سورة مريم لاتخلو من الاشعار بكبرها ايضاً لقوله تعالى : « وكانت امرأتى عاقرا » اى كانت فى وقت اقتضاء سنها للولادة عاقرا فكيف بها وهى كبيرة .

وقوله : « **قال كذلك الله** » مبتدء وخبر ، اى ان الله كذلك يفعل مايشاء ،

اى اذا تعلقت مشيته على فعل شيء ولايمنعه مانع .

قوله تعالى : **قال رب اجعل لی آية قال آيتك الاتكلم** آه

لماذا سئل زكريا علامة وآية ؟ أكان عليه السلام فى موضع شك وترديد من النداء الواصل اليه ؟ وانه هل هو خطاب رحمانى صادر من عند الله بواسطة الملائكة اولا بالوساطة او هو خطاب شيطانى ألقاه الخبيث على قلبه ، فسئل الاية لرفع هذا الترديد ؟

أم سئل الاية والعلامة لمعرفة زمان انعقاد النطفة وحصول العلوق كما ذكره الرازى فى تفسيره ، او لمعرفة زمان الولادة ، فيه وجهان .

يمكن القول بالاول وحينئذ ، يتوجه الاشكال بانه كيف يمكن للنبى ان يجيب المنادى بقوله : «رب أنى يكون آه » وقوله : « رب اجعل لى آية » مع تجويزه كونه شيطانا والنداء وسوسة؟ لكنه مدفوع بامكان القول بعلمه ان النداء من الله، وسئوال الايةلطمأنينة القلب، كما فى قول ابراهيم بعدسئواله احياء الموتى: « ولكن ليطمئن قلبى » .

وقوله : « **الا تكلم الناس آه** » اى نحرم لك التكلم تشريفا ، اولا تقدر عليه ، وهذا لا فرق بين ان تكون الايةآية لصدق التبشير اولانعقاد النطفة أو لقرب الولادة .

وقوله: «ثلثة أيام الارمزا» قدعبرتعالى هيهنا بالايام وفى سورة مريم بقوله: «ثلث ليال سويا» . ولليوم اطلاقات ثلثة، النهارمقابل الليل ، والليل والنهار كلاهما، وبمعنى الدهر اى المدة الطويلة غير المحدودة، وليس المراد هنا الأخير ويحتمل أحد الاولين ، وعلى الاول فالمراد مع لياليها وكذا الكلام فى كلمة الليل .

والظاهر انمفاد الاية لم يقع الامرة واحدة بلغة السريانية ، فحكاه الرب تعالى فى مورد بلفظ وفى آخر بلفظ آخر، ومايقال: من انه لايخفى عليك الارتباط المعنوى بين الاية وهى عجز اللسان عن التكلم بغير ذكرالله وذى الاية اعنى تولد نبى يأمر بالمعروف ويضحى نفسه فى طريق ذلك ، كماحكى ان فى ليلة ولادة النبى الاعظم

محمد صلی‌الله عليه‌وآله خرس ملوك الدنيا يوما اوايام، ففی‌ذلك ايماء الی‌ذهاب الباطل عندمجيیء الحق، وان‌كان بين‌المقامين فرق من‌جهة‌اخری ، غير سديد .

ثم انه نقل عن انجيل لوقا ان‌جبرئيل قال لزكريا : «وهاانت تكون صامتاً ولاتقدران‌تتكلم الی‌اليوم الذی يكون‌فيه‌هذا لانك‌لم‌تصدق كلامی‌الذی‌سيتم‌فی‌وقته وظاهره‌ان‌عجزه عن التكلم حدث حين‌سؤاله الايه‌وبقی الی‌ولادة يحيی، وانه‌كان ذلك‌عقوبة سؤاله ، وقدعلل بعض المفسرين من‌المسلمين ايضا العجزبكونه عقوبة عاقبه‌الله تعالی بهالطلبه الاية بعد تبشيرالملك ، فتبع كلام الانجيل غفلة عن بطلانه

وقوله : «واذكر ربك‌كثيراً ، وسبح بالعشی والابكار» العشی من الظهر الی الغروب ، أووقت العصر، والابكار من الصباح الی الضحی .

قوله تعالی: **واذ قالت الملائكة يامريم ان‌الله‌اصطفاك‌وطهرك واصطفاك علی نساء العالمين (٤٢) يامريم اقنتی لربك و اسجدی واركعی مع الراكعين(٤٣) ذلك من‌انباء الغيب نوحيه اليك وماكنت‌لديهم اذيلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وماكنت لديهم اذ يختصمون (٤٤) » .**

(آل عمران)

التفسير

الانسان يقع مورداً لمخاطبة اشخاص

الاول منهم هو الرب تعالی ، اما الانبياء منهم فالله يتكلم معهم‌باحدی‌الطرق الثلث :

كما سيجیء ، وهی ايحاء خاص يتعلق بهم ، واما غيرهم ، فله‌تعالی ايحاء عام يتكلم بذلك مع الاناسی كلهم ، بل وغيرهم من الملك والحيوان والجماد

قال تعالی : اذيوحی‌ربك الی الملئكة انی معكم » (الانفال-١٢)

وقال: « واوحينا الی ام‌موسی ان‌ارضعيه » (القصص -٧)

و قال : « و اوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا »
(النحل - ۶۸)

وقال : « يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها» (الزلزال -۵)

وقال : «وماكان لبشران يكلمه الله الاوحيا اومن وراء حجاب اويرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء انه علىّ حكيم » (الشورى - ۵۱)

فانه يشمل القسم الاول من التكلم فى هذه الاية جميع الانسان من الانبياء وغيرهم الاان الفارق بينهم ان الذى يوحى الى الانبياء بحسب الغالب هو الاحكام الشرعية والشرايع الكلية الالهية.والذى يوحى الى غيرهم هو الامور الجزئية والموضوعات الخارجية كما فى الايات قبلها فلاحظ،ما اوحى الله تعالى الى انبيائه . قال تعالى :

« بما اوحينا اليك هذا القرآن» (يوسف -۳)

« ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا«(النحل -۱۲۳)

« وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة اه»
(الانبياء - ۷۳)

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى اوحينا اليك »
(الشورى - ۱۳)

وهنا فارق آخر هو ان الانبياء يحصل لهم اليقين بصحة الوحى وكونه من عندالله تعالى بمجرد حصوله، وليس غيرهم كذلك بل هوفى حقهم مجرد القاآت باطنية يمكن ان يترددوا فيها ويشكوا فلا بد ان يرجعوا الى ماعلموه من الشرع والعقل فيوازنوا بهما حتى يحصل لهم الاطمينان بالصدق.

الثانى ممن يتكلم مع الانسان الملك، فهو ايضاً يتكلم مع الانبياء وغيرهم، قال تعالى :«اويرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء» الشورى-۵۱

وقال تعالى:«فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً....قال انما انارسول ربك لاهب لك غلاما زكياً» مريم- ۱۹ .

وقال تعالى:«فنادته الملئكة وهوقائم يصلى فى المحراب » آل‌عمران- ٣٩
وقال تعالى: «واذقالت‌الملائكة يا مريم» آل‌عمران- ٤٢
الثالث الشيطان ، فقد سمى‌الله تكلمه معه قولا ووحيا ووعدا وامرا ووسوسة ونحوذلك .

قال تعالى: «كمثل الشيطان اذقال للانسان اكفر» الحشر -١٦
وقال تعالى: «وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم»الانعام- ١٢١
وقال تعالى: «يعدهم ويمنيهم ومايعدهم الشيطان الاغرورا»النساء-١٢٠
وقال تعالى: «الشيطان يعدكم‌الفقر ويأمركم بالفحشاء» البقرة - ٢٦٨
وقال تعالى : «يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس» الناس - ٥
الرابع الجن، فيستفاد من موارد من القرآن امكان ارتباطهم مع الانس ، وتكلمهم معهم .

قال تعالى : « قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك » النمل - ٣٩

«وانه كان‌رجال‌من الانس يعوذون برجال من الجن‌فزادوهم رهقاً»الجن-٦
«واذ صرفنا اليك نفرا من الجن» الاحقاف - ٢٩
الخامس الحيوان، قال تعالى :
«وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير» النمل-١٦
« حتى اذا اتوا على وادى النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون فتبسم ضاحكاً من قولها» النمل- ١٩
«فمكث غير بعيد فقال احطت بمالم تحط به» النمل- ٢٢
السادس اجزاء العالم كلها جمادها ونباتها وغير ذلك ، فانها كما تسبح لله تعالى : وتقدسه ، كذلك تتكلم‌مع الانسان بلسان حالها، اما تسبيحها فقدقال‌تعالى:
«يسبح لله مافى السموات ومافى‌الارض »الجمعة -١

وقال :«وان‌من شيء الا يسبح بحمده» الاسراء - ۴۴

وقال :«انا سخرنا الجبال معه يسبحن»ص-۱۸

واماتكلمها مع الانسان فلم نجدله شاهدا من الكتاب الكريم، الاانه ورد في بعض الاخبار مخاطبة الارض وبعض الايام والليالي وغيرها للانسان، ووعظها وتحذيرها اياه

وقوله تعالى :«**ان الله اصطفاك وطهرك آه**» يمكن ان يكون المراد بالتطهير هنا هو تطهيرها من حيث الجسم تطهيراً ذا ابعاد ثلثة، اى من العيوب و الامراض والادران ومن حيث الروح ايضا كذلك، اى تطهيرها من العقائد الباطلة والاخلاق الرذيلة والاعمال القبيحة، وكذا التطهير من حيث النسب والاهل، كما حكاه تعالى في سورة مريم عن قومها حيث قالوا: «يا اخت هرون ماكان ابوك امرء سوءوما كانت امك بغيا» .

واما الاصطفاء، فالمراد بالاول منه اصطفائها بنفسها ببعض الكمالات والفضائل ولو كان تشرك فيها معها عدة آخرون، كقبول تحريرها لخدمة البيت ،وتكفل زكريا حضانتها وحفظها ، وصيرورتها عابدة بل اعبد من غيرها، و حضور الرزق عندها في محرابها ، وتكلم الملائكة معها.

واما الاصطفاء الثاني ، فالظاهر ان المراد به حملها بعيسى و ولادتها بنحو غير معتاد اى بلا زوج، وهي في هذه الفضيلة مفضلة على جميع العالمين.

فالاية مسوقة لبيان وصف طهارتها واصطفائها في نفسها مع قطع النظر عن المقايسة بغيرها ، واصطفائها بالنظر الى مقايستها بغيرها ، والاصطفاء الاول والتطهير المذكور قدحصلا متقارنين في ازمنة عمرها والاصطفاء الثاني متأخر فتقديم ايهما لابأس به .

وقوله:«**يامريم اقنتي لربك واسجدي آه**»

القنوت الطاعة المقرونة بالخضوع، والسجود هنا بمعناه المصطلح الشرعي والركوع الصلوة ، فأمرتها الملائكة بالطاعة لله مطلقا، ثم بالفرد الخاص منها ، ثم

بالفرد الاكمل وهو الصلوة مع العباد وفى زمرتهم او باقامة الصلوة جماعة .

وقوله: **«ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك آه »**

ذكر تعالى بعد بيان ان‌الله اصطفى آدم‌ونوحا آه، قصصاً اربعا، احديهاقصة حنة امرئة عمران وبينها فى آيات ثلث ، وثانيتها قصة زكريا واتمهافى اربع آيات وثالثتهاقصة مريم و اوضحها فى خمس آيات ، ثم اشار الى قصة عيسى فى عشر آيات، ثم انه تعالى بعدماحكى شيئاً يسيرا من حال مريم، بين لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان الانباء المذكورة من‌قبيل الغيب الذى لم يطلع عليه احد فى‌عصره، واوحاه‌الله تعالى اليه، واشار فى‌ضمن‌هذا البيان الى‌شىء من‌حالات مريم‌فى‌صغرها وان العباد اوسنة البيت قداجتمعوا فتنازعوا فى تكفلها حتى آل‌امرهم الى‌الاقتراع فاصابت القرعة زكريا .

ثم انه قد يقال : ان المراد بنفى حضور النبى صلى‌الله عليه و آله وسلم عند تلك الواقعة اثبات ان مايخبربه كله من‌عندالله فان اهل الكتاب كانوا مقرين بانه صلى‌الله عليه وآله‌وسلم لم يقرء الكتاب ولم يرو الاخبار عن احد ، اذا فيكون الجميع‌عندهم ايضا من الغيب الذى القاه‌الله اليه .

« ان قلت » : كيف يمكن دعوى اعترافهم بذلك ؟ مع ما حكى الله عنهم فى قوله :

«وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا» الفرقان-٥

وفى‌قوله:«ولقدنعلم انهم يقولون انمايعلمه‌بشرلسان‌الذى‌يلحدون اليه‌اعجمى وهذا لسان عربى مبين» النحل- ١٠٣

«قلت»: الايتان مكيتان ، نقل‌فيهما افتراءالمشركين على‌النبى صلى‌الله عليه وآله‌وسلم ، ولم‌يعلم القول‌به من اهل الكتاب الذين‌عاصروا النبى فى المدينة فى زمان‌نزول الاية‌المبحوث عنها،بل الظاهر انهم‌كانوا يعلمون عدم‌قرائة النبى‌الكتب وعدم‌اخذه العلم‌عن احد، فانهم‌كانوا يعرفونه‌كما يعرفون ابنائهم ، وكانوا يعلمون

انهصلى الله عليهوآله وسلم لم يأخذ ذلك من كتبهم ايضاً، فانغالب ماذكره الله من القصص لم يوافق كتبهم المحرفة اولم يكن موجودا فى كتبهم مع انه تعالى فى الاية الثانية قدردعليهم بان لسان الذين نسبوا تعليم النبى اليهم أعجمى والقرآن عربى مبين، فكيف يمكن اخذه العلم منهم ؟ .

وقوله : «**وماكنت لديهم آه**» . الاقلام هنا هى القداح المبروئة للقرعة ، فكانوا يلقونها فى النهر القليل الماء ، فمن رسخ قدحه فى الطين نال مطلوبه ، اوكانوا يلقونها فى ظرف او كيس ، فيخرجونها على الترتيب ، والظاهر ان اختصامهم قبل ان تصل النوبة الى الاقتراع ، ويحتمل ان يكون بعده فى اتهاب بعض حق الاخر ونحو ذلك .

قال تعالى : «**اذقالت الملئكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والاخرة ومن المقربين ٤٥ ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين**» آل عمران ـ ٤٦

التفسير

القول الملقى الى مريم صادر من عدة من الملئكة، اذالكلام بشارة، والمبشر هو الرب تعالى والمبشر مصطفاة مطهرة محدثة ، والمبشر به نبى من الانبياء ورسول من اولى العزم منهم له كتاب سماوى وشريعة واحكام .

ويظهر من الايات ان مريم لم تكن تعلم ان الخطاب من الملئكة ، بل كانت تتخيل ان الله خاطبها بعنوان الغيبة دون التكلم ، ولذلك وجهت خطابها الى الله دون الملئكة فى جواب المنادى .

ثم ان صاحب تفسير المنار قال: ان المراد بالملئكة هنا الروح جبرئيل لقوله تعالى فى سورة مريم :

«فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراسويا» ١٩ـلكن الظاهر خلافه وان اختاره

بعض الاعاظم ايضا، فان هذه الاية بيان لحصول البشارة وانها وقعت بواسطة عدة من الملئكة كماهو ظاهر اطلاق لفظ الجمع ويؤيده وقوع السؤال منها بنحو توجيه الخطاب الى الله تعالى دون الملئكة ، فسألت عن انه كيف يمكن حصول الولد مع عدم زوج لها؟، ولايناسب هذا سياق الايات الواقعة في سورة مريم وان كان اللازم حينئذ القول بتكرر وقوع السؤال منها عن كيفية التولد مع عدم مساسها بشرا ، وبالجملة مقتضى ظاهر الايات هنا وهناك ان مجيىء الملئكة للبشارة وقع في وقت ، ومجيىء الرسول الواحد لتنجيزه البشارة وقع في وقت آخر ، مع فصل زمان بينهما غير معلوم المقدار .

ثم انه تعالى قد عد لعيسى من الاوصاف والافعال ثمانية عشر امرا، والظاهر ان الجميع مما اخبرت بها الملئكة مريم ، فبعضها قبل استعجابها عن حال تلك الولادة ، وبعضها بعده ، وهي عبارة عن الامور التالية :

١- الكلمة ٢ - المسيح ٣ - عيسى ابن مريم ٤ - الوجيه في الدنيا ٥ - الوجيه في الآخرة ٦ - من المقربين ٧ - يكلم الناس في المهد ٨ - يكلمهم كهلا ٩ - من الصالحين ١٠ - يعلمه الله الكتاب والحكمة ١١ - الرسول الى بني اسرائيل ١٢ يصور الطير ويحييه بالنفخ ١٣ - يبرء الاكمه ١٤ - يبرء الابرص ١٥ - يحيى الموتى ١٦- ينبىء بما يأكلون ويدخرون ١٧- مصدق للتوراة ١٨ - محلّل بعض ماحرمه الله من قبل .

وذكر المفسرون في اطلاق الكلمة عليه وجوها لايخلوا كثرها من النظر بل التعسف ، ويمكن القول : بان المراد بها هو ماذكرناه آنفا في ذيل الاية ٣٩ بان عيسى كلام الهي وكتاب تكويني ناطق، وانجيله كلام الهي صامت ، فهو كلمة الله اى كلامه ، وقد سمعت تقريب كونه كلاما .

ويمكن ايضا كون المراد انه المتولد بكلمة الله اى كلمة الايجاد وهي قوله تعالى : «كن» اذا شاء ايجاد شيىء : وقد بين تعالى كيفية ايجاد الاشياء وحصولها

بكلمة « كن » في موارد من الكتاب الكريم ، قال تعالى :

« وقالوا اتخذ الله ولـدا سبحانه . . . بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون » البقرة ـ ۱۱۷

وقال تعالى : « انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون » النحل ـ ۴۰

وقال تعالى : « انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون » يس ـ ۸۲

« فان قيل » : ان لازم ماذكرت كون كل شيىء من الموجودات كلمة الله تعالى، وهواصطلاح غيرمأنوس، مع انه لايكون ذلك حينئذمدحا لعيسى ابن مريم، لان كل موجود كذلك ، وظاهر الاية كونها في مقام مدحه والتبشير بوجود ولـد متصف بهذا الوصف .

«قلنا» : لااشكال في كون كل شيىء كلمة الله تعالى بهذا المعنى ، واما كون ذلك مدحا لعيسى فلاجل تكونه على خلاف الطريق المعتاد في خلق الانسان، وحصول ذلك بنفخ من الملك لابالنكاح والزواج ، وهذه فضيلة خاصة به ليست في غيره .

ثم ان ماذكرنا من معنى كلمة الايجاد وتطبيق الايات السابقة عليه مبنى على ماذكره بعض المفسرين في تلك الايات ، لكن فيه مالايخفى ، اذ يصعب الالتزام بان خلق كل شيىء من الاشياء لايحصل الا بكلمة كن ، وما هو معنى تكلمه تعالى بهذه الكلمة ؟ فان كلامه عبارة عن خلق الصوت ، فما الحاجة الى خلق الصوت، عند خلق الاشياء ؟ ، مع انه يلزم خلق صوت آخرعند خلق هذا الصوت وهكذا فيلزم التسلسل .

فالاولى ان يقال : ان قوله تعالى : « ان نقول له كن » لبيان انـه تعالى ابى ان يجرى الامور الابالاسباب ، فادراج كلمة كن في المقام لبيان انه اذا اراد شيئا هيأ اسبابه واوجدها فيوجد المسبب ، او لبيان ان الله اذا اراد شيئا اوجده بايسر نحو يتصور في الخلقة حيث ان ايسر الاسباب في ايجاد شيء للانسان لوكان قادراً

هو ايجاده بالامر بالكـون ، فالله يوجد الاشياء بايسر طريق الايجاد ، ولعله نفس الارادة .

واما المسيح فهو فعيل بمعنى الفاعل ، لانـه كان يمسح ذوى العاهات بيده فيبرئون،اوكان يمسح مرضى القلوب بارادته وحنانه فيبرئون عن آفة العقائدالباطلة والأخلاق الرذيلة، ويمكن كونه بمعنى‌المفعول فانه‌كان ممسوحا بالبركة من‌جانب الرب تعالى ، حيث يقول : « وجعلنى مباركا اينما كنت » .

وعيسى مقلوب يسوع بمعنى المنجى اوبمعنى يعيش .

وقوله : «**وجيها فى الدنيا والاخرة**» الوجيه ذو الشرف والمكانة والجاه، وكونه كذلك فى الدارين واضح .

ثم ان الدنيا عبارة عن دار يعيش فيها الانسان وازمنة حياة له قد نمى ونتج فيها كل بذر اودع فى طينته من عالم الرحم ، فان هنالك‌اذ كان نطفة امشاجا قد زرعت فى روحه وغرست فى‌مغرس جبلته صفات واخلاق وسجايا حسنة اوقبيحة مما اودعه الرب تعالى وفقا لنظام‌التكوين ورعاية لمصلحة التدبير، اوزرعه‌الابوان وكذاكل خليط اختلط فى ذاته من ناحية افراد مجتمعة من غير شعوره بذلك .

وبالجملة اكثر العقائد والصفات التى تظهر فى الدنيـا فى الانسان حصائد ونتائج مما عجنت بـه الطينة فى عالم الرحم ، فالدنيـا دار تنمو فيه تلك البذور والمغارس ، الا ان الله تعالى قد اودع فى المكلف قوة عاقلة مسلطة ، له ان يدبر امرالطينة ومزارع البذور ومغارس‌الاشجار، فيبقيهاوينميها ويبريهااويقطعهاويزيلها ويزرع فى‌مكانها شيئا آخرمن عقائد وفضائل ورذائل، فوجودها الجبلى‌والطبيعى ليس بنحو العلية التامة فى الانتاج الدائم فى الدنيا ، قال تعالى :

«اناخلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه‌فجعلناه سميعابصيرا اناهديناه السبيل اما شاكرا واماكفورا » الدهر ـ ٣

فالامشاج‌المختلطات من امور ومواد ، والابتلاء يكون باعطاء العقل المميز

المدرك عن طريق السمع والبصر، ثم أيد ذلك بارسال الرسل والكتب، وهو الهداية الى السبيل ، هذا هي الدنيا .

واما الاخرة فهى الدار الاخرى ، والزمـان بعد هذا الزمان ، يستنتج فيها ويحصد مااودعه الانسان فى نفسه فى هذه الدنيا، فان كل مااعتقده من العقائد، واتصف به من الصفات والملكات، وعمله من الاعمال فى دنياه لها تأثير خاص فى النفس وتوجد فيها حالات تظهر نتاجها فى الآخرة، وتتصف الروح بها فى تلك الدار، وكما لايمكن ظهور البذور المودعة فى الرحم قبل الخروج عنه ، اذ ليس فى المحل المزروع وفى محيط الرحم قابلية تلك التنمية والرشد والتكامل والظهور ، فكذا لايمكن اتصاف الروح بمااقتضته الاخلاق والاعمال الابعد خلع هذا البدن وطرح هذا اللباس، ثم الخروج عن هذا المحيط غير القابل ليظهر صفات الروح فى بدن آخر يناسب تغيرها وتبدلها وصفاتها .

وذلك كما فى القالب المثالى فى بعض النفوس، وهى التى تكون حية متنعمة او معذبة فى البرزخ ، او فى البدن الدنيوى الذى قد صور فى القيمة وسوى بنحو يدوم ويبقى ولا ينعدم ولا يفنى ، وذلك لعدم امكان ظهور نتائج العقائد والاعمال فى هذه الدار الصغيرة الفانية المنصرمة، وكيف يعقل ظهور نتائج الاعمال الدنيوية الحسنة التى لايمكن ترتبها الافى آلاف من السنين أو الاعمال السيئة التى هى كذلك.

ثم ليعلم ان انتاج القوى المودعة فى الدنيا فى عالم الاخرة قد يكون بنحو العلة التامة غير القابلة للانفكاك ،كما فى انتاج الايمان والكفر والشرك وسائر العقائد الاصولية بل والاعمال الصالحة ، وقديكون بنحو الاقتضاء مع قابلية الانفكاك كما فى انتاج الصفات الرذيلة والمعاصى الكبيرة والصغيرة مع بقاء الايمان، اذ هى تقبل الانفكاك بحيث لايترتب عليها آثارها السيئة فى الاخرة اما بدعاء المؤمنين او ببعض اعماله الصالحة الباقية فى الدنيا كما قال تعالى .

«ونكتب ماقدموا وآثارهم» (يس–۷) واما بواسطة الشفاعة المسلمة وقوعها فى الاخرة .

وبالجملة الدنيا هى الدار القريبة منا والزمان الواقع فيه ظهورنتائج عالم الرحم المودعة فى‌الروح والنفس بيدالرب الجليل، أودخالة نفوس آخر من‌الاب والام والشيطان وغيرهم .

والاخرة هى الدار البعيدة منا بالاضافة الى الدنيا ، والزمان الذى يحدث فيه نتائج البذور المودعة فى النفس والمغروسة فيها بيد الانسان نفسه وبنظارته وتدبيره .

وقوله تعالى : « **ويكلم الناس فى المهد وكهلاآه** » .

لااشكال فى‌كون التكليم فى المهد بنحو الاعجاز ، ولوفرضنا وقوعه بعد مضى سنة أو سنتين من عمره اى فى وقت امكان التكلم لكل صبى ، فان المراد به الكلام مع‌الناس بمقتضى‌افهامهم وتناسب عقولهم، وهذا لايتيسر للصبى‌المتكلم فى بدء امره مع ان الايات فى‌سورة مريم تدل على وقوع التكلم عقيب‌الولادة ، قال تعالى :

«فاتت به‌قومها تحمله‌قالوا يامريم‌لقدجئت شيئافريا(۲۷)الى‌ان‌قال: «فاشارت اليه قالواكيف نكلم من‌كان فى المهد صبيا (۲۹)

واما التكليم‌فى‌حال الكهولة فذكره فى‌الاية الشريفة لابد من‌ان يكون لبيان امرهام ونكتة لطيفة ، فقد قيل : ان الغرض التشبيه وكون تكلمه فى صباه كتكلمه فى كهولته .

والظاهر ان المراد بالكهولة هو كمال الانسان فى قواه البدنية وتفكيراته الروحية ، وذلك يكون بطبع الحال بعدأربعين من سنى‌العمر، والاية مصرحة بان عيسى يكلم الناس فى وقتين ، وظاهرها وقوع الفصل الزمانى بين الوقتين‌بتخلل عدم التكلم معهم فيما بين ذلك ، فهى تشير الى مادل عليه احاديث اهل البيت من ان‌المسيح ينزل حين‌ظهورمولانا المهدى عجل‌الله‌تعالى‌فرجه، ويصلى خلفه‌جماعة، ويكون من اعوانه على دينه وانصاره على الحق :

والظاهران مجيئه عندئذ يكون مع كمال‌قوته‌البدنية والروحية وهى‌الكهولة

كماان مولانا المهدى ايضايكون كذلك، ولا ينافى ذلك كثرة سنهم من جهة العمر العادى كبلوغ سن مولانا الحجة عجل الله تعالى فرجه الى ۱۲۵۰ تقريبا ، وسن عيسى الى۱۹۷۶ ، ويربوا عليهما سن الخضر النبى ، و لعله يبلغ ثلث آلاف سنة أو اكثر .

وقوله « **ومن الصالحين**» اى فى عقائدهم واوصافهم الروحية واعمالهم ، فينطبق الانسان التام الكامل فى جميع تلك الجهات على الانبياء ، فالاية تشيرالى كونه من نسل الانبياء والمرسلين ، وهو كذلك ، اذينتهى نسبه الى اسرائيل واسحق وابراهيم عليهم السلام .

قوله تعالى : **قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون (۴۷) ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل (۴۸) ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم باية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطيرفانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وابرىء الاكمه والابرص واحى الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وماتدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين** (آل عمران ۴۹)

التفسير

ظاهر سئوالها انها علمت بهبة الولد لها من غيرطريق الزواج، كما ان الجواب ايضا يؤيد ذلك . فان قوله كذلك خبر مبتدء محذوف اى الامر كذلك او كذلك الله وقوله يخلق ما يشاء بيان للجملة قبله ، ومعناه ان الله اذا شاء خلق شىء خلقه واوجده بلاعجز فى ذلك ولا قصور ، و قوله : «اذا قضى امرا» بيان لكيفية خلقه بعد تعلق مشيته به وانه يقع باسهل طرقه ، كما اذا اوجد الناس شيئا بمجرد الامر بالوجود كما ذكر آنفا . والقضاء هنا بمعنى الارادة والمشية، والامر بمعنى الشىء ، والضمير

المجرور فی قوله : «له» يرجع الى الشیء ویراد به الماهیة ، فان الامر بالوجود الخارجی لان یوجد طلب لحصول الحاصل والوجود الذهنی لایکون فی المبدء تعالی بنحو یسانخ حالنا کما هو واضح

ثم ان ظاهر الایة علی ما استفاده عدة من المفسرین ، کون اعطاء الولد لها بنحو الاعجاز وخرق الطبیعة ، ولکن نقول ان فیه مذهبین

«الاول» کونه کذلك ای بنحو الاعجاز بان یقال : قد تکون الجنین فی رحم مریم دفعة او تدریجا من غیر طریق العادة ، ولاعلی سبیل الاعتیاد ، بل بایجاد المادة البدنیة اولا ونفخ الروح فیها ثانیا ، او بایجادهما دفعة واحدة ، فعیسی امر وشییء قضاه الله ، وقال له «کن» فوجد وکان، ویظهر ذلك ایضاً عن قوله تعالی فی سورة مریم :

«قال كذلك قال ربك هو علی هین ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا (٢١) فحملته فانتبذت به مكانا قصيا (٢٢) فاجائها المخاض الى جذع النخلة (٢٣) .

ومن قوله تعالى : «والتی احصنت فرجها فنفخنا فیها من روحنا و جعلناها وابنها آية للعالمين الانبياء -٩١

وقوله : «ومريم ابنت عمران التی احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا » التحريم -١٢

و الکل ظاهر فی کون اعطائها الولد من غیر طریق العادة ، بل وجد فی رحمها بالنفخ فیه اوفیها .

«الثانی» کون الاعطاء جاریا علی قوانین الطبیعة لاخارقالها، ویمکن تقریب هذا القول وان لم یأت صاحبه بامر واضح ، بان التجارب العلمیة الحاصلة فی العصور الاخیرة قد اثبتت بحیث لم یبق لاربابها مریة وتردید ، ان الاناث من الحیوانات قد تحمل وتلد بلامساس الذکور من جنسها ، وذلك لان الجراثیم الصغار

الموجودة فى نطفة الذكور المسماة عندهم بـ «اسپر ماتوزوئيد» التى هى مبدء تكون الانسان مثلا ، لابد ان تجتمع وتختلط مع ما هو موجود فى نطفة الاناث الموسوم بـ«اول»، وقداثبتت التجربة انه قديكون كلاالنوعين منها فى نطفةالاناث، الاان انصباب نطفتها فى رحمها لايكون الابسبب ، فقد يتحقق بعروض التخيل الذهنى ، وقديكون برؤية الذكور ، فتتحرك شهوتها ، وتصب النطفة فى رحمها، وينعقدالولد .

وحينئذ يمكن ان يقال : ان تذكرمريم من كلام‌الله‌او كلام الملك امرالولادة قدانجرالى تصور امرالمواقعة ، فصار سببا لذلك ، اوان‌رؤية الملك بصورة البشر اورثت ذلك ، فانعقدت النطفة فى رحمها ولدا ، وليس فى آيات مريم‌دلالة على كون ذلك فى‌ساعة واحدةاوساعات مثلا ،كماعن‌ابن‌عباس ، قال: ليس بين‌الانتباذ والحمل الاساعة ، و استدل على ذلك بوجود الفاء فى قوله تعالى : « فحملته . فانتبذت، فاجائها المخاض‌آه» ، بل قد ورد فى‌اخبار اهل البيت عن مولانا الباقر عليه السلام: انه كانت‌مدة‌حمل‌عيسى كحمل الحسين‌بن‌على بن‌ابيطالب‌عليهم‌السلام ستة اشهر

وقوله تعالى :**«ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل »**

الكتاب اما يراد به جنسه اى‌الكتب المنزلة من‌عندالله على الانبياء كلهم ، فذكرالتوراة والانجيل‌بعده‌تخصيص بعدتعميم، اوالمراد به‌الكتابة والخط، ويؤيده مقارنته‌بالحكمة ، فعلمه‌الله‌الكتاب والعلم كماقال تعالى فى‌سورة العلق :

«اقرءوربك الاكرم الذى علم بالقلم علم‌الانسان مالم يعلم » ۳

واما الحكمة فهى اما الاحكام الشرعية الالهيةمن‌الاصول الاعتقاديةوالفروع العملية والاخلاقيات ، وبعبارة اخرى‌هى‌الدين الذى‌جاء به عيسى فان‌جميع الدين واحكامه ينقسم الى هذه‌الانواع الثلثة .

اوهى عبارة عن الاحكام التى يستقل العقل بها ويحكم برجحانها، اوقبحها

وهذا المعنى يقرب من الاول، الا ان بينهما عموما من وجه، اذ قد لا يدرك العقل بعض احكام الشرع ، وقد يحكم بشيء لا يمضيه الشرع وان كان نادرا

وذكر الله تعالى فى سورة الاسراء عدة من الامور والاحكام ،ثم قال ان ذلك كله من قبيل الحكمة ، ولو تأملت فيها لوجدتها احكاماً يستقل العقل بها و يمضيها ويستحسنها اويستقبحها

١ ـ لاتجعل مع الله الها آخر ، اى اعتقد به قلبا ولاتعقد بغيره .

٢ ـ لاتعبدوا الا اياه ، اى اخضعوا له فى العمل لالغيره

٣ ـ وبالوالدين احسانا ، اى احسن بهما احسانا .

٤ ـ فلا تقل لهما اف

٥ ـ ولاتنهرهما .

٦ ـ وقل لهما قولا كريما

٧ ـ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة

٨ ـ وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا .

٩ ـ وآت ذا القربى حقه .

١٠ ـ والمسكين ،

١١ ـ وابن السبيل .

١٢ ـ ولا تبذر تبذيرا

١٣ ـ فقل لهم قولا ميسورا .

١٤ ـ ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك .

١٥ ـ ولاتبسطها كل البسط

١٦ ـ ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق

١٧ ـ ولاتقربوا الزنى

١٨ ـ ولاتقتلوا النفس التى حرم الله ، الا بالحق ، اى اقتلوها بالحق

۱۹ ـ فلایسرف فی‌القتل

۲۰ ـ ولاتقربوا مال الیتیم الابالتی هی احسن ، ای‌اقربوه بالطریق الحسن

۲۱ ـ واوفوا بالعهد .

۲۲ ـ واوفوا الکیل اذا کلتم

۲۳ ـ وزنوا بالقسطاس المستقیم .

۲۴ ـ ولاتقف مالیس لک‌به‌علم .

۲۵ ـ ولاتمش فی‌الارض‌مرحا

ثم قال تعالی : «کل‌ذلک کان سیئه عندربک مکروها (۳۸) ذلک‌مما اوحی الیک‌ربک من‌الحکمة (۳۹) »الاسراء

فقدعدالله تلک‌الاحکام فی‌ست‌عشرة آیة اولها الایة (۲۲) من‌الاسراء واخرها الایة ۳۷ ، ومجموعها تسعة وعشرون حکما اصلیاً وفرعیا ، خمسة عشر منها امر ، واربعة عشر منها نهی ،

ثم انک ان تأملت موارد الاستعمال‌الحکمة فی‌الکتاب الکریم وهی‌عشرون مورداً تجدها تشعر بالاهتمام التام بحالها ، فلاحظ الایات التالیة:

« واذ اخذنا میثاق النبیین لما آتیتکم من کتاب وحکمة ثم جائکم رسول مصدق لمامعکم لتؤمنن‌به ولتنصرنه» آل عمران ۸۱:

فقدآتینا آل ابراهیم الکتاب والحکمة (۵۴ النساء)

وقتل‌داود جالوت وآتاه‌الله الملک والحکمة (۲۵۱ البقرة)

وشددنا ملکه‌وآتیناه الحکمة(۲۰ص)

ولقدآتینا لقمان الحکمة (۱۲لقمان)

واذکرن مایتلی فی‌بیوتکن من آیات‌الله والحکمة (۳۴الاحزاب)

یتلوعلیهم آیاته ویزکیهم ویعلمهم الکتاب والحکمة (۲الجمعة)

یؤتی الحکمة من‌یشاء ومن یؤت الحکمةفقداوتی خیراًکثیراً (۲۶۹البقرة)

فنعلم من اهتمام الرب‌تعالى فى كتابه على هذا العنوان انه امر عظيم ونعمة جسيمة، ونجد من ابناءزماننااليوم رغبةتامة فى‌تعلم مايستقل به‌العقول ، ولهم اتكاء عجيب على‌ما يصدقه‌العقل ويمضيه ، وهذاهو السر اوشي مـن الاسرار فى‌الفات الانظار الى الحكمة والامتنان على‌الامة فى‌بذلها واعطائها .

وقوله **والتوراة والانجيل**

التوراة فى‌اللغة بمعنى الشريعة او الوحى وفى اصطلاح القرآن عبارة عن الكتاب السماوى المنزل على‌موسى بن‌عمران فى‌الواح خاصة لكن‌الظاهر المؤيد بشهادة التاريخ بل ونصوص الكتاب الكريم ان‌التوراة الاصلية المنزلة على‌موسى ليست‌باقية على‌ماهى عليه‌قطعاً ،كيف وهى‌قد فقدت بعدغلبة‌بعض الملوك على بنى اسرائيل ، وهدمه بيت المقدس والمسجد الاقصى و احراقه كتب اليهود و نسخ التوراة ، ومن جملتهم بخت النصر ملك‌بابل حيث‌تسلط عليهم وقتلهم‌تقتيلا واسر الباقين ونقلهم الى‌بابل واحرق التوراة وغيرها ، ثم‌ان‌عزيرا وزكريا وهم‌من‌جملة الانبياء عزموا بعدبرهة من‌الزمان على‌جمعها وتأليفها ، فالفوها ونظموها نظما ثم فقدذلك ايضاًفى الحوادث المتأخرة النازلة على‌بنى اسرائيل .

وبالجملة ليست التوراة الفعلية نفس ذلك الكتاب المنزل من عندالله ولا غيرها بالكلية، بل‌فيها شىء من‌ذلك واشياء من‌غيرها بعدمالعبت بهاايدى‌التحريف، فهى‌مركبة من‌حق وباطل وضغث من‌الله وضغث من الشيطان والتوراة الموجودة بالفعل تشتمل على‌اسفار خمسة .

والانجيل فى‌اللغة البشارة ، وفى اصطلاح الكتاب الكريم مجموع‌الكتاب السماوى المنزل على عيسى‌بن مريم‌الذى وقع فيه البشارة او البشارات بمجيىء النبى الاعظم محمد (ص) ،قال تعالى :

واذقال عيسى‌ابن‌مريم يابنى‌اسرائيل انى رسول‌الله اليكم‌مصدقا لمابين‌يدى من‌التوراة‌ومبشراًبرسول يأتى من‌بعدى اسمه‌احمد.(٦- الصف) وعمدةمباحث هذا

الكتاب عبارةعن قصص ووقائع وقعت‌بعد غيبةعيسى وعن تراجم‌حال‌عيسى وعاداته واقواله وافعاله وماظهر منه‌من خوارق الامور و المعجزات ، ولاتعرض فيه‌لشىء من‌الاحكام الشرعية الابنحو الندرة وهذا ايضاكالتوراة لم‌تسلم من‌لعب يدالتحريف به ، بل‌صارامره افظع من‌التوراة فانه‌بعد مارفع الله اليه نبيه عيسى وقبض التوراة منهم‌معه الف كل واحد من‌تلامذته مماكان فى‌ذكره من‌الانجيل وماسنح بخاطره‌من الفاظه ومقاصده ، ثم‌خلط به‌من نفسه ماشاء من‌القصص والحوادث وغيرهامما يرى فى‌الاناجيل الفعلية ، فاخرجه للناس قائلا هو‌من‌عندالله وماهو من عندالله ومدعيا‌انه هو المنزل على‌عيسى‌ابن‌مريم فكثرت تلك‌التآليف حتى‌جاوزت المأة .

ثم‌انه اجتمع اصحاب الكنائس‌من‌علماء النصارى‌فتشاوروا وتفكروا وتأملوا فى‌امر الاناجيل ، فاختاروا منهااربعة وامضوها وعرفوها بانهاكتب سماوية‌واسقطوا غيرها عن‌الاعتبار وافتوا ببطلانه‌ومن‌جملة ماحكموا بعدم اعتباره انجيل برنابا و كان‌الملاك فى‌القبول والردميولهم واهوائهم واقتضاء رئاساتهم وسياساتهم .

وقوله تعالى : **ورسولا الى بنى‌اسرائيل ...**

ظاهر الآية الشريفة اختصاص رسالة عيسى ببنى اسرائيل وقديدعى عمومها لجميع الناس الموجودين فى ذاك العصربل المعدومين منهم الى زمان بعثةالنبى الاعظم محمد (ص)، وتوضيح المطلب يحتاج الى‌تقدمة وهى‌ان الدين فى بعض اطلاقاته اوكثير منها. عبارةعن القدر المشترك بين الشرايع السماوية المنزلة على الانبياء (ع).وحقيقته التسليم‌لله تعالى‌قلباً وعملا فى‌ماامر بالاعتقاد به‌والعمل له‌وهذا المعنى‌هو روح‌الشرايع ولبهاوحقيقتهاالثابتة الباقية‌بمر الدهورمع تبادل‌التشريعات وتغير الشرايع ، فالدين واحد والشرايع مختلفة والدين ثابت لايتطرق اليه‌النسخ والفناء والزوال ، والشرايع تكون منسوخة و ناسخة وقد يطلق الدين على نفس‌ـ الشريعة الخاصة كما انه‌قديطلق على‌الجزاء وعلى الطاعةايضا .

قال‌تعالى : ان‌الدين‌عندالله‌الاسلام (۱۹ آل‌عمران) اى‌الدين حقيقته وجوهره

التسليم‌لله باطناوظاهراً .

وقال تعالى حكاية عن اسرائيل يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الاوانتم مسلمون (١٣٢-البقرة) ويظهرمنها ان الدين هوالتسليم .

وقال تعالى: ومن‌يبتغ غيرالاسلام دينافلن يقبل‌منه (٨٥آل‌عمران) اى لايقبل من‌احد غيرالتسليم للهوغيره هوالكفر والشرك والنفاق .

ثم‌ان الدين يتشكل فى كل عصر وزمان بصورة خاصة من احكام اصولية و فروعية وغيرها ، فيسمى عندئذ بالشريعة كما عرفت، فقدتصور فى زمان نوح النبى بصورة خاصة وهى‌شريعة نوح وفى كل واحد من ازمنة ابراهيم وموسى وعيسى ، بصورة شرائعهم وفى كل ذلك‌كان يردعليه التغير والزيادة و النقصان وتبادل حكم بآخر وتغيير قانون بقانون يماثله او يضاده ، على حسب اقتضاء الصلاح و توافق حال الامة .

وان‌شئت قلت ان‌للدين مادةاصلية وهيئة عرضية تعرضها بانضمام احكام غير اصيلة فتزيد وتنقص وتتغير وتتكامل مع‌بقاء المادة على‌حالها فى جميع اطوارها و احوالها ، والمادة هى الاصول الاعتقادية الاولية من‌التوحيد والنبوة والمعاد وعدة من الفروع العملية الركنية التى‌تستقل بهاالعقول وتحكم بحسنها او قبحها كبر- الوالدين والانفاق على المحاويج والصدق فى‌الكلام والوفاء بالوعد وكذا الظلم بالوالدين والضعفاء والكذب والغدر وقتل‌النفس بغيرعلة ونحو ذلك وقد مربعض منها آنفاً تحت‌عنوان الحكمة .

ثم ان‌النسخ الذى اعترفنا بعروضه للشرايع على‌قسمين : نسخ خاص‌اضافى ونسخ عام حقيقى ، وكل شريعة ناسخة غير الاخيرة يكون نسخها لسابقها خاصا اضافيا والشريعة الاخيرة عام حقيقى ، وذلك لان الظاهر انه لم يكن بعث الانبياء والمرسلين (سواء فى ذلك اصحاب الشرايع منهم وغيرهم) بعثا عاماشاملالجميع الازمان بمعنى‌اشتراط بلوغ‌دينهم الى جميع‌العالمين ، وابطال‌ماسبقه من الشرايع

فی‌جمیع الامكنة بل‌كانوا مبعوثين الى جماعة خاصة وامة معينين غيرمشروط بهم ولابالتسرية الى غيرهم ، فكانت الشريعة المرسل بها مطلقة غير مشروطة بالسراية ولابعدمها فالى اى مكان ومحل سرت ونفذت لم‌يكن بها بأس واية طائفة اطلعت عليها وقبلتها وتدينت بها كانوا مثابين مأجورين .

فقد يتفق قبول قوم‌لها وعملهم بها وتكاملهم فی‌مراتب الانسانية، فيستحقون شريعة اخرى اكمل واتم على‌حسب‌رقاهم و كمالهم كماكان ذلك عادة الله‌تعالى‌فی خلقه فی تلك العصور ، فتنزل شريعة اخرى ناسخة للاولى ، الا انه‌كان استعداد التكامل‌واستحقاق‌الشرع الجديدمخصوصا بمكان خاص وجماعةمعينين لايتعداهم الى غيرهم .

بل كان مقتضى الصلاح فی غيرهم العمل بالاول دون الثانی ، ولذلك لم‌يكن‌ينسخ الله الاول بالكلية ولم يأمر حسب الشرع الناسخ بابلاغه الى جميع الامة التی بلغهم الشرع الاول ، وحاصل هذا البيان انه كان يتفق وجود شرعين فی عصرواحد من عندالله احدهما ناسخ والاخرمنسوخ الاان النسخ اضافی ونسبی يختص بامة خاصة ومكان محدود .

وهنا امر آخر،وهو ان الظاهران غالب الشرائع السابقة لولم يكن جميعها لم يكن ذاابعاد وجهات شاملا على‌جميع شئون‌الحياة، بل‌كان مشتملا على‌احكام معدودةمحدودة تتكفل‌تكميل جهة من‌الجهات بمقتضى غلبة رسوم منكرة وعادات ورذائل ،كما فی شريعة موسى .

فان بنی‌اسرائيل لما اسروا ووقعوا تحت‌سيطرة فرعون وملائه فصاروااذلاء مغلوبين ، بعث الله اليهم موسى لانجائهم عن العبودية وكان القسم المعظم من احكام شرعه ناظرا الى الجهاد، واستخلاص انفسهم من ايدى الظلمة واستقلالهم فی الملك والسلطنة ، بل التسلط والحكومة على غيرهم .

فلما اهلك‌الله عدوهم واورثهم الارض مشارقها ومغاربها انتج ذلك‌طغيانهم

فافسدوا فى الارض وعتوا عتوا كبيرا ، ومالوا الى الولايـات والمناصب واتباع الشهوات والفجور والمنكرات .

فغلبت عليهم محبة الدنيا وزينتها وزخارفها فاقتضت عناية الرب الرؤف ، ان يبعث اليهم من يسدهم عن حب الشهوات ويهديهم الى ذكر الله وامر الاخرة ويردهم عن طريق المتاهة والعتو الى التسليم لله والخضوع لسلطانه وترك الشهوات. فبعث الله اليهم عيسى ووهبه شريعة وكتابا كان اكثر مندرجاته الترغيب الى الزهد وترك الدنيا والشهوات وترك الملاذ ورفض النساء والترهب فى الدين والاشتغال بالعبادة فى الكنائس والصوامع وحيث ان غلبة تلك المفاسد والشهوات لم تكن فى جميع الامكنة التى سرت اليها احكام التوراة ،كان ناسخية شرع موسى مختصة بالمحال المحتاجة الى ذلك فصـار الشرعان ثابتين فى عصر واحد بلامنافاة بين الناسخ والمنسوخ .

اذا عرفت هذا فنقول انه يظهر من الكتاب الكريم انه قد خاطب الله اهل مكة بخطاب يظهر منه امضاء بقاء شريعة ابراهيم فيما بينهم اجمالا .

١ - قال تعالى: قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفا . (١٦١ - الانعام)

٢ - وقال تعالى: ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفاً (١٢٣ - النحل)

٣ - وقال تعالى : وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا (٧٨ - الحج)

٤ - وقال تعالى : واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا . (١٢٥ - النساء)

وخاطب اليهود والنصارى ايضا بما يظهر منه تمسكهم الى زمان الخطاب بكتبهم و انهم اهل الكتاب وان حرفوه وتركوا العمل به ، ثم اوجب عليهم بعده الايمان بالنبى الاعظم وكتابه فلاحظ قوله تعالى :

۱ ـ يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سئلوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة (۱۵۲ ـ النساء)

۲ ـ وقوله تعالى: وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك . (۴۳ ـ المائدة)

۳ ـ وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وماانزل اليكم وماانزل اليهم خاشعين لله (۱۹۹ ـ آل‌عمران)

۴ ـ ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولاتقولوا على الله الاالحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته . (۱۷۱ ـ النساء)

۵ ـ ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم . (۶۸ ـ المائدة)

وقوله : واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى يهدى الى الحق والى طريق مستقيم (۳ ـ الاحقاف) يعلم من الآية ان الجن ايضا كالانس مكلفون بقبول الدين واخذ الكتاب ، وانهم كانوا الى زمان نزول القرآن آخذين بشرع موسى ولم يطلعوا على غير دينه وكتابه اذلم يسمعوا عيسى وكتابه

اذاعرفت ماذكرنا علمت، ان خطاب القرآن لاهل الكتاب وتصديق كونهم كذلك ليس شاهدا على عموم دين موسى وشريعته وكذا دين عيسى وشرعه، كما زعمه الاستاذ الطباطبائى فى كتابه الميزان مع ان ظواهر الكتاب الكريم ايضا يشهد باختصاص نبوة موسى ببنى اسرائيل وفرعون وملائه وبنبوة عيسى ببنى اسرائيل ايضاً الا انك عرفت انه ملحوظ مطلقا غير مشروط قال تعالى :

ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه . (۹۷ ـ هود)

وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل (۲ ـ الاسراء)

ثم ارسلنا موسى واخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه . (۶۳ ـ المؤمنون)

قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون (٢٨ - الشعراء)

واذ قال عيسى ابن مريم يابنى‌اسرائيل انى رسول‌الله‌اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه احمد (٦ - الصف)

فالشرع العام الشامل للناس طراً وجميع اهل العالم هو شريعة نبينا محمد (ص) ودينه وكتابه، فقداعلن‌الحكيم تعالى‌بنسخ جميع‌الشرايع‌بشريعته، ووجوب اتباعه وترك ماسواه وذلك لايات كثيرة :

منها: قوله‌تعالى : وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيداً . (٧٩- النساء)

ومنها : وما ارسلناك الارحمة للعالمين (١٠٧ - الانبياء)

ومنها : وما ارسلناك الاكافة للناس بشيرا ونذيرا (٢٨ - سباء)

ومنها : قل ياايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا (١٥٨ - الاعراف)

ومنها : ياايها الناس قد جائكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم (١٧٠ - النساء)

ومنها : هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (٢٨ - الفتح)

ومنها واوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ (١٩ - الانعام)

ومنها: وكذلك‌اوحينااليك قرآناعربيالتنذرام‌القرى ومن‌حولها(٧-الشورى)

والمرادمن‌ام القرى كل‌بلد كبير يكون‌حوله قرى‌صغار ومجامع قليلة‌السكنى

وقوله انى قد جئتكم بآية من‌ربكم انى‌اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله . .

اقول‌قوله انى‌قد جئتكم اى مخبرا اومنبأ

والخلق على‌قسمين‌خاص وعام، والاول هوابداع الشىء واختراعه وايجاده من كتم‌العدم ولذايسمى فطرا ايضا، وبعبارة اخرى هوخلق‌الشىء بمادته، وصورته

وذلك في المخلوقات الاولية التي اوجدها الله تعالى بامره وارادته ، كالروح والنور والماء والملائكة ونحوها وهذا خلق خاص يختص بالله تعالى وليس يقدر عليه أحد غيره .

وتعيين المخلوقات الاولية وتحديدها وتمييزها عن غيرها أمر مشكل، ولم نجد في الكتاب الكريم مايكون ايضا في هذا القسم خاصة .

وورد في بعض الروايات ان اول ماخلق الله العقل ، وفي بعضها الاخر عن النبي صلى الله عليه وآله اول ما خلق الله نوري أو روحي ، وورد أيضا ان اول ما خلق الله الماء .

وأما السموات والارض فالظاهر انهما ليستا اول ماخلقه بمعنى انهما ليستا مما اوجده الله بمادته وهيئته، فان الارض مخلوقة من الزبد الحاصل على وجه الماء كما عن مولانا علي (ع) في الخطبة الاولى من نهج البلاغة .

وأما السماء فقال تعالى : ثم استوى الى السماء وهي دخان ... فقضاهن سبع سموات في يومين (وقال بديع السموات والارض ١٠١ ـ الانعام)

ولامنافاة بينهمافان ابداع المادة ثم ابداع شيء آخر منها بتكثير وتغيير وتحويل كانه ابداع ، فالاستعمال وقع بالعناية .

وأما الثاني فهو الخلق بمعنى التقدير والترتيب وتركيب الصور من المواد والاجزاء ، والخلق المستند الى غير الله تعالى من هذا القبيل وهذا خلق عام بمعنى صدور هذا القسم عن غير الله تعالى أيضاً فالناس خالقون بهذا المعنى .

قال الله تعالى : (فتبارك الله احسن الخالقين) (١٤ ـ المؤمنون)

فمن مصاديق هذا الخلق قوله تعالى :

خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين (٤ ـ النحل)

وهو الذي خلق الليل والنهار (٣٣ ـ الانبياء)

والله خلق كل دابة من ماء (٤٥ ـ النور)

وخلق الجان من مارج من نار (١٥ ـ الرحمن)

انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين (١٢ ـ الاعراف)

وقد يطلق الخلق فى الكتاب الكريم ويراد به الاعم من القسمين قال تعالى:

وخلق كل شيء فقدره تقديرا. «٢ـ الفرقان» فالخلق هنا يراد به الاعم مما ابدعه الله وانشأه من العدم وماقدره الله وصوره، وكل واحد منهما اما بالاستقلال وبلا واسطة وسبب أو بالواسطة والتسبيب وبهذا المعنى ينسب كل خلق اليه تعالى وينبغى على هذا استثناء اعمال العباد من ذلك وما اخترعوه من الامور المحرمة كالصنم والصليب والمزامير وسائر آلات اللهو وآلات القمار ونحوها.

ثم انه قد علم من ذلك ان خلق الطير من قبيل القسم الثانى وهو خلق الهيئة من المادة اعنى التقدير والتصوير كما يدل عليه قوله من الطين.

قوله تعالى: **فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله** هل النفخ فى الشكل المصنوع؟ نظير من يقرء سورة الحمد فينفخ فى جيب المريض فيحصل له الشفاء، فالاعجاز ح اعجاز استدعائى بطلب العبد الصالح من الله شيئاً، فيجيبه الرب وينجز مطلوبه أو هو اعجاز تصرفى بان اعطاه الله تعالى نوع قدرة وقوة يقدر على التصرف فى الجماد باعطاء الحياة له.

ولاينافى ذلك اختصاص الاحياء بالله تعالى فليكن عيسى نظير الملائكة الذين ينفخون فى الجنين الحياة فى الرحم فيحيى وعجزنا عن ادراك كيفية ذلك. من ناحية جهلنا بحقيقة الروح ولما يصل الى الان شعاع عقول البشر الباحث عن حقائق عالم التكوين الى ادراك ذلك وقد قال تعالى:

يسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا (٨٥ ـ الاسراء)

فانه قد وقع البحث والاختلاف فى الروح من جهات.

الاولى فى تشخيص حقيقته وجوهره، فقال عدة بكونه جوهرا مجردا غير

مادی کما یری ذلك فی کلمات الحکماء والفلاسفة ، وقال آخرون بکونه جسماشفافا نورانیا سماویا نظیر الملك والجن ونحوهما .

ویظهر ذلك من کلمات بعض المتکلمین والمحدثین وهوظاهرعدة کثیرة من الایات والروایات .

الثانیة فی زمان خلقته وانه هل کان مخلوقا قبل خلق الاجساد موجودا فی عوالم اخر ،لانعرف منها الاشیئا قلیلا کعالم الذروالاشباح ثم ترکب بعدخلق الاجساد معها فازدوجت النفوس فی الدنیا مع الابدان ،کما ان النفوس زوجت فی الاخرة، فلو صح وجود عالم الذر بالمعنی المذکور فی الجملة تحقق لقوله تعالی (واذا النفوس زوجت) مصادیق ، ازدواجها فی عالم الذر بالابدان الذریة وازدواجها فی الدنیا بالابدان الدنیویة ، وازدواجها فی البرزخ بالقوالب المثالیة ، وفی عالم الاخرة بالابدان الاخرویة .

أو انه خلق مع الابدان لانه عرض من اعراضها ونحو خصوصیة لها توجد بوجودها وتنشأ وترقی وتتکامل برقاها وکمالها ، ثم تجاوزها فی النشأة والکمال ثم تنفصل عنها وتبقی الی برهة من الزمان فی البرزخ بنفسها أو بالقوالب المثالیة وفیما بعدها فی عالم الاخرة فی ابدانها الدنیویة المستجدة .

الثالثة فی کیفیة تعلقه بالابدان فی هذه النشأة أوسائر النشآت وانه بنحو الحلول والاتحاد ، أوبنحو التصرف والتدبیر من خارج الابدان ولذا قد یشبه ذلك بوجود القوة الکهربائیة فی الخطوط الحدیدیة ویشبه تارة اخری بکونه کالشمس یؤثر فی حیاة النبات والحیوان أو کسلحفاة تنظر الی بیضها فتربیها وتنمیها وتولد فرخها بالنظر وغیر ذلك مما یقال .

وبالجملة لابأس بالقول بان عیسی (ع) کان یوجد الحیاة فی الهیئة المصنوعة من الطین کنفخ الملك الروح فی الجنین وان لم نتحقق حقیقة الروح ، وقد یقال فی المقام بان عیسی النبی حیث انه کان مخلوقا من الروح وبید الملك الذی هو الروح کانت

جهة الروحانية فيه اقوى فكان يحيى كل جسم لاحياة له بقربه منه ويتحرك بمماسته كما يقال في قوله تعالى .

:قال بصرت بمالم يبصروابه فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتهاو كذلك سولت لى نفسى (٩٦ ـ طه)

وعلى اى تقدير كان ذلك باذن الله تعالى حيث قال فيكون طيرا باذن الله .

وقوله: وابرء الاكمه والابرص واحي الموتى باذن الله ... (١)

اللغة الابراء جعل الشيء بريئا بعيدا من الاسقام ونحوها ، والاكمه الاعمى اوالمتولد كذلك اومن ابيضت عيناه ، والابرص من به داء البرص وهوداءجلدى معروف .

ثم ان الكلام فى ابراء الاكمه والابرص نظيره فى احياء الطير فهو اماكان بدعائه وشفاء الله تعالى او بوجود اثر خاص فى نفسه ونفخه يؤثر فى رفع جراثيم المرض وتوليد الحياة .

وأمااحياء الموتى المعلوم من كلمةالجمع وقوع ذلك كثيراً فيمكن ان يكون ايضا بدعائه واستجابة الرب تعالى او بولاية تكوينية الهية اعطاها الله تعالى لنبيه العظيم عيسى ابن مريم، فانه كما ذكرنا فى بحث الولاية تحت الاية (٢٠) من السورة انه كان لنبينا الاعظم محمد بن عبدالله (ص) وكذا لاوصيائه المنصوصين من قبل الله تعالى ولاية تكوينية على عالم الوجود بحيث كانوا قادرين على التصرف فى بعض اجزائه بتبديل شيىء وتغييره وتعجيل امر وتأخيره واحياء ميت واماتة حى ونحو ذلك .

وقد مثلنافيماسبق ان هذا العالم يشبه بالمكينة الكبيرة يديرها ويدبر امرها خالقها العظيم بيد الملائكة الموكلين بذلك ، اعنى الصافات صفا فالزاجرات زجرافالتاليات ذكراوالذاريات ذروا فالحاملات وقرافالجاريات يسرافالمقسمات

امرا (ا- الذاريات) والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشراً فالفارقات فرقا فالملقيات ذكراً . (المرسلات)

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا . (النازعات)

والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا . (العاديات)

وكان للنبي الاعظم والائمة نوع سلطنة عليها وعلى الملائكة الموكلين بتدبير امرها تسمى بالولاية التكوينية، فيمكن كون الاية ناظرة الى ذاك المنصب ووجود تلك الولاية أو نحو خاص منها في عيسى ابن مريم .

قوله تعالى : **وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم .**

هل كان اخباره عما يأكله ويدخره فرد أو افراد مخصوصون كزيد وعمرو مثلا؟ أو كان عن حال امة وجماعة كاهل قرية أو بلد أو بلدان ، وهل كان الخبر عن واقعة واحدة أو حال يوم أو ليلة أو عن حال شهر او سنة او اكثر ؟ وهل المراد بالاكل خصوص معناه المتعارف ؟

أو المراد به مطلق التصرف كما في قوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وان كان بعيدا فعلى العموم من ناحية الاكل والاكل والمأكول والزمان يكون المعنى انه (ع) كان يخبر مثلا بان اهل هذه البلدان يصرفون في هذه السنة مما افادوه فيها هذا المقدار، ويدخرون هذا المقدار بحيث يبقى زائداً عن مؤنة سنتهم، او كان يخبر بان احتياجهم من المؤنة في هذه السنة الى هذا المقدار وقد ادخروا هذا المقدار .

وعلى اي حال فقد جعل الله تعالى انباء عيسى بما يأكلون ويدخرون من جملة معجزاته في قبال احياء الهيئة المصنوعة بالنفخ واحياء الاموات وغيرهما، وحيث ان ذلك من الموضوعات الخارجية لا الاحكام فيعلم منه ان علم الانبياء بالموضوعات ليس من لوازم نبواتهم، بل هو امر اخر قد يعطون بعنوان الاية المثبتة لدعوتهم كما

يمكن استظهار ذلك فى حق نبينا الاعظم من آيات .

منها قوله تعالى: قل‌لااقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولااقول لكم انى ملك (٥٠ - الانعام) ونظيره قول نوح (ع) (٣١ - هود)

ومنها قوله:ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء . (١٨٨ - الاعراف)

ومنها قوله:ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين‌من دونهم لاتعلمونهم‌الله يعلمهم . (٦٠ - الانفال)

وقد امرالله نبيه‌العظيم موسى‌بالضرب فى الارض لتعلم علوم لم‌تكن عنده فسافر مع فتاه .

فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من‌عندنا وعلمناه من لدنا علماً . (٦٥ - الكهف)

وكان بذلك العلم تعلم اموراً مخصوصة من الموضوعات الخارجية .

احدها ان هناك ملكا ياخذكل سفينة غصبا فلزم تعييبها .

وثانيهاكون ابوى الغلام مؤمنين فلعله يرهقهماكفرا بعدكبره فوجب قتله .

وثالثهاكون الجدار لغلامين يتيمين فلزم حفظه مراعاة لحالهما .

قوله تعالى : **ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين .**

كلمة ذلك اشارة الى الامورالخمسة الخارقة للعادة ، وفيها آية واضحةتدل على وجود الصانع وقدرته وعلمه وعلى صدق عيسى ابن‌مريم فى دعوى نبوته ، وقديتوهم ان‌تقييد العلامية والكشف والاثبات بايمانهم يشبه بالدور لتوقف‌كونها حاكية عن التوحيد والنبوة على سبق الايمان بهما ، وهو يتوقف على الحكاية والكشف والثبوت ، لكنه فاسد .

فان ذلك نشأ عن تخييل كون المراد بالايمان مرتبته الفعلية .

والظاهر خلافه ، بل المراد مرتبة الاقتضاء والاستعداد نظير مايقال فى‌قوله تعالى : (هدى للمتقين) فانه قد استشكل فيه بعين الاشكال المذكور فى المقام

والجواب في المقامين واحد، وهو انه قديكون استعداد الاتقاء والايمان في الانسان موجودا باقتضاء الفطرة لم يبطل ولم يزل بغلبة الهوى ومعاندة الحق والعصبية العمياء والضلالة والانحراف ، بعد تمامية الحجج والبينات كما في غالب افراد الانسان من كفارهم وفساقهم، وان خفي تحت استار الجهل والغفلة واتباع الشهوات فهو بعد سماع دعوة الانبياء وعرض الحقائق الدينية والمعارف العقلية عليه ينتبه ويستيقظ ، فيؤمن ويتقي فايمانهم وتقويهم بالاستعداد والفطرة يبلغ مرتبة الفعلية بالهداية وارائة الايات والحجج .

وقديتفق انه بعد سماع الحق تحت سلطان الشهوات وحب الرياسات ودعوة شياطين الانس والجن يغلب الهوى على القوة العاقلة فتصير محجوبة مستورة تحت استار العناد والعصبية فكانهم ليسوا بمتقين ولامؤمنين ، فلاتؤثر فيهم هداية الرب تعالى ولادعوة رسله ولاابلاغ المواعظ والزواجر .

ثم ان هنا امورا .

الاول : ان الله تعالى قد ذكر لعيسى ابن مريم في المقام من خارق العادات امورا خمسة ، وجعل الاول منها احياء الصورة المصنوعة بالنفخ وقدمه تعالى في الذكر على احياء الموتى وذلك لوضوح ان احياء الجسم الجماد من غير سبق وجود حياة فيه واعطاء الروح له عمل اقوى في مقام الاعجاز من رد الروح الى البدن ومستقره السابق كما هو مفاد احياء الموتى .

الامر الثاني . ان عيسى قيد القسمين من تلك المعاجز بقوله باذن الله دون الثلاثة منها ، وذلك لاجل ان توهم الالوهية في الفاعل في ذينك القسمين اقوى عند عوام الناس والبسطاء وذوي العقول الساذجة منهم، فان شفاء العين وشفاء الابرص والانباء عن المغيبات، امرقد يقع من بعض الاطباء وبعض اهل الرياضات وغيرهم وان كان الحق ان جميع تلك الامور قد صدرت من عيسى (ع) بنحو الاعجاز وخرق الطبيعة والعادة لابالاسباب العادية .

الامرالثالث . انه نقل صاحب المنار عن استاذه عدم دلالة الاية الشريفةعلى وقوع تلك الامور خارجاً قال (وغاية مايفهم منها ان الله تعالى جعل فيه هذاالسر ولكن لم يقل انه خلق بالفعل ولـم يرد عن المعصوم ان شيئاً من ذلك وقع اه) اقول الانصاف ان ماقاله بالنظرالىظاهراللفظ حق، وماورده الاستاذ الطباطبائىفى كتابه الميزان فى دلالةكلمة اخلق حيث وقعت بالفعل المستقبل علىتحقق ذلك فى الخـارج غير وارد ، اذ كثيرا مايحكى مدعى فعل وعمل صورة مايريد ان يوقعه بالمضارع ثم قد يتفق انه يوقعها فى الخارج وقد يتفق عدم الايقاع فلامانـع من ان نقول ان عيسى (ع) ادعى قدرته على ايقاع تلك الامور وايجادها للاحتجـاج والتحدى ، واما فعلية الايجاد فغير معلوم من الاية فلعلهم قنعوا بالدعوى فآمنوا او انه ايس من قبولهم فانصرف .

نعم الظاهر ورود ماورده عليه من دلالةآية المائدة (۱۰۱) على حدوثها بل تكرر ذلك الحدوث قال الله تعالىحكاية عما يخاطببه عيسىابن مريم يومالقيامة.

اذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكـر نعمتى عليك وعلى والدتـك اذ ايدتك بروح القدس . . . . . واذ تخلق مـن الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرالاكمه والابرصباذنى واذ تخرج الموتى باذنى (۱۰۱ المائدة) .

فنقل فى هذه الاية اربعة من تلك المعاجز وانهاكانت تصدرمن عيسى بنحو التكرار اذ المعنى اذكنت تخلقوكنت تفعل كذا وكذا.

قوله تعالى : **ومصدقا لمابين يدى منالتوراة ولاحللكم بعض الذى حرم عليكموجئتكم بآية منربكم فاتقواالله واطيعون(۵۰)**

انالله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم (۵۱)

التفسير

قوله مصدقا منصوب علىالحالية بتقدير جئتكم عطفاعلى قولهتعالى جئتكم بآية منربكم ، والتصديق اماقولى واماعملى لكونعيسى بنفسه وكتابهمصداقا لما

وعدته التوراة و بشرت به كماهو شأن كل نبي وصاحب شرع و كتاب، فان من جملة وظائفهم تصديق الذين من بعدهم والبشارة بوجودهم كما ان من وظائف المتاخرين تصديق المتقدمين تسديدا للامر و تبيانا لوحدة المرسل والدين المرسل به وقد عرفت دلالة الاية . (۸۱ من سورتنا هذه) على كلا الامرين قال تعالى :

و اذ اخذنا ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب و حكمة ثم جائكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا الخ .

ثم ان في المقام مذهبين احدهما ان عيسى ماغير شيئا من احكام التوراة بل كان بنفسه على شريعة موسى يقرر السبت ويستقبل بيت المقدس ويحرم الخنزير ويقول بالختان وليس في الانجيل شيء من الاحكام والوظائف العملية، بل هو شامل على شيء من القصص والحوادث والمواعظ والامثال والزواجر ، لكن النصارى غيروا ذلك بعد رفعه فاتخذوا الاحد بدل السبت وصلوا نحو المشرق وحملوا الختان على ختان القلب عن علائق الدنيا ، واحلوا لحم الخنزير مع ان مرقس حكى في انجيله ان المسيح اتلف الخنزير واغرق منه في البحر قطيعا كبيرا ، والعلة في تحليلهم نقلهم ان بطرس رأى في المنام صحيفة نازلة من السماء وفيها صور الحيوانات و صورة الخنزير وقيل له يا بطرس كل منها ما احببت .

ثانيهما انه قد نسخ منه شيئا كثيرا منه نسخ السبت ووضع الاحد مكانه وغير ذلك ولايخفى عليك عدم وجود دليل سديد على احد القولين والمذهبين وقوله ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم لايدل على الثاني اذ من المحتمل كون ماحله عيسى مما حرمته السنة الموسوية لا كتاب التوراة.

ثم ان التوراة كانت في عصر عيسى ايضا مما لعبت بها ايدى التحريف فتصديق عيسى لها اما يكون كتصديق نبينا (ص) لها او يكون المراد التوراة الواقعية التي علمها الله لعيسى .

وقوله تعالى : ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم الاية تصرح بان عيسى (ع) قداحل لبنى اسرائيل بعض المحرمات التى سبقت حرمتها على مجىء عيسى (ع).

فالذاهب الى ان عيسى لم يأت بشى يخالف التوراة ولم ينسخ من دين موسى شيئا حمل الاية على ماغيره علماء التوراة وحرموه على الناس من عند انفسهم تشبيها او اجتهادا .

والقائل بخلاف ذلك كما عرفت حمل الاية على موارد النسخ

ثم انضمام الايات الثلاث التالية توضح لك ما حرمته التوراة على بنى - اسرائيل و علة تحريمه فتدبر فيها حتى تعرف مورد تحليل عيسى عليه السلام ، الاية الاولى :

قوله تعالى : كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الاماحرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة «٩٣ - آل عمران)

الثانية قوله تعالى : فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم. (١٦٠ - النساء)

الثالثة قوله تعالى : و على الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر و من البقروالغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما اوالحوايا او ما اختلط بعظم . (١٤٦- الانعام)

فالاية الاولى تدل على حلية جميع الطعام لهم قبل نزول التوراة الا ماحرمه اسرائيل على نفسه ويقال انه كان لحم الابل ولبنه فحرمهما على نفسه تزهدا ورغبة عن الدنيا لانهما كانا احب الاطعمة اليه ، والظاهر ان الاستثناء منقطع ، فالمعنى ان جميع الاطعمة كان حلالا لبنى اسرائيل قبل نزول التوراة الى موسى .

و الثانية تدل على حدوث حرمة عدة اشياء من الطيبات عليهم بعد نزول التوراة بسبب ظلمهم و ذلك لانه يفهم مما قبل الاية ان ظلمهم كان عبارة عن سؤال الرؤية واتخاذ العجل ومخالفتهم امر دخول الباب سجدا وغير ذلك لكن لم يعلم من الاية ان المحرم ماهو ؟

والثالثة تدل على عدة مماحرمه الله عليهم ، وحيث ان جميع ذلك ليس من الطيبات بل ذكر فيه الخبائث والطيبات كلتيهما فلابد ان نحمل الطيب المحرم فى الاية السابقة على الطيب المفهوم من هذه الاية و هو شحوم البقر والغنم فان الظاهر من هذه الاية ان المراد بذى الظفر ماكان له مخلب وبرثن من سباع البر وجوارح الطير وبعض المحللات من الوحش كالظبى والغزلان.

ونحوها مما يطلق عليه ذى الظفر ، وينطبق الاول اعنى ذى الظفر على ماحرمه شرعنا من سباع الوحوش والطير وكلها من الخبائث وكلمة ذى الظفر وان كانت تشمل ذوات الظفر من الانعام ايضا كالبقر والغنم والمعز الاان قوله ومن البقر والغنم اه شاهد على عدم ارادتهما .

فتحصل انه كان المحرم عليهم من الطيبات بظلمهم هو شحم البقر والغنم وبعض ذى الظفر من الوحش المحلل ثم احلها عيسى(ع) لهم وبقيت الخبائث على حرمتها .

وقوله وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون اه

الاية هنا بمعناها فيما مضى والكلام تاكيد ، ولو قلنا بان مجيئه تصديق عملى لبشارات التوراة وتحليله بعض المحرمات ايضا شاهد اخر لما اخبر به موسى وكتابه كان الامران آيتين اخريين يشملهما قوله وجئتكم بآية

و قوله فاتقوا الله يراد به التحفظ والخوف كما هو معناه اللغوى والمراد بالخوف من الله الخوف من عدله ، فانه تعالى لايخاف الاعدله ولايرجى الافضله ويكون من عدله ان يقطع فضله عن الفاسقين بعصيانهم اويعاقبهم بطغيانهم ،فالخوف من عدله ينحل الى الخوف من انقطاع نعمه المادية و المعنوية فى الدنيا ونعمه فى الاخرة والخوف من شمول عذابه فى الدنيا ، وعذابه فى الاخرة .

قوله واطيعون :

يراد به الاطاعة فى اوامره ونواهيه الارشادية التى حقيقتها حكاية اوامر الله

والاخبار بهاوالارشاد اليها قضاء لحق نبوته، والاطاعة فى اوامره ونواهيهالمولوية حفظا لمنصب ولايته التشريعية علىالامة

وكيف كان فهذه الجملة كانهاوقعت فى طريق تعيين المصداق للتقوى وان ذلك لا يتحصل الابهذه .

وقوله **انالله ربى وربكم** . اخبار بانالله سلطان لهعنوان الربوبيةللجميع تربية بدنية جسمية باعطائه اسباب الحياة المادية ، وتربية معنوية روحية باعطائه العقل الذى هو الرسول الباطنى والهادى الى كل صلاح و الزاجر عن كل فساد وارساله الرسل وانزاله الكتب ، فماذا يبقى من الاعذار للانسان بعد اعطائه تعالى وسائلالكمال واسباب التعالى فىشتى جهاتها ومختلف ابعادها ، وهذه الجملة فى مقام التعليل للزومالتقوى والطاعة واشارة الىان ذلك قضية شكر المنعم واى نعمة افضل واعلى مما افادته كلمة الرب من النعم البالغة

وليعلم ان اصول النعم الالهية الواصلة اليناعن ناحية الرب تعالى الداخلة تحت عنوان ربوبيته ستة .

الاول : نعمة الوجود الذى بذله لنا:

الثانى:نعمة وسائلحفظ الوجود وهىجميعلوازمعيشالانسان فىهذاالعالم

الثالث : نعمة العقلوعلومه العارضةلهوالحاصلة فيه .

الرابعة:انعمة الدين اعنىمجموع البرنامج السماوية ومناهجها المنزلة على الانبياء هداية للناس الى سعادتهم وتبيانا لطرق كمالهم .

الخامسة: نعمة التوفيق والتأييد والتسديد فى سبيل اخذالدينوالتادب بآدابه وشئونه ونشره فى المجامع البشرية.

السادسة: نعمة الثواب والأجر المترتب على العامل للدين جزاء دنيويا او اخرويا ، وهذه اصول نعمه تعالى علينا مما يمكن لنا تعقله ويدخلفيها منالفروع مالانحصيهكيف وقد قال تعالى :

وان تعدوا نعمةالله لاتحصوها

وقوله : فاعبدوه بيان لنتيجة ما افاده معنى ربوبيته وما يقتضيه عقلا و نقلا ، واشارة الى لزوم المجاهدة فى مرحلة القوة العملية كما انها الواجبة فى مرحلة القوة النظرية .

قوله هذا صراط مستقيم .

كلمة هذا اشارة الى الكمال الحاصل بسبب الاعتقاد بالله تعالى والحاصل بعبادته وذلك صراط الانبياء والملائكة والصالحين من عباده:

ثم انك ايها المتدبر فى كلمات الله تعالى لو امعنت النظر فى هذه الآيات الثلاث وتأملت فيما حكاه الله عن ابن مريم فى مقام مخاطبته مع قومه، لرأيت جهرة انه لم يلق اليهم الا اموراً ثلاثة مجيئه بالمعاجز الخمس وتصديقه التوراة وتحليله بعض المحرمات الا انه (ع) قد ذكر ربه تعالى ونبه قلوب الناس والفتهم اليه فى ضمن الآيات الثلاث تسع مرات حيث قال : جئتكم بآية من ربكم اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فيكون طيرا باذن الله واحى الموتى باذن الله ان فى ذلك لاية وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ولم يخرج الكلام مع هذه التأكيدات عن الفصاحة و ستعرف انها تزداد بذلك بلاغة اجل ان القرآن ظاهره انيق و باطنه عميق اى له فصاحة كاملة وبلاغة تامة وح نقول هل النكتة فى ذلك تبيان ان من وظيفة الانبياء بل كل من عليه رسالة الهية وغرض هام وهدف اصيل معنوى ، ان يظهر ذلك منه فى جميع اقواله وافعاله ويكون ذلك روح دعوته وحركاته وسكناته ، أوان التأكيدات المذكورة صدرت حفظا للسامعين عن الانحراف فى التوحيد واتماما للحجة على من بعدهم ، حيث قالوا بالوهية ابن مريم او كونه ابن الله او كونه ثالث ثلاثة وكلا الامرين محتملان.

قوله تعالی : **فلما احس عیسی منهم الکفر قال من انصاری الی الله؟ قال الحواریون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون .(٥٢)**

التفسير

قد ذکرنا فی تفسیر الایة ٤٥ من السورة ان الملائکه اخبروا مریم بعیسی وبشروها بولادته وذکروا فی شرح حال المولود الموعود وترجمته اوصافا وافعالا بلغت ثمانی عشرة، وکل ذلك کان اخبارا عماسیجیء ویستقبل ، وههنا قدغیر الرب تعالی سیاق الکلام وشرع فی ذکر حال عیسی وذکر من احواله ماحدث بعد فرض وقوع جمیع مااخبر به الله مریم .

وهذا من لطیف السیاق ومحاسن الحدیث وبلیغ الکلام اشعارا بان ماوعده الله مقطوع التحقق وکان اخباره تعالی بالوقوع عین الوقوع الخارجی .

فالمقصود من هذه الایة انه قد وقع جمیع ما اخبرنا به مریم فولد عیسی وجعلناه نبیاو آتیناه الایات وارسلناه الی بنی اسرائیل فدعاهم الی الله واراهم آیاته ثم انه احس منهم الکفر .

والمراد بالاحساس هنا اما الاحساس بالحواس الباطنیة بان ادرك عیسی کفرهم ادراکا قلبیا باخبار الله أو برؤیة اعمالهم ، او بالحواس الظاهرة بان سمع منهم ما دل علی کفرهم ، او رأی منهم کذلك والمراد بالکفر هنا عدم الایمان او الجحد والارتداد بعد الایمان والاذعان .

ویقال فی علة کفرهم انهم لما علموا کون دینه وکتابه ناسخاً للتوراة وشریعة موسی ، مزیلا لهم عن شئونهم مخالفا لریاستهم واهویتهم ورکوبهم رقاب الناس انکروا امره ودینه، وصاروا بصدد ایذائه وقتله کما کان نظیر ذلك منهم ومن النصاری بالنسبة الی نبینا محمد (ص) وقدقال تعالی الذین آتیناهم الکتاب یعرفونه کمایعرفون ابنائهم. (الانعام ـ ٢٠)

وقال ايضا فى حق اليهود والنصارى .

: فلما جائهم كتاب مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جائهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على‌الكافرين (۸۹ ـ البقره)

وقوله **من انصارى الى الله** دعاانصاره ليخلص عنده ويتميز من ينصره‌فى تنجيز دعوته ونشر رسالته عمن لاينصره .

وهذه الدعوة قد وقعت منه (ع) بعد احساسه عدم ايمان عدة او ارتدادهم بعدالايمان مع كون الجميع مختلطين فاراد ان يعرف المحق عن‌المبطل‌والمجاهد عن القاعد والناصر عن الخاذل ، ليجتمع الاعوان الخالصين وانصارالحق على اليقين فيتعرفوا ويتشكلوا حتى يرى فى امره ماهو الاجدر بالقيام به .

وهذه سنة عقلائية جارية لدى العقلاء الكيسين ومن له زعامة امة وامامة جماعة‌متفرقة وقوم‌متشتتين‌ذوى‌الاهواء‌المتفرقة والعقائد‌المختلفة،فيختار‌منهم‌الاقوياء المتصلبين ليقوم بهم الاود ويسوى بهم الامت والعوج .

قوله **الى الله**

اى‌فى ذهابى الى‌الله وسيرى نحوه وفى‌تسيير المجتمع الانسانى اليه‌تعالى .

ان‌قلت مامعنى الذهاب الى‌الله والسيرنحوه مع‌انه تعالى‌ليس بجسم وليس له‌مكان؟

قلت‌للانسان وغيره من‌المكلفين سفران الى‌الله و سيران وكدحان مبدئهما معلوم ومنتهاهما لنامجهول .

الاول السفر التكوينى الظاهرى القهرى وخطاه فى‌هذا المسير انفاسه‌ومضى ايامه ولياليه ، ويشرع فيه‌الانسان من‌حين تكونه فى‌الدنيا و وجوده سواء اشعر هو بنفسه‌بهذا السيرام لم‌يشعره حتى يتم عمره ويصل الى جناب عظمة الرب و ساحة لقائه واللقاء يشرع‌فيه من‌حين الموت وتدوم وتتزايد آثاره و شؤنه فى البرزخ و القيامة ويتم ويكمل بدخول الجنةاوالناروالى هذااشير فى‌قوله تعالى)ياايهاالانسان انك‌كادح الى‌ربك كدحاً فملاقيه .)

الثاني السفر المعنوي الاختياري وهو قربه الى الله تعالى قربا تدريجيا بالحسنات من الاعمال فكل عقيدة حقة واذعان قلبي صحيح حصلها في اصوله الاعتقادية وكل اكرومة جميلة من خصال النفس وملكاتها اكتسبها وكل فعلة حسنة من اعمال الاركان عملها فهي خطوة منه معنوية تقربه الى الله وسير ارادي يسعى به اليه ويكدح

و يشرع السائر في هذا السير من حين حصول التمييز له وجود قوة التفكر والتعقل فيه ولانهاية له ولاحد يقف هو عنده وحيث انه امر اختياري له فربما يتوقف عن سيره وربما يرجع القهقرى ويتباعد عن ربه ولايمكن تحديد بعده في مرحلة شقائه كما لايحد قربه في مراتب كماله وان كان الراحل اليه قريب المسافة وافضل الراحلين اليه في هذا المسعى ومقدمهم الانبياء وخلفائهم عليهم السلام، ثم الامثل من المؤمنين فالامثل .

وقد دعى النبي عيسى قومه الى ان يرافقوه فيه ويرتحلوا معه في هذا السفر، كيف ولم يبعث الانبياء الالهذه الدعوة وهداية الناس اليه وسوق الجماعات البشرية لهذه السياق .

قوله **قال الحواريون نحن انصار الله** الحواري منسوب الى الحوار وهو البياض فانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب او كانت قلوبهم بيضاء نقية يبيضون الالباب والنفوس والاعضاء من درن الكفر والرذائل والمعاصي .

ومعنى نصرة الله السعي في تحقيق الاغراض والمقاصد التي شاء الله تعالى تحققها بارادة ومشية تشريعية ، بيان ذلك ان الله قد يريد امرا من الامور بارادة تكوينية، وهي اما ارادة الشيء من غير تخلل ارادة موجود ذي شعور اخر في تكونه وتحصله كارادته تعالى خلق الموجودات الاولية من الارواح والملائكة وبعض مواد عالم الطبيعة ، و اما ارادته مع تخلل ارادة غيره مع كون ذلك المريد ممن تكون ارادته تابعة لارادته تعالى غير متخلف عنه كارادته تعالى تدبير امر العالم بوساطة الملائكة الموكلين بذلك .

قال تعالى (فالمدبرات امرا) وقد ثبت بالأدلة الكثيرة ان الله تعالى ابى ان

يجرى الامور الاباسبابها، ثم انه لامحالة يقع ماارادهالله بهاتين الارادتين ويستحيل حصول الانفكاك بينهما وبين المراد والالزم عجزه تعالى او مخالفة ملائكته لاوامره، وتعالى الله عن جميع ذلك علواكبيرا، فالاعوان فيهذا المقام عبارة عن الملائكة الموكلين بتدبير العالم .

ويطلق عليهم انصار الله فى الامور التكوينية ومن هنا يمكن ان يقال ان الملائكة مجبورون على الطاعة وانهم لايقدرون على التخلف، فهم وان فعلوامافعلوا بالارادة الا انهم فيارادتهم غيرمختارين وليسوا مثلنا مختارين فيالارادة وتركها، ولاجل ذلك لم نشاهد ولم ينقل لنا مخالفتهم امرالله ونهيه واستحقاقهم العقاب لاجلها كما انه لم يذكر فى الكتاب الحكيم لطاعتهم واعمالهم اجر ومثوبة .

وقد يريد تعالى تحقق امر وحصوله مع تخلل ارادة من مكلف قادر مريد مختار غير مجبور ولامقهور ، وتسمى هذه الارادة من الله بالارادة التشريعية وهى كالعقائد الحسنة القلبية والاعمال الصالحة الجوارحية الصادرة من الاناسى والاجنة والشياطين ، فانهم جميعا مختارون فى ذلك فيريد الله تعالى ويجب صدور تلك الافعال منهم بارادتهم واختيارهم لابالاكراه والاجبار ويريد من بعضهم ان ينصروا البعض الاخرين فى الاتيان بها ويحب الناصرين لاجل ان النصرة ايضا امر حسن اختيارى صادر منهم .

فنتيجة الكلام ان هنا غرضين ومقصدين الهيين تكوينى وتشريعى .

اما الاول حققه واجراه الله تعالى بسببين (مع ان الله لايحتاج الى تسبيب الاسباب والاستعانة بالادوات والالات ، الا انه تعالى ابى فى هذا العالم الا ان يجرى الامور باسبابها) اولهما اعطاء الاقتضاء والسببية والعلية للاشياء ، فبهاجرت الاموروانتظمت شئون هذا العالم ودارت رحاه واستقام بقائه .

وثانيهما الملائكة الموكلين بادارة رحى الموجودات ، والصافات صفا والمقسمات امرا والمدبرات امرا ولم يدع الله احدا الى نصرته فى هذا الغرض .

واماالثانى فقد اجراه بيدانبيائه واوليائه وبعض ملائكته فهم المتلقون شرائع

الله مـن قبله ومبلغوها الى خلقه وهم وسائط الفيض التشريعى ، كما ان الملائكة وسائطه الفيض التكوينى وقد طلب فى تحقيق هذا الغرض النصرمن خلقه وندبهم الى ذلك وليس ذلك لعجزه بل لاجل ان هذا الغرض لايتحقق الااذا اتاه المكلفون بارادتهم واختيارهم ، فبعض بتلقيه من الله وابلاغه وآخرون بنصرة المتلقى وهى عين نصرته وسائر الناس بالقبول والعمل معهم .

ثم انه قد ظهر بما ذكرنا انمايرى فى القرآن الكريم ـ من ان الله تعالى يذكر تارة نصره للناس وانه ينصرهم جميعاوانهم محتاجون الى نصره، ويدعوهم ويحثهم اخرى الى ان ينصروا ربهم ـ لاتنافى بينهما ولاتهافت بل الموارد مختلفة، فنصرة الله عام لجميع الخلق فى جميع مقاصدهم الدنيوية والاخروية ، ونصر الخلق لـه تعالى يختص بالغرض التشريعى، وذلك النصر بنفسه نوع من عباداتهم امرهم الله بذلك ليثيبهم عليه وهم فى نصرهم ذلك محتاجون الى نصره تعالى (ولينصرن الله من ينصره) .

فمن موارد ذكره تعالى نصره لخلقه (وهى كثيرة) قوله تعالى :

١ ـ وكان حقا علينا نصر المؤمنين . « ٤٧ الروم »

٢ ـ والله يؤيد بنصره من يشاء. « ١٣ آل‌عمران »

٣ ـ بل الله مولاكم وهو خير الناصرين . « ١٥٠ آل‌عمران »

٤ ـ من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ « ١٥ الحج » .

٥ ـ وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم. « ١٢٦ آل‌عمران »

ومن موارد طلبه تعالى من عباده النصر (وهى قليلة لاتزيد عن اربعة موارد) قوله تعالى :

ياايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم « ٧ محمد »

ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز « ٤٠ الحج »

وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب . « ٢٥ الحديد »

ياايها الدين آمنوا كونوا انصار الله . « ۱۴ الصف »

ثم ان نصر الخلق لله يقع على وجوه :

۱ ـ النصر العملى بالاتيان بما امر الله به من العبادات والترك لما نهى‌عنه من المعاصى .

۲ ـ النصرالفكرى، بامعان النظرواعطاءالقوة العاقلة‌حقها فى‌التفكير والتعمق فى سبيل هداية الناس الى مايجب الاهتداء اليه .

۳ ـ النصر اللسانى بارشاد الجاهلين الى الاحكام والقوانين الالهية والامر بالمعروف والنهى عن المنكر قولا .

۴ ـ النصر القلمى بتبليغ الدين بالكتابة .

۵ ـ النصر المالى ببذله فى سبيل الدعوة الالهية ونشر البرامج الدينية .

۶ ـ النصر البدنى بالجهاد فى سبيل الله والقتال فى طريق مرضاته .

فيقع السؤال ح عن انه هل وقعت الدعوة من عيسى (ع) الى جميع تلك الاقسام من النصر حتى الجهاد بالسيف فى سبيل الحق، ونشر المعارف الانجيلية، وهل كان من شرعه الجهاد بالسيف مع الاعداء ؟ وعلى فرض ذلك هل وقع منه ذلك او لم يقع ؟ ظاهر كونه مصدقا للتوراة كما حكاه عنه القرآن فى موارد تشريع الجهاد بالسيف فى شريعته ، فانه لااشكال فى انه كان من اهم ماشرعه الله فيها لبنى اسرائيل وانه قد صدر من خلفاء موسى (ع) .

فان‌فتح‌الشام وفلسطين كان بيد يوشع بن نون وصى‌موسى والسبر فى‌قصص موسى فى القرآن ، يعطى انه وان لم يكن مامورا بالحرب مع فرعون وقومه،بل كان ماموراًباستخلاص بنى اسرائيل من اسارتهم واستضعافهم وتعبيدهم فان بنى اسرائيل لم يكونوا يستطيعون حربهم من حيث العدة والعدة كما يستفاد من قوله تعالى :

اذهباالى فرعون انه‌طغى فقولاله قولالينا لعله‌يتذكرو اويخشى «۴۴طه»

وقوله تعالى ، فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بنى اسرائيل (١٩ الشعراء)

وقوله تعالى: قال لئن اتخذت الهاً غيرى لاجعلنك من المسجونين (٣٠ - الشعراء)

وقوله تعالى: واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى انكم متبعون فارسل فرعون فى المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون (٥٧ الشعراء)

قال سنقتل ابنائهم ونستحيى نسائهم وانا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا (١٢٩ الاعراف) الآن الله قد كتب عليهم محاربة اهل الارض المقدسة التى كانت محل ظهور الانبياء ومحط نزول الوحى وطلوع الشرائع السماوية وكان قد غلبها الجبابرة وفشت فيها الفحشاء والمنكر ، وراجت فيها الاهواء و الشهوات ، فامر الله موسى بالجهاد معهم واحياء كلمة الحق فيهم قال تعالى :

ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها ابداً ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون «٢٥ المائدة»

والظاهر انه لم يكن حكم الجهاد فى التوراة مخصوصا بقوم خاص وارض معينة بل كان حكما كليا الهيا قابلا للدوام والبقاء.

كما قال تعالى: الم تر الى الملاء من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله.... فقتل داود جالوت و آتاه الله الملك والحكمة . (٢٤٧ البقرة)

وبالجملة كان الجهاد مع اعداء الدين من الاحكام الثابتة فى التوراة ، ولازم ذلك ثبوته فى شرع عيسى ايضا لانه كان مصدقا لجميع مافيها ويدل عليه ايضا قوله تعالى: ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن . (١١١ التوبة)

والمؤمنون یشمل کل من آمن بالله ورسله فی کل عصرو زمان ، وقوله «وعدا علیه» ای انوعد الجنة لهم وعدثابت علی الله مذکور فی التوراة والانجیل والقرآن، فالایة تدل علی تشریع حکم الجهاد لهم کما شرع لغیرهم .

فمافی تفسیر روح المعانی للآلوسی من قوله (انه لم یصح ان عیسی امر به) غیر صحیح، هذا بالنسبة الی تشریع الجهاد فی شریعته واماوقوعه وصدوره منه فی حیاته فقد یستظهر ایضا من قوله تعالی : فآمنت طائفة من بنی اسرائیل وکفرت طائفة فایدنا الذین آمنوا علی عدوهم فاصبحوا ظاهرین (الصف آخره)

لکن الایة لیست نصا فی الغلبة بالحرب والقتال لاحتمال کون المراد الغلبة بالحجة والبرهان کما قیل فی قوله تعالی :

ولن یجعل الله للکافرین علی المؤمنین سبیلا .

والحاصل مما ذکرنا انه یمکن حمل دعوة عیسی الی نصرته ونصرة الله ، علی المعنی الاعم الشامل للنصرة فی الحرب وبذل النفس فی سبیل الله تعالی.

قوله : **آمنا بالله واشهد بانا مسلمون .**

قد استعمل فی الایة الشریفة لفظ الاسلام والایمان، وینبغی فی توضیح معناها تقدم مقدمة موجزة ، وهی ان للانسان بحسب الغالب فی سیره الی کمالاته الانسانیة والدینیة مراحل اربع متدرجة .

الاولی : الاقرار باللسان بالتوحید والنبوة وما اتی به الرسول فی الجملة ، وهذه هی الدرجة الاولی فقد تحقق هذه والقلب خال عن الاذعان او هو فی شک وریب .

الثانیة : الاذعان قلبا والاعتقاد باطنا بما اقر بلسانه وهذه المرتبة قد تنفصل عن الاولی بزمان وقد تقارنها ،کما انه قد یتفق تقدیمها علیها .

الثالثة : تأثیر الاذعان الباطنی فی حرکة صاحبه نحو العمل والامتثال للتکالیف الظاهریة من الواجبات والمحرمات .

الرابعة : تسلیم القلب بما اذعن وحصول طمأنینة فیه وسکینة ، بحیث لایقبل

الترديد والتشكيك ولا يتزلزل بعروض الحوادث وتهاجم الوساوس ، وتسمى‌هذه المرتبة باليقين.

اذا عرفت هذا فنقول ان معنى اللفظين في‌اللغة واضح ، فان الايمان بمعنى الاذعان والتصديق والاسلام بمعنى الانقياد والخضوع .

وأما عندالمتشرعة . فقديقال ان‌الاسلام والايمان لفظان مترادفان يطلقان‌على جميع تلك المعاني ،فمعنى اللفظين امر ذو تشكيك كالنور والضياء ، وعلى‌فرض صحة هذا القول كما انه يؤيده قول مولانا السجاد (ع) في الدعاء الذي رواه عنه ابوحمزة الثمالي :

اللهم ان قوما آمنوا بك بالسنتهم ليحقنوا بذلك دمائهم. فادركوا ماامّلوا وانا آمنا بك بالسنتنا وقلوبنا لتعفو عنا فادركنا ما املنا ، فلكل واحد من اللفظين اطلاقات اخر .

فيستعمل‌الايمان تارة في‌خصوص‌المرتبة الثانية وهي‌امرقلبه فقط ، ويستعمل اخرى في مجموع المراتب الثلاث الاول، وبهذا الاطلاق قد استعمل في‌عدة من الروايات، ففيها‌ان الايمان‌اقرار‌باللسان وتصديق‌بالجنان وعمل بالاركان، ويستعمل ثالثة في خصوص المرتبة الاخيرة .

ففي بعض الروايات ان المؤمن ينظر بنور الله وان المؤمن لايكذب وانه لايزني وانه لايسرق .

وغير ذلك، فان الظاهر ان المراد بالمؤمن‌فيها هوالذي‌كمل ايمانه وحصل في قلبه نور اليقين بحيث منعه عن ارتكاب الفواحش .

واما الاسلام فهوايضا قد يستعمل في‌خصوص المرتبة الاولى وهوشايع‌بين المتشرعة ، وقد يستعمل في‌خصوص المرتبة الأخيرة ، والظاهرانه المراد في‌بعض الأدعية الواردة (اللهم اغفرللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات).

وفي بعض الروايات ، الايمان فوق الاسلام بدرجة، والتقوى فوق الايمان

بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة ، فقد اطلق الاسلام على الدرجة الاولى من تلك المراتب ، والايمان على الثانية ، والتقوى على الثالثة ، واليقين على الرابعة

ثم انه يظهر لك بما ذكرنا عدم التنافى بين الروايات بالنسبة الى معنى الايمان والاسلام ، فالموارد مختلفة والاستعمال يختلف باختلافها ، هذا كله بالنظر الى معنى اللفظين مطلقا ، واما المراد بهما فى المقام فيمكن كون المراد بهما المرتبة الاخيرة ، فالمقصود بالاية انهم اعترفوا بكونهم موقنين وطلبوا من عيسى ان يشهد به عند الله ، ويمكن ان يراد بالايمان المرتبة الثانية او الثالثة ، وبالاسلام الاخيرة، لان اسم الفاعل هنا يدل على ثبوت معناه فى الباطن وصيرورته ملكة

ثم انهم بعد ما عرضوا ايمانهم واسلامهم على نبيهم و طلبوا منه الشهادة على ذلك ، توجهوا الى الله وعرضوا ايمانهم عليه تعالى ايضا بقولهم

ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين

والايمان فى هذه الاية محتمل لكل واحدة من مراتبها المذكورة آنفا ، و هل يراد باتباع الرسول هنا اتباعه قولا اوقلبا واعتقادا اومشيا وعملا ، اوفى جميع ذلك وجوه ؟ وعلى بعض المحتملات يكون عطفه على قوله آمنا عطفا تفسيريا

وهذا اذا اريد باتباع الرسول اتباعه فى اوامره ونواهيه الارشادية ، و هى ما يحكيه الرسول عن الله تعالى ، فالاولى ان يراد اتباعه فى اوامره المولوية فيتغاير الايمان بالله مع اتباع الرسول ،كما ذكرنا فى قوله تعالى : اطيعوا الله و اطيعوا الرسول .

وفى ذكر ذلك ايماء بان قبول الدين والكتاب السماوى لايتم الا باتباع مجريه والاهتداء بهدى الامام العدل ، فالعدل القانونى الحكمى لاينفع اولايكمل ولايتم الا بالامام العادل و الهادى المصون عن الخطاء والزلل و لذلك تعمدت و اهتمت الشيعة الامامية بالتصريح على العدل والامامة فى اصول دينهم وعدوها خمسة اوسبعة كما مر فى بعض الابحاث الماضية

وهنا امر ينبغى للمتأمل فى حقائق التنزيل ان يلتفت اليه، وهو ان الحواريين اشهدوا نبيهم عيسى اولا على اسلامهم ثم طلبوا من ربهم ان يكتبهم مع الشاهدين فما معنى هذه الشهادة؟ ومتى تقع ،واين تقع ومن هو المشهود عليه؟ وماهو المشهود به وماهو المحوج الى وقوعها ؟

فنقول تستعمل الشهادة فى اللغة تارة بمعنى الحضور عند شيى ، و يلازمه عادة العلم بحال ذاك الشيىء و هذا اذا عدى الى المفعول بنفسه كقوله تعالى :

فمن شهد منكم الشهر فليصمه (١٨٥ البقرة)

وقوله تعالى : ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله (٢٨ الحج)

والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما (٧٢-الفرقان)

واخرى بمعنى الاخبار عن الشيىء والحكاية عنه ، وهذا على قسمين،شهادة تكوينية وشهادة انشائية ، اما الاولى فهى كون الشيىء دالا على امر بمقتضى طبعه وخلقته .

قال تعالى و اذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ، ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين (١٧٢- الاعراف)

والمعنى ان الله اخرج نسل بنى آدم بعضهم من بعض والابناء من اصلاب الاباء قرنا بعد قرن ، فاشهدهم على التوحيد بان اقام لهم دلائل التوحيد و براهينه فى الافاق و فى انفسهم ، ليقروا بالله و يذعنوا بتوحيده ، فيكون خلق العالم على هذه الكيفية المشاهدة وابداع الاثار والشواهد الحاكية عن ذاته تعالى و صفاته ، اشهادا من الله ودعوة للعقول ليقبلوا ويعترفوا كما انها شهادة تكوينية منه تعالى على وحدانيته ، ويكون ما ركب فى عقولهم من استعداد ادراك الحق والاذعان به شهادة تكوينية منهم واقرار على التوحيد ، فكان الله تعالى قال لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلى شهدنا

وقال تعالى شهدالله انه‌لااله الاهو والملائكة واولوا‌العلم‌قائما بالقسط.
(۱۸- آل‌عمران)

يمكن ان يكون المراد بشهادةالله تعالى فى هذه‌الايةماذكرنامن‌شهادة اجزاء العالم‌على وجوده و صفاته، فهى شهادة تكوينية ،و يمكن ارادة الشهادة الكتبية ، كخلق‌الله الكتابة الدالة على التوحيد فى‌اللوح‌المحفوظ، اوالّلفظية كخلقه‌الصوت الذى تسمعه الملائكة ، او الالهامية كايحاء التوحيد الى قلوب الانبياء و نفوس الملائكة بل والى كل قلب ليس بمتكبرجبار ، فشهادةالله‌تعالى‌على‌اقسام، تكوينية وكتبية ، ولفظية ، والهامية وهذه الثلاث ايضا ترجع‌الى التكوينية لرجوعها الى الخلق والتكوين .

ثم ان العلم بشهادةالله الكتبية واللفظية يختص بالانبياء والملائكة و بعض خلفائهم : فهم قد يطلعون على اللوح المحفوظ ويسمعون كلام‌الله واما التكوينية والالهامية ، فيعرفهما كل من شرح‌الله صدره‌للاسلام وهوعلى نورمن‌ربه. وكل‌من القى السمع وهوشهيد .

واماشهادة الملائكة التى اشير اليها فى الاية الشريفة ، فهى ايضاتارةتكون تكوينية لانهاكماعرفت عبارة عن دلالة وجود العالم و نظمه و حسن تدبيره على الصانع الحكيم وصفاته

وكما ان‌هذاالامر‌شهادة‌تكوينية‌من‌الله‌فهو‌شهادة‌تكوينية‌من‌الملائكة فان‌تدبير العالم بيدهم وبوساطتهم ، وهم المقسمات امرا، والجاريات يسرا ، والمدبرات امرا ، فالخلقة العجيبة الصادرة بيدهم والنظم‌التام الجارى بوساطتهم هى‌شهادتهم التكوينية ، وانه شهادة ماانتمها وابينها واخرى تكون اللفظية كما قال تعالى

شهدالله انه لااله الا هو والملائكة اه

وقال تعالى حاكياعن‌الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس‌لك(۳۰-البقرة) فان حمدهم شهادة على صفاته الكمالية ، « و تسبيحهم شهادة على صفاته الجلالية».

وقال : والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض
(٥ - الشورى)

وقال : وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم
(٧٥ - الزمر)

ولا يخفى عليك ان علمنابشهادة الملائكةالتكوينيةواللفظية الانشائيةينحصر بطريق السمع اى الاستفادة من القرآن والسنة هذاكله فى الشهادة الدنيوية ، واما الاخرة فالاية الدالة على وقوع الشهادة فيها على طوائف .

منها ما يدل على اصل‌وقوع الشهادة فيهاكقوله تعالى

ومن اظلم‌ممن افترى على‌الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على‌ربهم. (١٨- هود)

و قال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف‌عنا يوما من العذاب .... انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد .
(٥١ - غافر)

وقال تعالى : واشرقت الارض بنور ربها و وضع الكتاب و جيىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق(٦٩ -الزمر)

و منها . ما يدل على شهادة الانبياء والائمة (ع) والمؤمنين فى الاخرة كقوله تعالى :

وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس‌ويكون‌الرسول‌عليكم شهيدا (١٤٣ - البقرة)

الوسط وصف للامة ويستوى فيه المذكر والمؤنث ، والمفرد والجمع ، والمراد به الحد المتوسط بين طرفى الافراط والتفريط ، و هو فى الحقيقة وصف لحال الامة ، اى‌عقائدهم وصفاتهم‌واعمالهم‌فجعل‌الله‌عقائدهم معتدلة مستقيمة‌لاافراط فيها ولا تفريط ، وكذلك اخلاقهم واعمالهم

ثم استعمل وصفا لانفسهم وحيث ان المراد بالشهادة كما سيجيء الشهادة يوم القيامة على الناس جميعا ، فالمخاطب بالاية ليس جميع الامة الاسلامية قطعا اذمنهم الفساق والفجار ومن لاوزن له عندالله ولاقيمة ، فكيف يترتب عليهم ماجعل غاية للوسطية اعني قبول شهادتهم في الاخرة في حق الامة ، وقدروى العياشي في ذيل الاية الشريفة عن ابيعبدالله(ع) قال:

فان ظننت ان الله عنى بهذه الاية جميع اهل القبلة من الموحدين افترى ان من لايجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطلب شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الامم الماضية (بح ۲۳ باب عرض الاعمال ج ۵۸)

فالخطاب لخصوص الائمة عليهم السلام اعني الخلفاء المنصوبين بنص النبي الاعظم وبالامر المبرم من قبل الحكيم تعالى، والمراد بالشهادة شهادتهم (ع) على الناس يوم القيامة با يمانهم و كفرهم و سائر عقائدهم ، و با عمالهم من حسناتهم وسيئآتهم وجميع احوالهم الدخيلة في مثوباتهم و عقوباتهم .

و المراد بشهادة النبي عليهم شهادته بما علموا وبما عملوا وجاهدوا في الله تعالى حق جهاده في ايفاء وظائف الامامة وتبليغ ماعليهم من احكام الدين وقواعد الشريعة .

والدليل على هذا المعنى روايات واردة في تفسير الاية عن اهل البيت(ع)، ففي صحيحة بريد العجلي قال قلت لابي جعفر (ع) قول الله تعالى :

وكذلك جعلناكم امة وسطا ـ شهيدا قال نحن الامة الوسطى ، ونحن شهداء الله على خلقه و حججه في ارضه .

وفي رواية سليم بن قيس الهلالي عن مولانا اميرالمؤمنين(ع)، قال ايانا عنى بقوله : «لتكونوا شهداء على الناس» فرسول الله شاهد علينا ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في ارضه ، ونحن الذين قال الله تعالى : « وكذلك جعلناكم امة وسطا».

و في رواية حمران بن اعين عن الباقر (ع) : انما انزل الله (وكذلك

جعلناكم امة وسطا) يعنى عدولا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا ، قال : ولا يكون شهداء على الناس الا الائمة (ع) والرسل ، فاما الامة فانه غير جائز ان يستشهدها و فيهم من لايجوز شهادته فى الدنيا على حزمة بقل . (نور الثقلين ج ١) .

فهذه الروايات كاشفة عن مرمى الاية و معناها من حيث تعيين الشهود ، واما المشهود به وانهم بماذا يشهدون ؟ فقد روى ابو بصير عن الصادق (ع) فى قوله تعالى : « لتكونوا شهداء على الناس » قال بما عندنا من الحلال و الحرام و بما ضيعوا منه . و المراد بما عندهم احكام الدين من اصوله وفروعه ، فهم يشهدون بعلم الناس بها وجهلهم وطاعتهم ومخالفتهم ، ثم انه لاينافى ماذكرنا من كون الخطاب للائمة (ع) ، امكان ثبوت هذا المقام لغيرهم ايضا فالاية تشبه الايات التى خوطب بها النبى الاعظم ، وتشمل غيره فى مفادها ، فكل انسان سعى فى مراتب كما له الدينى و رقى فى درجاته بحيث اعتدلت عقائده و توسطت ملكاته و استقامت اعماله ، يكون ممن يشهد يوم القيامة على الناس بما يشهد به الائمة (ع) ويكون الرسول (ص) شهيدا عليه بمقامه و كماله .

و قوله تعالى : وجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم و تكونوا شهداء على الناس (٧٨ الحج) .

الجهاد هو تحمل المشقة ، و المراد به هنا الاعم من جهاد النفس و جهاد العدو ، فالمراد به العمل بقوانين الشرع واحكام الدين ، ومعنى كونه حق الجهاد ، مراعاة جميع اصولها وفروعها عملا ومقارنة ذلك بالاخلاص قلبا ، وقوله : «هو اجتباكم » اى اختاركم ربكم باعطاء هذا الدين وانزال الكتاب المبين ، ولم يجعل لكم فى احكامه وقواعده حكما حرجيا ، بان لم يشرع ماكان اصله مستلزما للحرج ، كايجاب الصلوة بالجماعة على جميع الناس و خمسين صلاة فى اواخر الليل ،

وتحريم اكل غيرالخبز مثلا ، ورفع ماصار ضرريا فى‌مقام العمل، كايجاب الغسل والصيام للمريض ونحوذلك وقوله: «ملة ابيكم» اى هذا الدين هوالطريقة التى كان عليها ابوكم ابراهيم (ع) ،

وقوله : «هوسماكم» اى‌الله تعالى اوابراهيم النبى سماكم المسلمين من‌قبل زمانكم هذا وهو جميع الازمنة التى شرع الدين للناس و فى زمانكم هذا ، فان الدين عندالله الاسلام وكل من قبل الدين وعمل به فهو مسلم ، وقوله : « ليكون الرسول » الظاهرانه فى‌مورد العلة الغائية لقوله : «وجاهدوا فى‌الله» ومابينها تعليل للجهاد المذكور وبيان لما يكون حثا فى‌ذلك وترغيبا ، فان اصطفاء امة واجتبائهم و بذل نعمة الدين عليهم وتسميتهم مسلمين ، يقتضى لزوم جهادهم حق الجهاد ، كما ان نتيجة ذاك الجهاد الخاص هى بلوغ المجاهد مقاما متوسطا بين الرسول و الناس و كون الرسول شاهدا عليه ، باخذه الدين و ابلاغه وكونه شاهدا على الناس بالقبول و الرد .

وهذه الاية ايضاكسابقتهاتنطبق على‌الائمة (ع)وهم المعينون بها. كماوردت بذلك اخبار .

ففى صحيح بريد العجلى عن مولانا الصادق (ع) قال قلت لابى جعفر قوله تعالى : «وجاهدوا فى‌الله حق جهاده هواجتباكم » قال ايانا عنى ونحن المجتبون، ولم‌يجعل‌الله فى‌الدين من حرج فالحرج اشد من‌الضيق «ملة ابيكم ابراهيم» ايانا عنى خاصة «هو سماكم المسلمين» الله سمانا المسلمين من قبل ، فى الكتب التى مضت وفى هذا القرآن « ليكون الرسول‌شهيدا » فرسول‌الله الشهيد علينا بما بلغنا عن الله تعالى ، و نحن الشهداء على الناس يوم القيامة ، فمن صدق يوم القيامة صدقناه ومن كذب كذبناه (نور الثقلين ج ۱ ص ۲۲۵) ونحوها غيرها مع ان‌فى نفس الاية ايضاً شواهد على ارادتهم (ع) ،كقوله تعالى : « ملة ابيكم ابراهيم » فان حمل الأب على الاب الروحانى مثلا خلاف الظاهر ، و قوله : « هو سماكم المسلمين » اريدبه قول ابراهيم : « ربنا واجعلنا مسلمين لك‌ومن ذريتنا امة مسلمة

لك» بناء على ارجاع الضمير المرفوع الى ابراهيم (ع) و قد عرفت ان انطباق الاية على‌الائمه (ع) لايأبى عن‌قابليتها لاندراج غيرهم فيها ، فكل من جاهد فى‌الله حق جهاده يترتب عليه الحكم بالمشهود به عليه ، وشهادته على غيره .

وقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا . (٤١ النساء)

اى جئنا بك شهيدا على امتك اوعلى الشهداء .

وقوله ويوم نبعث من كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء (٨٩ النحل)

ويقرب مما ذكرنا الاية . ١٥٩ . من النساء ـ والاية ٨٤ من النحل ـ والاية ١٥ من المزمل وغير ذلك .

ان قلت . ان شهادة النبى والائمة (ع) على امتهم اوعلى جميع الامم يوم القيامةتتوقف على‌اطلاعهم وعلمهم بما يشهدون به من‌عقائدهم وملكاتهم واعمالهم، وعلى كيفية صدورالاعمال منهم من‌خلوص‌اوشوب رياء وغيره ليتسنى لهم التحمل فيتمنكوا من الاداء ، وهل يمكن ذلك لغير الله تعالى وان كان عبدا صالحا اونبيا او وصى نبى ؟

قلت ان جميع مايصدر من العباد والمكلفين ـ مع قطع النظر عن ثبوته فى علم الله الازلى ، كسائر الكائنات والحوادث قد ثبتت قبل صدوره وحدوثه فى كتاب كبير لايضل ربى ولاينسى ، ويسمى بالكتاب تارة وباللوح المحفوظ اخرى وبام الكتاب ثالثة وبالامام المبين رابعة قال الله تعالى :

ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة فى‌الارض ولافى‌السماء ولااصغر من‌ذلك ولااكبر الا فى كتاب مبين (٦١ يونس)

ومايعزب اى لايغيب عن علمه ومرآه ومنظره، والذرة معروفة او هى النملة الصغيرة ، وقوله ولااصغر ابتداء كلام فالاية تبيان لثبوت الاشياء فى علم الله وفى الكتاب الكبير .

وقال : عالم الغیب لایعزب عنه مثقال ذرة فی السموات ولافی الارض، ولا اصغر من ذلك ولااكبر الافی كتاب مبین (۳ـ سبأ)

وقال : وما كان لرسول ان یاتی بآیة الاباذن الله لكل اجل كتاب یمحو الله مایشاء ویثبت وعنده‌ام‌الكتاب (۳۹ـالرعد)

وقال : الم تعلم ان الله یعلم مافی السماء والارض ان ذلك فی كتاب انذلك علی‌الله یسیر (۷۰ـالحج)

وقال : انه لقرآن كریم فی كتاب مكنون لایمسه الاالمطهرون (۷۸ـالواقعة)

ویثبت ایضا ان‌عمل كل شخص من‌اشخاص‌المكلفین، فی كتاب مخصوص به ، فیدرج فیه كلما یتعلق به من‌حركاته وخواطرقلبه ولحظات‌عینه ولفظات لسانه، علی نحو التدریج وشیئا فشیئا علی‌طبق مایحدث منه بتصرم ساعاته وایامه فی‌سنین عمره ، منذ القته ید التكوین علی‌صفحة الوجود فی‌الدنیا الی آخر لحظة صدرت منه عندموته، كل ذلك بید الملائكة الموكلین‌علیه والكرام الكاتبین صحیفةاعماله.

قال تعالی : و ان علیكم لحافظین كراما كاتبین یعلمون ما تفعلون .

(۱۲ـ الانفطار)

ایحسبون انا لانسمع سرهم ونجواهم بلی و رسلنا لدیهم یكتبون .

(۸۰ـ الزخرف)

انا نحن نحیی الموتی ونكتب ما قدموا وآثارهم (۱۲ـ یس)

وكل‌انسان الزمناه طائره فی عنقه ونخرج له یوم القیامة كتاباً یلقاه‌منشوراً

(۱۳ـ الاسراء)

اقرء كتابك كفی بنفسك الیوم علیك حسیباً (۱۴ـ الاسراء)

فاما من اوتی كتابه بیمینه فیقول هاؤم اقرئوا كتابیه. (۱۹ـ الحاقة)

واما من اوتی كتابه بشماله فیقول یالیتنی لم اوت كتابیه. (۲۵ـ الحاقة)

فمن یعمل من الصالحات وهو مؤمن فلاكفران لسعیه وانالہ كاتبون.

(۹۴ـ الانبیاء)

اذا عرفت ذلك فنقول : ان علم الانبياء والائمة (ع) باعمال الناس ، اما ان يكون باطلاعهم و اشرافهم على الكتاب الكبير اعنى اللوح المحفوظ ، و ذلك امر ممكن تعرضنا له تحت (عنوان الامام) واما ان يكون باطلاعهم على الكتاب الخاص بكل احد بعد عرض الحفظة عليهم، وهذا مما لاشبهة فيه، فان الظاهر انها تعرض عليهم فيعلمون بماصدرمنهم من الحسنات والسيئات ، فتعرض على كل نبى او امام اعمال من عاصره من الامة فى كل ثلاثة ايام ، او فى اسبوع ، و بذلك يتحقق تحمل الشهادة منهم فيؤدونها يوم القيامة، يوم يأتى الله من كل امة بشهيد، ويأتى بالنبى الاعظم محمد (ص) شهيدا على هؤلاء. قال تعالى:

يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لاتعتذروا قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم و رسوله ثم تردون الى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون .
(٩٤- التوبة)

وقال تعالى : وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة. (١٠٥-التوبة)

ولنوردههنا بعض ما يدل على ذلك من احاديث الباب تيمنا .

ففى الصحيح عن مولانا الصادق (ع) قال : ان اعمال العباد تعرض على رسول الله كل صباح ، ابرارها وفجارها فاحذروا فليستحى احدكم ان يعرض على نبيه العمل القبيح (البحار ج٢٣ باب عرض الاعمال ح١٤)

وعنه (ع) فى قوله : (و قل اعملوا فسيرى الله عملكم) قال ايانا عنى (ح -- ١٠)

وفى الصحيح عنه(ع) المؤمنون ههنا الائمة(١٣)

و عنه (ع) قال : مالكم تسوئون رسول الله (ص) فقال له رجل كيف نسوئه فقال اما تعلمون ان اعمالكم تعرض عليه فاذا رأى معصية سائه ذلك ، فلا تسوئوا رسول الله وسروه .

وعن داودبن كثير الرقي، قال كنت عند ابي‌عبدالله اذ قال‌لي مبتدء من قبل نفسه يا داود لقد عرضت على اعمالكم يوم الخميس، فرأيت فيما عرض على من عملك صلتك لابن عمك فلان ، فسرني ذلك انى علمت ان صلتك له اسرع لفناء عمره و قطع اجله ، قال داود وكان لى ابن عم معاند خبيث بلغنى عنه و عن عياله سوء حال فصككت له نفقة قبل خروجى الى مكة ، فلما صرت بالمدينة اخبرنى ابوعبدالله(ع) ذلك (ح ۱۲).

الصك الكتاب الذى يكتب فيه العطاياوالارزاق.

وعن‌حمادبن سويدعن ابي‌جعفر الباقر(ع) قال : قال رسول‌الله وهو فى نفر من اصحابه ان مقامى بين اظهركم خيرلكم ، وان مفارقتى اياكم خيرلكم ، فقام اليه جابربن‌عبدالله الانصارى وقال يارسول‌الله اما مقامك بين اظهرنا فهو خيرلنا ، فكيف يكون مفارقتك ايانا خيرا لنا .

قال (ص) اما مقامى بين اظهركم فهو خيرلكم لان‌الله يقول (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وماكان‌الله معذبهم وهم يستغفرون ، يعنى يعذبهم بالسيف فاما مفارقتى اياكم فهو خيرلكم لان اعمالكم تعرض على كل اثنين و خميس ، فما كان من حسن حمدت الله عليه وماكان من سيىء استغفرت لكم (ح۹)

وعن عبدالله‌بن ابان وكان‌يسمى عبدالرضا، قال قلت للرضا (ع) ادع‌الله لى ولاهل بيتى، قال او لست افعل والله ان اعمالكم لتعرض على فى كل يوم وليلة ، فاستعظمت ذلك فقال اما تقرء كتاب‌الله : « قل اعملوا فسيرى الله‌عملكم و رسوله والمؤمنون» (ح۴۷ و۵۲و۵۳)

وعن الباقر(ع) فى‌قوله : «وكذلك جعلناكم امةوسطاً» قال منا شهيد على كل زمان، على‌بن ابيطالب(ع) فى زمانه والحسن فى زمانه و الحسين فى زمانه‌وكل يدعو منا الى امرالله)

« بحار ح۲۲ - باب عرض‌الاعمال عليهم و انهم الشهداء ح ۷)

و عن ابیعبدالله (ع) قال مامن مؤمن یموت او کافر یوضع فی قبره حتی یعرض عمله علی رسول‌الله و علی امیرالمؤمنین (ع) وهلم جرأ الی اخرمن فرض الله طاعته فذلك: «وقل اعملوا فسیری‌الله عملکم ورسوله والمؤمنون» (ح ۱۵) .

ان‌قلت کیف تدعی علم الأنبیاء والأئمة(ع) باعمار الامة فی الدنیاوشهادتهم علیهم فی الأخری مع ان الله تعالی قد اخبر بعدم علمهم بها فی الاخرة کمااخبر بعدم علم الامم ایضا باعمالهم قال تعالی : یوم یجمع‌الله الرسل فیقول ما ذا اجبتم قالوا لاعلم لنا انك انت علام الغیوب (۱۰۹ المائدة) .

وقال : ویوم ینادیهم فیقول ماذا اجبتم المرسلین... یتسائلون (۶۶القصص) قلنا : قد عرفت دلالة الایات والأخبار علی علمهم ویدل علیه ایضا قوله تعالی : «وقال‌الرسول یارب ان‌قومی‌اتخذوا هذاالقرآن مهجورا» (۳۱ الفرقان) فلامناص ح عن‌القول بعدم‌الاطلاق فی آیة المائدة بحیث یشمل جمیع الحالات والمواقف فی القیامة فلعل ذلك یکون فی موقف خاص فانه لم یظهر لناکیفیة اطلاعهم‌علی احوال العبادواعمالهم ولاندری انهم یعلمون بها فیبقی فی نفوسهم الشریفة الی حال اداء الشهادة یوم القیامة اوان حصول العلم لهم‌یکون عند النظر الی‌صحائف الاعمال اوعرض الملائکة کاطلاعنا علی مطالب بعض الکتب فیغیب عنهم بعد موتهم ومضی مدة البرزخ ثم یتجدد لهم العلم بتذکیر غیبی الهی او بالنظر الی الکتاب الکبیر اوصحائف الاعمال الخاصة وبالجملة اقرارهم بعدم العلم فی زمان وموقف‌لایدل‌علی عدم‌علمهم مطلقاویمکن ان یکون قوله : « ولنسئلن الذین ارسل الیهم‌ولنسئلن‌المرسلین فلنقصن علیهم بعلم و ماکنا غائبین» (۷۶ الاعراف) اشاره الی ان المرسل والمرسل الیهم لایعلمون مایسئلون عنه فیقص‌الله‌علیهم‌بعلم

وقد یقال : بان المراد بالایة اظهارالرسل‌قلة علمهم فی جنب علم‌الله‌تعالی المحیط بکل شیء تادبا ومبالغة فکانهم قالوا علمنا بذلك کعدم العلم فلاعلم لنا وقوله تعالی : «انك‌انت‌علام الغیوب»یؤیدالمعنی الاول فانهم جعلوا موردالسؤال من مصادیق‌الغیوب التی لایعلمهاالاالله .

هذا اجمال الكلام فی مسئلة الشهادة واقسامها وزمانها وسائر خصوصیاتها و یظهر بذلك ان الحواریین لما طلبوا من رسولهم ان یكون لهم شاهدا ودعوا ربهم ان یكتبهم شهداء علم منه ان حقیقة سؤالهم هی ان یبلغهم ربهم مقام الامة الوسط والمجاهدین فی الله حق الجهاد وذلك اما باكمالهم فی درجات الایمان او باجتبائهم لمنصب النبوة كما یمكن استظهاره من قوله تعالی و اذا اوحیت الی الحواریین ان آمنوا بی وبرسولی قالوا آمناواشهد باننا مسلمون» (۱۱۱ المائدة)

وظاهر الایحاء هو كونه الی من له مقام النبوة فهم قد طلبوا مقاما شامخا فی الایمان او منصب النبوة لیكون رسولهم شهیدا علیهم و یكونوا شهداء علی الناس كالائمة بعد النبی الاعظم محمد (ص) فانه كانت نسبة الانبیاء السابقین غیر اولی العزم وغیر اصحاب الكتب منهم الی اصحاب الكتب والشرائع كنسبة ائمتنا الی نبینا .

و قد علم بهذا ایضا ان مقام الشهادة بهذا المعنی اعظم من الشهادة بمعنی القتل فی سبیل الله لكونه نتیجة الجهاد الاكبر و لذا قد تكرر فی الذكر الحكیم التنبیه علی عظمة هذا الامروان الشاهد والشهید اولا هوالله ثم المقربون من عباده

قال تعالی «ان الله كان علی كل شییء شهیداً» (۳۳ـالنساء) .

«انا ارسلناك شاهدا ومبشراونذیرا» (۴۵ـالاحزاب) .

«یقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدین» (۸۳ـالمائدة) .

«ولیعلم الله الذین آمنوا ویتخذ منكم شهداء» (۱۴۰ـآل‌عمران).

«فاولئك مع الذین انعم الله علیهم من النبیین والصدیقین والشهداء والصالحین» (۶۹ ـ النساء)

«ووضع الكتاب وجییء بالنبیین والشهداء وقضی بینهم بالحق» (۶۹ الزمر)

«والذین آمنوا بالله و رسله اولئك هم الصدیقون و الشهداء عندربهم لهم اجرهم ونورهم» (۱۹ الحدید) .

والظاهر انه ليس فى‌الكتاب الكريم مورد علم فيه استعمال كلمة الشهيد فى المقتول فى سبيل الله .

قال تعالى **ومكروا ومكرالله والله خيرالماكرين** (۵۴ آل‌عمران)

التفسير

المكر مفهوم معروف ، ويمكن تعريفه بانه العمل الذى له ظاهر محبوب و باطن مكروه ، و ليس القبح لازما لذاته ، فانه ان كان الغرض منه تضييع حق و الظلم لاحد كان قبيحا ، و ان كان الغرض تمشية حق او رفع ضرر كان حسنا قال تعالى : « استكباراً فى الارض ومكرالسيىء ولايحيق المكر السيىء الاباهله » (۳۵ - ۴۳) .

فيعلم ان هنا مكراً حسنا ومكراً سيئا ، ولذا لايكون مايصدرمنه من‌الله‌تعالى باطلا قبيحا ، اذلا يصدر منه ذلك الا مجازاة لمكر الماكرين او لمصلحة تشابه ذلك ، ونظيره فى المعنى الخدعة فانها تستعمل ايضا فى اظهار ما يوهم السلامة وابطال مايقتضى الاضرار، وقدنسب الله المكروالخدع الى نفسه فى‌كتابه الكريم فى موارد ، قال‌تعالى : فى قصة صالح النبى وقومه :

ومكروامكراً ومكرنا مكرأوهم لايشعرون (۵۰ - النمل) اما مكرالقوم فقد تقاسموا بالله لنبيتنه و اهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله و انا لصادقون وامامكرالله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا .

وقال‌تعالى. ويمكرون ويمكرالله والله خيرالماكرين (۳۰-الانفال) .

اما مكر قريش فقوله تعالى : واذ يمكر بك الذين كفرواليثبتوك اويقتلوك او يخرجوك ، واما مكره تعالى فقد حفظه واخرجه من مكة واعانه بجند منه ، ثم رده اليهم ظافرا غالبا حتى خطب (ص) فى محتشد حافل فى‌البيت الحرام ، وقال

الحمدلله وحده وحده انجز وعده ونصرعبده واعزجنده وهزم الاحزاب وحده .

وقال تعالى: وقد مكرالذين من قبلهم فللهالمكرجميعا . (۴۲ـالرعد) .

اما مكر الناس فهو جميع ما يحتالون فى الدنيا لبقائهم و دفع المضار و الموت عن انفسهم ، و اما مكره تعالى فقد قال : « او لم يروا انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها و الله يحكم لامعقب لحكمه » و نقص الارض عبارة عن اماتة اهلها بالامراض والاوجاع والحوادث المترقبة وغير المترقبة ، ومعنى كون المكر كله لله ، كون جميع الحيل و اسبابها بيده تعالى ، وكون نفس الماكر و تفكيره ووسائل اعمال ما قدره ودبره مخلوقا لله مملوكاله بملكية اشراقية .

و قال تعالى : قل الله اسرع مكراً (۲۱ ـ يونس) وقال تعالى : انالمنافقين يخادعونالله وهوخادعهم (۱۴۲ النساء).

فهم يظهرون الا يمان و يبطنون الكفر ، فيد خلون به فى زمرة المسلمين ، ويؤمنون على اموالهم وانفسهم وينتفعون بما انتفعوا به من الغنائم وغيرها فكانهم خدعوا ربهم بهذه الفعال ، والله تعالى يمهلهم ليستدرجوا فى الشقاء فياخذهم بغتة وهم لايشعرون .

وح فقوله تعالى : «وقدمكروا» اىمكرالذيناحس عيسى منهم الكفر، وقد وقع الاختلاف فى كيفية مكرهم ومكرالله، فيظهرمنالاناجيل انملك بنىاسرائيل ارسل رجلا منهم خبيثا، ليدخل البيت الذى كان عيسى والحواريون ويقتل عيسى غيلة، فدخله فالقىالله عليه شبه عيسى فخرج الىاصحابه يخبرهم انه ليسفىالبيت، فقتلوه وصلبوه وظنوا انه عيسى وقد رفعالله عيسى اليه .

ويستفاد من روايات اهل البيت ان مكرالله القائه تعالى شبه عيسى علىاحد الخلصاء من تلامذته بعد دعوة عيسى وقبوله ذلك برضاه ، فصلب وقتل ثمرفع الله عيسىاليه حياً وسيجىء تفصيل القولين فى الاية التالية .

قال تعالى **اذقال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيماكنتم فيه تختلفون** (٥٥ آل‌عمران)

التفسير

قوله : **اذ قال الله** متعلق بقوله مكر الله ، فهوبيان لكيفية مكر الله تعالى فى حقهم كما عرفت ، والتوفية : وفاء الدين اوالوعد تاما و بالنحو الاكمل كما قال تعالى :

وان كلالما ليوفينهم ربك اعمالهم (١١١ هود)

اى يعطى‌الله يوم القيامة كل طائفة من‌الابراروالفجارجزاء اعمالهم تاماكاملا اويوفيهم نفس اعمالهم وقال :

وكيف اذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت

(٢٥ آل عمران)

واما التوفى فهومطاوعة التوفية ، فهواخذ الشىء تاما فاذا اسند الى‌الروح كان المراد اخذها كلا ، واذا اسند الى الانسان فالمراد اخذ الانسان كذلك. قال تعالى :

الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم‌تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى (٤٢-الزمر)

فاسند الاخذ والتوفى الى الروح ومعناه (ح) اخذها بحيث لم يبق لها تمكن الرجوع وعلقة الارتباط والاتصال، فلوارجعه الى‌محله فهوامتنان منه‌تعالى ورحمة :

وقال تعالى : قل يتوفاكم ملك الموت (١١ ـ السجدة)

و قال تعالى : حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون (۶۱ـ الانعام)

فاسند فى‌الايتين التوفى الى‌الانسان المركب من الروح والجسد فالمعنى‌ان الملائكة يقبضونه من‌بين المجتمع‌فيسلمون الجسد بمعونة اهله الى القبرويعرضون الروح على‌الله كما قال‌تعالى:

واخذوا من مكان قريب

ثم ان المفسرين قد اختلفوا فى ان رفع عيسى الى‌الله تعالى‌هل‌كان باماته ورفع روحه ، اوكان برفعه حيا بالروح والجسد؟ و الاناجيل مصرحة بان اليهود قتلوه وصلبوه فدفنوه ، ثم احياه الله وارسله الى الحواريين فى جبل الجليل . فوعظهم واوصاهم وغاب عن اعينهم وهوحى الى انقضاء الدهر، ففى انجيل‌متى ما خلاصته انه جاء يهودا الاسخر يوطى احد الاثنى عشر من‌تلامذته ومعه جماعة معهم السيوف والعصى : من عند رؤساء الكهنة ومشايخ الشعب

وقد قال لهم يهودا ان الرجل الذى اقبله هو المسيح ، فامسكوه فلما رأى يهودا المسيح قال السلام عليك يامعلم

ثم‌قبله فامسكوه فذهبوابه الى رئيس الكهنة، حيث تجتمع‌الشيوخ فالتمس المشايخ على يسوع شهادة يقتلونه بها ، فجاء جماعة من شهود الزور فشهد منهم اثنان‌ان يسوع قال انااقدر ان انقض هيكل‌الله تعالى وفى ثلاثة ايام فقال‌له الرئيس ماتجيب عن‌نفسك بشىء، فسكت فاقسم عليه رئيس‌الكهنة بالله الحى انت‌المسيح فقال انا اقول لكم لا ترون ابن الانسان حتى تروه جالسا عن يمين القوة وآتيافى سحاب السماء ، فلما سمع رئيس‌الكهنة ذلك شق ثيابه ، وقال ماحاجتنا الى‌شهادة يهودا قد سمعتم ، ماذا ترون فى‌امره فقالوا هذا مستوجب الموت .

فح بصقوا فى وجه البعيد ولطموه وضربوه واسلموه لفيلاطس القـائد ، فتصايح الشعب باسره يصلب يصلب فساقه القائد ، فاجتمع عليه الشعب، ثم ذهب

به وهو يحمل صليبه فصلبوه فاقتسموا ثيابه بينهم بالقرعة وجعلوا عند رأسه لوحا مكتوبا هذا ملك اليهود استهزاء به ولما كان ساعات من يوم الجمعة صرخ يسوع وهو على الصليب بصوت عظيم ايلي ايلي، ايما صاصا اى الهى الهى ، لم تركتنى وخذلتنى .

ثم امال رأسه واسلم روحه وانشق حجاب الهيكل وانشقت الصخور وتفتحت القبور، ولما كان المساء جاء رجل من اهل الرامة يسمى يوسف بلفائف نقية وتركه فى قبر كان تحته فى صخرة ثم جعل فى باب القبر حجراً عظيماً .

ثم جائت مريم المجدلية ورفيقتها عشية يوم السبت ، واذا ملك قد نزل من السماء برجة عظيمة ، فالقى الحجر عن القبر وجلس عنده وقال للنسوة لاتخافا جئتما تطلبان يسوع المصلوب ليس هو ههنا اذهبا وقولا لتلاميذه انه سبقكم الى الجليل وهو جبل ، ودخل الحراس واخبروا رؤساء الكهنة الخبر ، فقالوا لاتنطقوا بهذا ورشوهم بفضة على كتمان القضية ، فقبلوا واشاعوا ان التلاميذ جائوا وسرقوه ومضت الاحد عشر تلميذا الى الجليل ، وقد شك بعضهم وجاء لهم يسوع وكلمهم وقال اعطيت جميع القدرة على السماء والارض اذهبوا فعمدوا كل الامم باسم الاب والابن وروح القدس وعمومهم مما اوصيكم به، وهوذا انا معكم الى انقضاء الدهر .

هذا وقد صرح الكتاب الكريم ببطلان تلك الدعوى ، وانه لم يقع القتل والصلب وان الامر قد اشتبه عليهم بل رفعه الله اليه، قال تعالى فى ضمن تعداد ما كان سببا لتحريم الطيبات على اليهود :

وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . (١٥٧ ـ النساء)

لكن الكلام فى انه تعالى هل رفعه حيا، او اماته فرفع روحه؟ الظاهر من الايات بعد التأمل هو الاول .

اما اولا فلاضافة التوفی الی‌عیسی بعینه لاالی روحه ، ومعنی اخذالشخص تاما اخذه بروحه وجسده فالمتحصل ح ان‌الله رفعه الیه حیا .

واما ثانیا : فلقوله تعالی : وما قتلوه یقینا بل رفعه الله الیه (۱۵۸ – النساء) فقدجعل الله‌رفعه الیه‌مقابلا للقتل، وهو یقتضی کون المراد به رفعه حیاً اذلو کان‌المراد رفع روحه بدون‌الجسد لماصح التقابل اذالرفع بذلک النحو ثابت فی القتل‌ایضا وفی‌الکافی بطریق صحیح عن‌ابی جعفرالباقر (ع)قال :

ان‌عیسی وعد اصحابه لیلةرفعه الله فاجتمعوا الیه عند المساء وهم اثنی عشر رجلا، فادخلهم بیتا ثم‌خرج‌علیهم من‌عین فی‌زاویة البیت وهوینفض‌رأسه من‌الماء فقال: ان‌الله اوحی الی انه رافعی الیه الساعة ومطهری من الیهود فایکم یلقی علیه شبحی‌فیقتل ویصلب ویکون معی‌فی درجتی .

فقال‌شاب منهم‌انا یاروح‌الله ، فقال: فانت‌هوذا : فقال‌لهم عیسی، اماان‌منکم لمن‌یکفربی قبل‌ان یصبح اثنتی‌عشرة‌کفرة ، فقال‌له رجل‌منهم : اناهویا رسول‌الله؟ فقال‌عیسی اتحس بذلک فی‌نفسک ؟ فلتکن‌هو .

ثم‌قال لهم‌عیسی: اماانکم ستفترقون من‌بعدی علی‌ثلاث‌فرق، فرقتین‌مفترتین علی‌الله فی‌النار ، وفرقه‌تتبع شمعون صادقة علی‌الله فی‌الجنة ، ثم‌رفع‌الله عیسی من زاویة البیت وهم ینظرون الیه ثم قال ابوجعفر: ان الیهود جائت فی طلب‌عیسی‌من لیلتهم‌فاخذوا الرجل الذی‌قال له‌عیسی : ان‌منکم لمن‌یکفر بی قبل ان یصبح اثنتی عشرة‌کفرة ، واخذوا الشاب الذی القی‌علیه شبح‌عیسی فقتل وصلب ، وکفر الذی قال‌له‌عیسی تکفرقبل ان‌تصبح اثنتی‌عشرة کفرة(نور الثقلین ج ۱ص ۵۶۹ فی تفسیر الایة۱۵۸ من النساء) .

واماثالثا فلقوله تعالی: وان‌من اهل الکتاب الالیؤمنن به‌قبل موته‌ویوم‌القیامة یکون‌علیهم شهیدا (۱۵۹– النساء) اذالظاهر ان‌الضمیر المجرورفی(به) راجع الی عیسی‌لکون الکلام فی‌بیان حاله، والقول برجوعه الی‌محمد (ص)غیر ملائم‌للسیاق

واماالضمير فی‌قوله (موته) فالراجح ایضا ارجاعه الی‌عیسی (ع)فان ارجاعه الی (احد) المفهوم من‌الکلام یستلزم تخصیص اهل‌الکتاب بمن لم‌یؤمن‌به کالیهود ، او تعمیمه‌لهم ولمن‌آمن‌به‌بعنوان الالوهیة واخراج من‌آمن برسالته من اول الامر وان کانوا قلیلین .

و ح فمعنی الایة الشریفة ، ان اهل الکتاب جمیعاً من لدن نزول هذه الایة وتوجه الخطاب الی النبی الاعظم(ص) الی ان ینقرضوا بعدظهور المهدی وزمان غلبة الحق علی الباطل فی جمیع البقاع والاصقاع، یؤمنون بعیسی قبل‌موته‌ولازم ذلك بقائه حیا الی ذلك الزمان وعدم موته، حینما رفعه‌الله الیه :

وح فایمان اهل الکتاب الذین ماتوا قبل ظهور المهدی و نزول عیسی الی حضرته، ایمان اضطراری عند معاینة الموت لاینفعهم شیئا، وایمان الذین ادرکوه بعد نزوله ایمان اختیاری تفیدهم‌نفعا.

فالایة بهذا المعنی تدل‌علی‌عدم موت عیسی : و اما لوقلنا برجوع الضمیر المجرور فی موته الی احد المفهوم من الکلام ، فالمعنی ان جمیع اهل الکتاب یؤمنون بعیسی‌قبل موتهم اویؤمنون بمحمد(ص) قبل موتهم ، کما قال‌بکل قائل ، فلادلالة فی‌الایةعلی‌حیاةعیسی فان المرادبالایةح انکشاف الحقائق‌لدی‌المحتضرین من اهل الکتاب،فیحصل لهم علم الیقین بالتوحیدوالرسالة مطلقا وسائرالمعارف الدینیة، ولایلازم ذلك حیاة تلك‌الرسل‌کما انه لاینفعهم‌ذاك الایمان.

قوله : **ورافعك الی**

ان‌کان المراد باسناد الرفع الیه تعالی اسناده الی نفسه‌الشریفة ، فالمرادهو الرفع المعنوی‌الروحانی بجعله‌من الاقربین‌وادخاله‌فی‌زمرة الملاءالاعلی‌والملائکة المسبحین باللیل والنهار لایفترون ، فان الرفع الصوری المکانی الی‌الله‌تعالی‌غیر معقول وان‌کان المراد رفعه الی دارکرامته ومحط اولیائه ومکان‌سفرائه وملائکته فالرفع جسمانی صوری وروحانی معنوی کلیهما اذهو(ع)قدرفع بجسده من‌سطح الارض الی السماء مثلا .

و عن ابن عباس انه رفعه الى السماء الدنيا فهو فيها يسبح الله ويقدسه مع الملائكة ويهبط منها عند ظهور الدجال على صخرة بيت‌المقدس ، والسماء محل جسمانى بحسب مقام القرب من‌الله اذهى مسكن الملائكة المقربين وماوى‌السفراء المكرمين ، واليها يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح ، ومنهاتنزل‌البركات على عبادالله فعيسى‌المسيح كان انسيا ارضيا ، فصار ملكياسماويا ولعل‌ذلك معنى قوله تعالى فى‌موارد من‌الكتاب ، وايدناه بروح القدس

فان الرفع وقع بوساطة الروح

وقوله : **ومطهرك من الذين كفروا**

اطلاق التطهيرعلى‌اخراج عيسى من‌بين‌قومه يقتضى‌عروض‌نوح من‌القذارة عليه فان‌تأثرالانسان بالرجس‌والقذارة وتلطخه به على انواع، تلطخ بدنه بالنجاسة والقذارة الظاهرية اوبالامراض وجراثيمها المضرة المهلكة، وتلطخ روحه بالعقائد الفاسدة ، ونفسه بالملكات الرذيله ، واعضائه بالمعاصى والاعمال القبيحة ،

وتلطخ نسبه بالعهروالفواحش الفاضحة ، وتلطخ الانسان الصالح‌بالمجتمع الفاسد ، وكونه فيما بين اهل‌الكفر والفجور والمنكرات ، ولااشكال فى‌ان‌تطهير كل قذارة يكون بتناسبها ، فالنجاسات بالماء والامراض‌بالدواء والعقائدوالملكات والاعمال بالتوبة والندم والنسب بالخروج مما بينهم وترك صحبتهم وقطع‌الروابط عنهم فتطهير الانسان عن صحبة الاجتماعات الفاسدة الخبيثة يكون باخراجه مما بينهم وابعاده عنهم ونقله‌الى‌محيط آخرصالح طاهرلاكفرفى‌اهلهم ولانفاق ،ولافسق فيهم ولافساد ، وكان قوم عيسى من تلك الفرقة ، لكفرهم و عنادهم و عدم تأثير المعارف الالهية فى‌نفوسهم ، ولوكان‌ملقيها عيسى‌بن‌مريم روح‌الله و كلمته.فأطلاق تطهيرعيسى على اخراجه ممابينهم تعبير مااحسنه واتمه .

فالمراد ومطهرك من قذارة ذاك المحيط ورجزمصاحبتهم ودرن مخالطتهم .

وقوله : **وجاعل‌الذين اتبعوك فوق‌الذين كفروا الى يوم القيامة**

قديقال ان المراد بالتابعين لعيسى هم النصارى من اهل الكتاب وبالكافرين هم اليهود ، والمسلمون خارجون عن شمول الاية ح والمراد بتفوق النصارى على اليهود تسلطهم خارجا وسيطرتهم وكثرتهم من حيث الجماعة والاموال والعتاد ، وذلك محقق معلوم بالفعل .

وعلى هذا فيستشكل على الاية اولا. بعدم حصول هذا التفوق مطلقا فان الكفار لاينحصرون باليهود بل هم جميع الملل المنكرين لنبوة عيسى ، وليست النصارى ملة فائقة على الجميع . وثانيا . بعدم تحقق هذه السيطرة للنصارى فى اوائل تكون ملتهم ، بل كانوا عندئذ قليلين مغلوبين لليهود مشردين بأيديهم مقتولين مثنى وفرادى ومجتمعين ، كمايشهد به ماورد فى حالهم فى التواريخ ، ولعله الى بعض من ذلك اشير فى سورة البروج قال تعالى :

قتل اصحاب الاخدود النارذات الوقود اذهم عليها قعود وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود ومانقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد . وثالثا . بعدم تحقق هذه السيطرة لهم فى آخر الزمان بعد ظهور المولى العظيم مهدى الامة والامام المنتظر عج فانه ينقرض ح سلسلة الاحزاب طرا - ويبطل المذاهب المختلفة الباطلة المنحرفة ، فلايبقى الا الاسلام ولاحكومة الا للامام العدل المنصوب من الله ، فيملاء الارض قسطا بعدان ملئت جورا فأين النصارى واليهود حتى يفوق بعضها على بعض .

ولو قلنا ببقاء اهل الكتاب فى عصر القائم ايضا كما لايبعد ذلك لدلالة بعض الايات عليه قال تعالى :

واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب (١٦٧ الاعراف) .

فان الخطاب لليهود ، وظاهر الاية ان الله يسلط عليهم من يعذبهم الى يوم القيمة ويكون ذلك بعد ظهور القائم بيده و بيد الائمة عليهم السلام من بعده ، فاليهود باقون الى يوم القيمة فلامعنى ايضا عى لسيطرة النصارى عليهم ، فأن بقائهم

فی ذلك العصر لايكون الا بالتزامهم بشرائط الجزية ودخولهم تحت‌راية الاسلام و خضوعهم لقوانين الحكومة العادلة ، فلا تفوق ح لطائفة منهم على اخرى بل كلهم اذلاء صاغرون محكومون مقهورون ، اذا فلايصح‌حمل‌الاية على‌ذاك‌المعنى .

ولوقيل ان‌المراد يكون التابعين فوق الكفار من‌حيث الحجة والدليل، فهم غالبون عليهم فی‌البرهان ، فان الادلة الدالة على نبوة عيسى ونسخه شريعة موسى ومجيئه بكتاب جديد وشرع حادث ، ادلة تامة وافية تفوق على ماتمسك به اهل التوراة فی خاتمية دين موسى وبقاء احكام التوراة الى الأبد ، فمعنى الاية ح ان الله جعل التابعين لعيسى ظافرا غالبا من حيث البرهان والحجة على من كفربه ، لكمال مايدل على نبوة عيسى وكتابه وتمامه

فهو ايضا دعوى باطلة وامرغيرمقبول، فأن مابيد النصارى بالفعل من‌الحجج والبراهين على حقيقة عيسى ، ليس الا هذه الاناجيل الموجودة بأيديهم ، و دعوى ربوبية عيسى ومايضاهى ذلك من الاباطيل، وانت خبير بعدم قابلية كتبهم ودعاويهم لأثبات اية دعوى ادعوها و مرمى راموه ، فهده الاناجيل مع كثرة تخالف بعضها مع بعض ، تتضمن اباطيل واكاذيب ونسبة التجسم والتجسد الى الله والفحشاء والمنكر الى انبيائه ونبيه العظيم عيسى .

فأية حجة وبينة بأيديهم يكونون بها غالبين ظافرين على‌من انكرنبوة عيسى من اليهود وغيرهم من اهل الملل والمذاهب غيرالمسلمين، بل يمكن ان يقال‌ان التوراة وان لم تنطق عن التوحيد كما هو حقه الا انها لاتأبى عنه ايضا ، وماحكى الله عنهم من‌قولهم عزيرابن الله‌لايرادبه انهم ادعواالبنوة لعزيركما ادعتهاالنصارى لعيسى ، بل عزير هذا من جملة المتشرعين بشرع موسى .

وقد سعى وجاهد فی سبيل مذهبه بعد ماتخلصت اليهود من استعباد ملوك بابل بيدكورش ملك ايران ، فجمع اشياء من التوراة المفقودة المحرفة من ههنا وههنا، فالف لهم كتابا اسماه التوراة السماوية المنزلة على‌موسى، فشكرت اليهود سعيه وبالغت فی تعظيمه ، فسمته ابن‌الله وعلى هذا فكيف تكون ادلة التثليث التى

تمسك بها النصارى فائقة غالبة على ادلة التوحيد.

فالصواب فى معنى الاية ان نقول : ان المراد بالتابعين لعيسى ليس هؤلاء المسمون بالنصارى بالفعل ، فانهم ليسوا بتابعين لـه حقيقة ، اذ المراد التبعية فى العقائد القلبية والفضائل النفسية والاعمال الجوارحية ،وهذا المعنى من التبعية ليس فيهم قطعا، فاين ذلك والقول بالتثليث وارتكاب الفواحش والمعاصى بحيث ملاءوا الدنيا فسادا ومنكرا ، فلااثر من التبعية فيهم وليسوا معنيين بكلام الله تعالى .

بل المراد التابعون له تبعية حقيقية فى الجهات الثلاث المذكورة، ولاينطبق التابع بهذا المعنى الاعلى القوم الذين اذعنوا بجميع مااتى به عيسى من الله اصولا وفروعا من لدن بعثته (ع) الى زمان ظهور الاسلام وبعثة محمد (ص) ، والكافرون له ح كل من لم يتبعه فى اصول دينه وفروعه، ومنهم النصارى التى قالت بالتثليث.

واما بعد ظهور الاسلام فمن آمن منهم بمحمد (ص) ودينه وكتابه فهو من التابعين لعيسى حقا ، اذ من جملة احكام شرعه الايمان بالنبى بعده حيث حكى الله عنه بقوله :

ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد (ص) . ومن كفر به فقد كفر بعيسى ، فالمؤمنون به هم المسلمون والكافرون به هم غير المسلمين ، سواء اكانوا من اليهود ام من النصارى ام من غيرهم ، وعلى هـذا فالمراد بالتفوق الاعم من التفو بالبرهان و بالسيطرة الظاهريـة ، فمنذ تكونت هذه الملـة وآمنت بعيسى، تفوقت بالبرهان والتبيان اذ كان بايديهم الانجيل السماوى والحجج التى افادوها من لسان النبى العظيم عيسى ، وهـم قد بقوا على هـذه الغلبة حتى تمسكوا بحبل الاسلام وحجج القرآن ، ففاقوا فى الحجة وظفروا بالبينة ، وهـم يبقون على تلك الحالة الى ان يأتى الله بالمهدى الكريم والقائد العظيم، فيتبعونه ويفوقون بالسيطرة الظاهرية والحكومة الالهية على العالم ، كما كانوا فائقين عليهم بالبرهان، فالتابعون لعيسى قد جعلهم الله فوق غيرهم منذ ظهر عيسى واعلن دعوته الى يوم القيامة، مدة بالبرهان واخرى بالسيطرة .

فظهر ان المراد بالاية ان الله تعالى جعل التابعين لعيسى بالاذعان بنبوته ودينه وما بشر به امته ، فوق الذين انكروا كونه عبدالله ونبيا ومبشرا برسول يأتي من بعده بمطلق التفوق والعلو والغلبة، ففي زمان بالبرهان خاصة ، وفي آخر به وبالسيطرة الظاهرة والحكومة العادلة ، وتبقى تلك الغلبة الى يوم القيامة .

وقوله تعالى : **ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون .**

ظاهر الرجوع الى شيء سبق المجيء منه ، وحيث ان جميع الممكنات ومنها الانسان وجدت بارادة الله وتكونت بامر الله فكأنها جائت من الله ونزلت من قبل الواجب الى مهبط الامكان ، وحيث ان الانسان بعد ما قضى وطره في الدنيا وانقضى عمره، يرتحل الى دار اخرى لاسلطان فيها الا سلطانه ولاحكم الا له، ويظهر له فيها ما كان غائبا عنه في الدنيا من رؤية الملائكة وسماع كلام الله ومشاهدة سائر آثار عظمته ، فكانه لاقى ربه ورجع اليه ولذلك اطلق على الموت اللقاء ، وعلى الارتحال الى تلك الدار الرجوع الى الله ، والافنسبة الاشياء اليه تعالى انسانا اوغيره نسبة واحدة ، سواءا كانت في الدنيا ام في الاخرة ،

ثم ان الخطاب هنا لعيسى وجميع من بعث اليهم من التابعين والكافرين، تغليباله عليهم، فانهم لم يكونوا حاضرين عند عيسى في زمان الخطاب، والاختلاف المذكور في الاية اعم من الاختلاف في اصول العقائد وفروعها ومن الامور المرتبطة بالدنيا .

وقوله تعالى : فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة ومالهم من ناصرين الخ .

ليس الكلام تفريعا لقوله: فاحكم بينكم وتفصيلا لنتيجة قضاءالله وحكومته لوجود كلمة (في الدنيا) بل هو تفصيل لقوله :

وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا .

فان الله تعالى جعل الناس في هذه الاية طائفتين: المتبعين والكافرين، وليس المراد بهم كما عرفت ، خصوص النصارى واليهود بل المراد التابعون لعيسى بما

انهم من جملة حزب الله المؤمنين به والمسلمين لامره ، منذ انزل الله الشرائع الى البشر ، الى زمان بعثته ثم الى يوم القيامة .

وكذا المراد بالكافرين جميع المنكرين لله ورسله في جميع الاعصار والامصار وذلك لان الله تعالى جعل جميع المؤمنين بالله ودينه ورسله من زمن آدم الى انقضاء عمر الدنيا ، جماعة واحدة وحسبهم امة متحدة مرتبطة والشرائع المرسولة اليهم دينا واحدا اسماها الاسلام ، وجعل الانبياء والمرسلين اليهم ملة واحدة مبعوثة من ناحية واحد .

ثم فرض من انكر اصول الدين كلا أو بعضا وجحد الرسل كذلك كافرا ، منذ بعث نبيا وانزل كتابا الى آخر الدنيا جماعة واحدة وامة مرتبطة ، وحكم على كل طائفة بما تستحقه ويليق بحالهما .

فلاحظ الايات التالية حيث فرض الله المؤمنين من جميع الامم امة واحدة ، وسماهم باسم المسلمين تارة وبجند الله اخرى وبحزب الله ثالثة ، فقال تعالى بعد ذكر الامم الماضية وانهم ظلموا انفسهم فاهلكهم الله .

وقال : قلنا اهبطوا جميعا فاما ياتينكم مني هداى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون (٣٩ ـ البقرة)

فالخطاب لادم وحواء وابليس والموصول في قوله : « فمن تبع » وقوله : « الذين كفروا » عام شامل للطائفتين من زمان صدور ذاك الخطاب الى انقضاء عمر الدنيا .

والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ـ الى ان قال ـ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار (٧٢ ـ التوبة)

وقال تعالى : وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح

فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون.
(۴۹ - الانعام)

والموصولان فى الاية عامان كما ذكرنا .

وقال : ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعداً عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن .
(۱۱۱ - التوبة)

والاية لاتختص بامة محمد (ص) .

ولاحظ ايضا الايات الدالة على وحدة الدين والغرض الالهى الاسمى من بعث الرسل قال تعالى :

ان الدين عند الله الاسلام (۱۹ - آل‌عمران)

وقال : ومن يبتغ غير الاسلام . الخ (۸۵ - آل‌عمران)

وقال: شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولاتتفرقوا . (۱۳ - الشورى)

اى شرع الله للمسلمين دينا شرعه لنوح النبى الذى هو اول من انزل اليه الدين ، وشرعت له الشريعة ، ولمن بعث فيما بعده الى زمان محمد (ص) ، من اصحاب الشرايع وهم ابراهيم وموسى وعيسى (ع) ، وهو دين واحد تصور فى كل عصر بصورة خاصة تناسبه، وتلبس فى كل وقت و آونة بلباس اقتضاه الصلاح.

ولاحظ ايضا مادل على تنزيل المرسلين جميعا منزلة الجماعة الواحدة والامة الفاردة ، ويدل على وحدة الغرض والدين ايضا .

قال : قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون . (۱۳۶ - البقرة)

وكذا الاية ۸۴ من آل‌عمران .

وقال : والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته و كتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله . (٢٨٥ - البقرة)

وقال : ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم (١٥٢ - النساء)

فجعل من فرق بين الرسل فى الايمان بهم كافرا ومن لم يفرق بينهم مؤمنا .

والحاصل من جميع ما ذكرنا ان هنا طائفتين : المؤمنون المتبعون للرسل المتدينون بدين واحد ، والكافرون المخالفون لهم ولدينهم ، وقد حكم الله فى الايات المبحوث عنها عن الطائفة الاولى، بانهم غالبون ظافرون ويلازم ذلك كون الثانية مغلوبين مظفورين ، وحكم ايضا على الثانية بانه يعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة ، وعلى الاولى بانه يوفيهم اجورهم .

وح فيتوجه هنا سؤال انه ما المراد بغلبة الطائفة الاولى على الثانية الى يوم القيامة الظاهرة فى كونها امرا ثابتا لهم من اول الامر وسنة الهية مستمرة غير متبدلة ، فهل المراد بها هو الغلبة من حيث الحجة والبرهان ، و السلطان عند المجادلة ، و المحاجة، اوالمراد هو الغلبة الظاهرية فى مقام القتال والحرب، اوالمراد حكومتهم خارجا على الكفار ، وكونهم تحت سلطان المؤمنين دائما ، اوالمراد ان الله تعالى يهلك مخالفيهم جميعا بعذاب وينتقم منهم بالاهلاك والتدمير، كقوم هود وقوم لوط، اوالمراد هو الامر المركب منهما كلا اوبعضا

فاللازم لفت النظر الى حال الانبياء و تابعيهم من اول تكون حزبهم ، و مقايستها مع مخالفيهم والكافرين بهم حتى يظهر المراد بكيفية غلبتهم على الكافرين فنقول : ان الذى يظهر من سير الايات القرآنية ان القدر المتيقن من ثبوت الغلبة و التسلط للانبياء و المؤمنين التابعين لهم باحسان ، ثبوتا دائميا فى جميع ازمنة

تصادمهم و تقابلهم مع مخالفيهم ، هو الغلبة من حيث الحجة والبرهان ، و هـو المعنى بقول‌الله فللـه الحجة البالغة ، واما الغلبة فی‌مقام القتال والمحاربة اوالتسلط عليهم بالحكومة وتولى الامورالسياسية والاجتماعية ، فلم تتفق الافی موارد نادرة والتسلط بمعنی‌اهلاكهم دفعة واحدة ، فهووان‌كان كثيرالوقوع فی‌الامم الماضية الا انه ايضا ليس بامردائمی.

فلاحظ حال آدم الصفی ومن بعده الی نوح ، لم تظفرلهم بشیء من‌القتال بل وغيره من مراتب المقابلة للعدو، ولوكان لهم امرمن قبيل ابلاغ الاحكام فهو الاحتجاج واثبات المقصد بالاستدلال

واما نوح النبی (ع) فلم يحارب عدوا حتی‌يكون له‌الغلبةولم يكن‌له ولاية وحكومة الاعلی‌اتباعه المؤمنين، وماآمن‌معه الاقليل، نعم‌اهلك‌الله‌مخالفيه‌بالطوفان واغرقهم اجمعين .

و اما هود النبی اعنی اخاعاد اذ انذر قومه بالاحقاف (وهی محل بين اليمن وعمان) فوعظ وذكرووعد واوعد ، فسفهوه و كذبوه فجائهم ريح تدمركل شیء بأمرربها ،فاصبحوا لايری الامساكنهم ، فلم‌يقاتل‌ولم‌يتول امورهم‌بل‌خاصمهم فأفحمهم ثم عذبهم ربهم .

واما صالح النبی اعنی اخا ثمود ، فدعا قومه واحتج عليهم بأبلغ الحجج واظهرها ، فاخرج لهم الناقة من‌الجبل الاانهم لم‌يؤمنوا بما جاءبه، ثم عقروا‌الناقة فاخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فی ديارهم جاثمين ، فلم يحارب ولم‌يغلب.

واما شعيب المبعوث الی مدين (حوالی الشام) فقد بلغ وانذرواعذرو كان خطيب الانبياء ، فوعدهم الثواب وخوفهم من‌العقاب، فكذبوه وهددوه بالاخراج عن قريتهم فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فی ديارهم جاثمين ، فلم يكن له الا الظفر بالبرهان وهلاك اعدائه بمشية‌الله

واما لوط النبی فكان فی بلدة (سدوم) من نواحی فلسطين ، فأنذر واعذر

حتى اخرجه‌الله من بينهم واهلك الباقين ، فامطر عليهم حجارة من سجيل وماهى من الظالمين ببعيد

واما ابراهيم الخليل ، فقد نشأ ببابل وهى‌المملكة الواقعة بين‌النهرين‌تحت سلطنة نمرود ، وكانوا عبدة الأوثان ، فبلغ رسالات ربه وانذرواوعد وجاهد فى الله حق جهاده حتى اتم الحجة عليهم اذ القوه فى النار ، فنجاه الله منها سالما غانما لكنه لم يؤثر فيهم دعوته و ازمعوا على ايذائه وقتله ، فهاجر الى ناحية فلسطين‌وبلغ رسالةربه هناك‌لعبدة الكواكب، حتى ارتحل منها الى‌مكة‌لبناء البيت فلم ينقل‌الله‌له حربا وقتالاوغلبة‌فى‌المحاربة ، ولاتولى‌الحكومة على الناس‌ولااهلاك معانديه ومخالفيه

واما اسحق واسمعيل ويعقوب ، فلانجد لهم اثرا من الحرب و القتال فى الكتاب‌الكريم ، ولاالحكومة على امة من الامم ، نعم كان لداود وسليمان‌ويوسف ويونس خلافة فى‌الناس وتولى امرالحكومة وزعامة على‌امة ، لاالغلبة فى‌الحرب والقتال ، واماايوب وزكريا ويحيى وعدة آخرين منهم (ع) فلاتعرض‌فى الكتاب لحالهم‌الاشيئا يسيرا

واما عيسى (ع) فقد عرفت انه لم يقاتل مع‌الكفارولم تكن له ولاية عليهم نعم‌الظاهر‌نزول العذاب على‌عدةمن‌مخالفيه كالمسخ وغيره.

وبالجملة الخوض فى‌الايات، يعطى قلة وقوع‌الغلبة بالقتال والحرب‌والغلبة بالحكومة وتولى الامر، ولاتعرض للقتال فى‌الكتاب الكريم الا فى قضية طالوت وجالوت و قتل داود جالوت وظاهره وقوع غلبة المسلمين على‌الكفار ، و فى قصة موسى لمااخبرامته بان‌الله قد كتب‌عليهم القتال ، اجابوا بان فيها قوما جبارين واناالاندخلهاابدأمادامو‌ا فيهافاذهب انت وربك فقاتلا اناههنا قاعدون

نعم يستفاد من بعض الايات على‌نحوالاجمال وقوع‌القتال والمحاربة‌كثيرا بين الانبياء وخيرتهم و بين الكفار، الاانه لادلالة فيها على الغالب والمغلوب قال تعالى :

وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا و ما استكانوا والله يحب الصابرين وماكان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفرلنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة (۱۴۸ـ آل‌عمران)

ولادلالة فى قوله: «فما ضعفوا وما استكانوا» اوقوله: «فآتاهم الله ثواب الدنيا» على غلبتهم فى القتال ، اذالمراد الضعف فى الايمان والارادة ، والاستكانة هى الجزع و التضرع ، ولم يقع ذلك منهم وان غلبوا، وثواب الدنيا اعم من الغلبة فى القتال .

هذا كله فى حال الانبياء الماضين ، وامانبينا الاعظم محمد بن عبدالله فهو قد غزى غزوات وقاتل مع الكفار مرات كثيرة ، ومعه المؤمنون المجاهدون الباذلون انفسهم واموالهم فى سبيل الله، وكثيرا ماكانوا غـالبين ظافرين وان كان يتفق انهم يغلبون، فهو الرجل الالهى الفريد والنبى العظيم العزيز رزقه الله الغلبة فى الحجة والبرهان ، والغلبة فى الجهاد والغزو ، والغلبة بالحكومة وتولى الامر ، دون الغلبة باهلاك عدوه، بخسف وصاعقة ونحو ذلك، وغزى على (ع) بعده على تأويل الكتاب كما غزى معه على تنزيله، فكان يغلب كما فى قتاله مع الناكثين والمارقين وكان يغلب كما فى قتاله مع القاسطين والحسن (ع) قدتهيأ للغزو، والحسين (ع) قدغزى وفيهما كانت الغلبة الظاهرية مع اعداء الله دون اوليائه ، فتحصل ان غلبة حزب الله من الاولين والاخرين ، تقع على معان وهى على بعضها دائمية ، وعلى بعضها الاخر نادرة اوقليلة فيكون مفادقوله تعالى :

وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا ومايشابهها من الايات كقوله تعالى: ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا، (۱۴۱ـ النساء)

وقوله: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون . (۱۷۱- الصافات)

وقوله: فأن حزب الله هم الغالبون (۵۶- المائدة)

وقوله: كتب‌الله لاغلبن اناورسلى (٢١ـالمجادلة)

امابيان غلبتهم من‌حيث البرهان والظفربالحجة والبيان، كما يقتضيها العموم الفردى والزمانى فى‌قوله: «فأن حزب‌الله !» وقوله : «وان جندنا الخ» وكذا قوله: «كتب‌الله» لوكان المراد الكتابة فى اللوح المحفوظ والاستقبال المفهوم من كلمة «لاغلبن» ملحوظ بالنسبة الى زمان الكتابة .

وامابيان غلبتهم الظاهرية فى‌القتال اوالحكومة فالكلام‌ح واقع‌موقع الوعد بوقوع ذلك فى‌الازمنةالاتية ولعلها ازمنةظهور الدولة الالهية ، وظهور مهدى هذه الامة،فهو واتباعه وناصروه هم‌الغالبون على الكافرين ، والظافرون على‌الباطل فى الارض كلها بجميع معانى الغلبة .

وقوله تعالى: واماالذين آمنوا وعملوا الصالحات‌اه هناابحاث: الاول ، انه قدمرمعنى الايمان ، وان‌الاظهر انه امرقلبى بمعنى الاعتقادالجازم بشىء ، ولم‌يذكر فى‌الغالب متعلقه فى‌الكتاب الكريم الان المستفاد من مجموع الايـات المربوطة بالمقصد ، ان‌متعلقه امورسبعة .التوحيد ، وصفات‌الله الجمالية والكمالية والملائكة والكتب السماوية ، والرسل‌وخلفاءالرسل ، واليوم‌الاخر، والايات‌هى‌الجامعة لتلك الامور اواكثرها ويتكفل البحث الاوفى لتعيين ذلك ، علم‌الكلام .

وذكرالعمل الصالح بعدالايمان يشعربان توفية الامورمن آثارتقارن الايمان بالعمل الصالح وقدتكرر هذا التعبيرفى‌موارد من‌القرآن كثيرة ، والمتكفل‌للبحث عن مصاديق الاعمال الصالحة ، هوعلم الفقه‌الباحث عن‌احوال اعمال العباد وماله الارتباط بهامن الامور الخارجية .

ويتوجه فى‌المقام‌سؤال وهوان‌الاية الشريفةمصرحة بان‌الكفر سبب‌لاستحقاق العذاب، كما ان‌الايمان والاتيان بالاعمال‌الصالحة سبب لاستحقاق الاجر، لكن‌الاية مبهمة من‌حيث متعلق‌الكفر والايمان ، وكذا فى‌تعيين مصاديق الصالحات والحكم مترتب على الواقع ، ومقتضى ذلك احالة تشخيصه على المكلف ، وله فى ذلك طريقان ، احديهما الادلة النقلية السمعية من‌الكتاب والسنة ، والاخرى حكم العقل

الباب وقضائه الجازم ، فمن تتبع الأدلة النقلية ، فوصل الى ما يجب الاذعـان به من العقائد ومايلزم العمل به من الحسنات فآمن وعمل ، ترتب عليه توفية الأجور ، واما من لم تبلغ اليه احكام الدين وكان فى امكنة تقصر ايدى ساكنها عن ان تناول معارفها الدينية ، فهو قد خلى و عقله وترك وما حكم به لبه ، فان قدر على ادراك المعارف الاعتقادية واستقل بذلك عقله ، او استقل بحسن بعض الأعمال وقبحها ، فآمن بما احرز لزومه وعمل بما ادرك حسنه ، فأن اصاب الواقع بالنسبة الى جميع العقائد والأعمال الصالحة ، استحق الأجر والثواب لتمام الحجة عليه .

فان العقل رسول باطنى كما ان الرسول عقل خارجى ، لكن هذا فرض غير واقع ، والذى يكثر وقوعه فيمن لم يصل اليه الدين ، هو استقلال عقله فى بعض المعتقدات وشىء من الاعمال ، وح فهل يمكن القول بشمول الايـة له واستحقاقه الاجر فيما اذا اعتقد بما علم وعمل بماادرك، ومعذوريته فيما لم يصل اليه، بتقريب ان معنى الاية ان الايمان والعمل الصالح بأى مقدار كان، سبب الاجر بذلك القدر الظاهر عدمه، لظهور الايتين فى ان متعلق الايمان والكفرهو جميع مايجب الاذعان به فالمعنى ان الكافر بالجميع معذب و المؤمن بالجميع مأجور ولا نظر للاية الى صورة التبعيض .

نعم يمكن ان يقال بالنسبة الى الفرد المذكور ومن يضاهيه من اهل الملل والأديان المنسوخة من اهـل الكتابين وغيرهم ، اذا كانوا قاصرين عن الوصول الى المعارف الحقة والدين الذى يجب عليهم التدين به، انهم بالنظر الى مااخطأوا فيه من الاعتقادات الباطلة فى اصولهم والكبائر الصادرة منهم فى فروعهم، معذورون وبالنسبة الى مااصابوا فيه من العقائد والاعمال مأجورون ، اما الدليل على الأول فقوله تعالى :

وماكنامعذبين حتى نبعث رسولا (۱۵- الاسراء)

لايكلف الله نفساالاماآتاها . (۷- الطلاق)

ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة (۴۲ـ الانفال)

ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون (۱۳۱ـ الانعام)

وما اهلكنا من قرية الالها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين (۲۰۸ـ الشعراء)

وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا (۵۹ـ القصص)

ليس على الضعفاء ولاعلى المرضى ولاعلى الذين لايجدون ماينفقون حرج اذانصحوا لله ورسوله ماعلى المحسنين من سبيل (۹۱ـ التوبة)

فالاول العاجز عن الوصول الى معالم الدين والثانى العاجز من حيث البدن والثالث من حيث المال، فلاحرج ولاتضييق فى امرهم فى دنياهم وآخرتهم.

واما مايدل على انهم مأجورون فيمااصابوا فيه من العقائد والاعمال فقوله تعالى وان ليس للانسان الاماسعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى . (۴۰ ـ النجم)

ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى (۱۵ـ طه)

يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لايظلمون. (۱۱۱ـ النحل)

الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كريم (۱۱ ـ هود)

واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى (۴۰ـ النازعات)

ولمن خاف مقام ربه جنتان (۴۶ـ الرحمن)

ان قلت : مقتضى هذا التقريب ، شمول غفران الله تعالى لجميع الكفار على تشتت فرقهم واحزابهم ، وعدم عذابهم فى الاخرة ، بل و دخولهم الجنة ، فانها المصداق الحقيقى للجزاء الاوفى وللاجر الكريم ، وهذا ينافى ماهو ضرورى عند المسلمين من عدم دخول الكفار الجنة ، و قد رتب فى الكتاب الكريم على

الكفار احكام كثيرة، منها حبط جميع اعمالهم وحسناتهم فى الدنيا والاخرة ، ومنها دخولهم النار فى الاخرى .

قلت ينبغى تعيين مورد البحث وتشخيص موضوعه حتى يظهر ورود الاشكال المذكور وعدمه ، فنقول ههنا طوائف من الناس

الاولى ، الجهلاء القاصرون بحيث لم يصلوا الى شيىء من العقائد الحقة ، ولم يدركوا شيئاً من الاعمال الصالحة كالاناسى الساكنين فى بعض نواحى البلاد الشيوعية ، والطبيعيين لم يسمعوا شيئاً من الدين ولم ينتبهوا لحكم من الاصول والفروع ، ثم ماتوا على تلك الحالة .

الثانية ، الذين ادركوا بعض العقائد الاصولية بطريق السمع او العقل ، و آمنوا بذلك و انقادوا له و عملوا ببعض الاعمال الصالحة كذلك ، و تركوا بعضا اخر من الاصول والفروع من غير تقصير فيما تركوه ، لغفلتهم عنه محضا اوقطعهم بالخلاف .

الثالثة الذين لم يعتقدوا بالاصول الحقة كلا او بعضا بان تنبهوا والتفتوا بها ، ثم اعرضوا ولم يؤمنوا مسامحة وتساهلا مع الشك فى كونها حقا .

الرابعة : الفرض السابق بعينه مع كون اعراضهم بعد الالتفات وقيام الحجة تكذيبا وعنادا .

الخامسة الذين عرفوا الحق من الاصول والفروع ، فآمنوا بمايجب الاذعان به وعملوا بماهو صالح من الاعمال ، و ح نقول لااشكال فى حكم غير الثانية من تلك الطوائف .

اما الاولى فانهم غير معذبين فى الاخرة ، لعدم وصول التكاليف اليهم وعدم تمامية الحجة عليهم ، وماكان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم مايتقون. وقد عرفت ان آيات رفع العقاب شاملة لهم ،كما ان الظاهر انهم غير مستحقين للجنة ، لعدم صدور الاعمال الصالحة منهم على الفرض ، فلا عمل لهم فلا اجرة ولاسعى لهم فى الخيرات فلاثواب .

و اما الطائفة الثالثة ، فقد دلت الأدلة السمعية على ان الجاهل الملتفت فى اصول الدين مقصر غير معذور اذا لم يفحص عن الحق ففات عنه الواجب الاصولى لعدم فحصه وبحثه ، فان باب العلم فى اصول الدين مفتوح ، و من اراد الوصول اليها وسعى لها سعيها فهو مدرك لطلبته وظافر على منيته فالتارك كافر يترتب عليه جميع مايترتب على القسم الرابع مما سنذكره

قال تعالى : ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض ، قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وسائت مصيرا (٩٨-النساء)

وقوله «فيم كنتم» اى فى اى امر كنتم من اصول دينكم وفروعها و« كنا مستضعفين» اى عاجزين عن اخذ معالم الدين قاصرين عن الوصول اليها ، وتوبيخ الملائكة لهم دال على قدرتهم على الهجرة و تعلم الدين ، كما يشهد به ايضا الاستثناء الوارد فى الاية التالية

واما الطائفة الرابعة، فهم الكفار حقيقة ، وتنطبق عليهم جميع الايات الواردة فى حق الكفار الدالة على حبط اعمالهم وعذابهم فى الدنيا والآخرة وسوء حالهم فى القيامة ودخولهم النار .

واما الطائفة الخامسة فهم المؤمنون حقا وعليهم تنطبق الايات الواردة فى حق المؤمنين والوعود الالهية المذكورة فى الكتاب الكريم.

فالكلام فى المقام فى حال الطائفة الثانية فقد يقال انهم لما لم يتحقق منهم الايمان ولو ببعض مايجب الاذعان به ، فهم كفار ، ولاجل انهم مرتكبون لبعض الكبائر فهم فساق ، فلامانع من شمول الايات الناظرة لحال الكفار والفساق لهم ، فكيف يوجر الكافر الفاسق بثواب الآخرة وكيف يدخل الجنة من هذا شأنه فلاحظ قوله تعالى :

وبشر الذين كفروا بعذاب اليم (٣- التوبة) .

فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم (٣٧- مريم)

والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم (٤- يونس)

والذين كفروا لهم نار جهنم (٣٦ ـ فاطر)

ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم (٦ ـ البينة)

ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط (٤٠ ـ الاعراف)

بل هناك آيات تدل على حبط ما عمل هؤلاء الطائفة من الخيرات والصالحات كقوله تعالى:

اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة (٢٢ ـ آل‌عمران)

لكن الظاهر عدم شمول تلك الايات و نظائرها لهولاء الطائفة، فان الكفر فى اللغة الستر والكافر الساتر ولذا يقال ليل كافر و بحر كافر، لانها تستر ما تشمله وتحيط به ويقال للزارع كافر لستره البذر تحت الارض

والظاهر ان اطلاقه على الكافر ايضا بلحاظ انه يستر ما يجب عليه الاعتقاد به والعمل له، فهو لايصدق الا على الملتفت الى الشيىء المعرض عنه تجاهلا او عنادا، فكانه قد ستر الحق فلم يعلنه، وقد كثر استعماله بمعنى المنكر الجاحد فى الكتاب الكريم، وهذا ايضا لايصدق على من لم يتوجه الى الشيىء ولم يعلمه.

وحاصل الكلام انا نجيب عن تلك الايات بأن الطائفة الثانية خارجة عنها موضوعا، فلايصدق عليهم عنوان الكافرين لعدم صدق انهم ستروا ماكان يجب عليهم اظهاره اوجحدوه وانكروه، بل ينطبق عليهم عنوان الجاهلين و المستضعفين وغير المستطيعين ونحو ذلك.

وثانيا بأنه لو فرضنا كونهم كافرين لغة، او فرضنا ان هنا اصطلاحاً خاصا شرعيا او متشرعيا لكلمة الكافر وهو من لم يعتقد بمايجب الاعتقاد به، سواء اكان لعدم التفاته اصلا او لجحده بعد علمه، فتشمل تلك الطائفة بلحاظ معناها اللغوى او الشرعى لقطعنا بعدم شمول حكم الكفار لهم من حبط الاعمال والعقوبات الاخروية،

كما لايشملهم عدة من احكام‌الكفار المترتبة عليهم فى الدنيا، وذلك اما لانصراف الايات الحاكية عن حال الكفار فى الدنيا والآخرة عنهم، اولتخصيص تلك‌الايات بما دل على‌انهم معذورون غيرمعاقبين كالايات السابقة، وبالجملة فهؤلاء خارجون عن شمول آيات الكفار تخصصا او تخصيصا.

وان شئت ان يتضح لك صدق هذه الدعوى ، فلاحظ الايات التى وردت فى الكفار و اثبتت لهم احكاما ، منها حبط اعمالهم و شمول العذاب فى الاخرة لهم قال تعالى :

ان‌الذين يكفرون بآيات‌الله ويقتلون النبيين بغيرحق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والأخرة ومالهم من‌ناصرين . (٢٢-آل‌عمران)

فالبشارة‌بالعذاب وحبط‌الاعمال فى‌الدارين حكم مترتب على منكرى‌الايات وقاتلى الانبياء والامرين بالقسط ، وليست الطائفة المبحوث عنهاكذلك .

البحث الثانى

الظاهر ان المراد بالصالحات اعم من الافعال والتروك ، ففعل الواجب والمندوب وترك الحرام والمكروه من الصالحات جميعا ، فمن فعل شيئاً من المحرمات او المكروهات فهو لم يعمل بعض الصالحات .

ثم ان ظاهر الاية ان الاجور مسببة عن الايمان والعمل كليهما ، و ح فهل هى لهما بالاشتراك ولكل واحد منهما تأثير فى شيىء منها بالاستقلال ، او انها من آثارالايمان والعمل شرط فيه ، اوانها من آثار العمل والايمان شرط او انها لهما مع اشتراط الايمان فى تأثير العمل دون العكس ، وجوه ، احسنها الاخير .

ان قلت. اذا تحقق الايمان لاحد وآمن بمايجب الاذعان به ولم يتحقق‌منه العمل بالصالحات فكيف يكون حاله، وهل هو من اهل الجنة او من اهل النار؟

قلت عدم تحقق الصالحات من احد قد يكون بترك بعضها كمن ارتكب الصغائر او شيئا من الكبائر فى بعض الاحيان ، وهذا هو الذى وعدالله له المغفرة وان لم تحصل منه التوبة قال تعالى :

ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفرعنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما (۳۱ ـ النساء) اى نكفر سيئاتكم الصغائر .

وقال : ولله مافى السموات ومافى الارض ليجزى الذين اسائوا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة. (۳۲ ـ النجم) الذين يجتنبون بدل من الذين احسنوا، واللمم العصيان الحادث حينا بعد حين ، لاعلى نحو التعاقب والدوام من الم الشىء اذا نزل ووقع .

وقديكون بترك الجميع فان فرض امكان ذلك ووجود مصداق لهذا العنوان مع بقاء الايمان فى قلبه، اوقلنا بان الاعمال التى تراها صالحة فهى من اغلب الناس باطلة، لعدم اجتماع شرائط الصحة فيها فضلا عن القبول، فالمصداق كثير، فالظاهر انه ليس بكافر ولايكون مخلدا فى النار ، وان كان قد يترای من ظواهر عدة من الايات بل اكثرها عدم ترتب اثر على ذلك النحو من الايمان ، لترتب وعود الله تعالى من المغفرة والجنة والرضوان ونعم الاخرة جميعا فى آيات كتابه فى اكثر من ۵۵ موضعا على الايمان والاعمال الصالحة كليهما، الا ان تلك الايات مسوقة لبيان مصاديق الوعد الاوفى والنعم العليا الاخروية وانها اعدت للمؤمنين العاملين ولا اشكال فى ان العمل هو الركن الاعظم والملاك الاقوم فى نتاج قواعد الدين وحصول عوائده وانتفاع المجتمع بفوائده فى الدنيا وترتب الاثار الموعودة له فى الاخرة، وان الغرض الاسمى من تشريع الشرائع والدين، انما يترتب عليها اذا ترتبت على العقائد الباطنية آثارها الخارجية وجرت ينابيع الحكمة العلمية عن عيونها النظرية على الجوارح والاعضاء ، وفيما بين المجامع .

و انما الكلام فى انه اذا اتفق انه لم يعمل واحد على طبق ما اعتقده و اذعن به مع بقاء العقائد فى مكنون ضميره ، فهل يصدق عليه انه مؤمن ، و هل يكون لهذا النحومن الايمان اثردنيوى اواخروى ، اوهو كافر يترتب عليه آثارالكفر ؟فالذى ينبغى القول به هنا ان مقتضى‌وجود ايمانه الذى هوايضا عمل من اعماله بل اتم اعماله واحسنها ، استحقاقه الأجرعليه كما ان مقتضى تركه الصالحات استحقاقه العقاب عليه ، فحاله حال نفس عملت صالحا وآخر سيئا ،اما استحقاقه الاجر على ايمانه فلما سمعت آنفا من قوله تعالى:

وان سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء الا وفى (٤٠- النجم)

وقوله تعالى : ولتجزى كل نفس بما تسعى . (١٩ - طه)

وقوله تعالى : لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت

وقوله تعالى : والذين آمنوا بالله و رسله ولم يفرقوا بين احد من رسله اولئك سوف يؤتيهم اجورهم (١٥٢- النساء)

اذا المراد بالاجوراجورايمانهم .

و قوله تعالى : سابقوا الى مغفرة من ربكم و جنة عرضها كعرض السماء والأرض‌اعدت‌للذين آمنوا باللهورسله ذلك فضل‌الله يؤتيه من يشاء .(٢١-الحديد)

وقوله تعالى:ان‌اللهلايضيع‌اجرمن احسن عملا (٣٠-الكهف) واما استحقاقه لسيئاته فلادلة تلك المعاصى .

مع‌انه يمكن ان يقال انه اذا عاقبه الله تعالى بازاء معاصيه ، فلابدمن‌انتهاء مدتها بعد برهة من الزمان وان طالت ، اذالعقوبة المضروبة على المخالفة العملية محدودة محصورة ، ولازم‌ذلك عدم خلوده فى‌الناروخروجه منها، ولازم‌استحقاقه الاجرعلى‌الايمان دخوله الجنة، فان الظاهرانه لايقدم‌فى‌الاخرة ثواب‌الحسنات‌على جزاء السيئات .

ان قلت :كيف تدعى عدم خلود اهل الكبائر فى النار ، مع ان هنا آيات

تدل على الخلود فيما اذا كثرت الخطايا و الذنوب و احاطت بالانسان خطيئته ، وهذا هوتارك الصالحات بل فى بعض الايات ما يدل على الخلود بالنسبة الـى بعض المعاصى ايضا فضلاعن كثرتها وانغمارالشخص فيها قال تعالى:

بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النارهم فيها خالدون (۸۱ ـ البقرة) .

وقال تعالى :والذين كسبوا السيئآت جزاءسيئة بمثلها وترهقهم ذلةمالهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعامن الليل مظلما اولئك اصحاب النارهم فيهاخالدون (۲۷ـ يونس) قوله: «جزاءسيئة بمثلها» اى تجازى كل سيئةبما يناسبها من العذاب ويلائم حالها فى الشدةوالضعف يوم القيامة ، والرهق القرب واللحوق ، واغشيت اى كأنها سترت بالليل المظلم فصارت اسود .

وقال تعالى: فى الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النارهم فيهاخالدون (۲۷۵ـ البقرة)

وقال تعالى : فى قتل المؤمن: ومن يقتل مؤمنامتعمدا فجزائه جهنم خالدافيها . (۹۳ـ النساء) .

قلت. اماالايتان الاولتان فالظاهران المراد بهما صورة غلبة السيئات بحيث ازالت الايمان عن القلب ، وحصل فيه الشك او الانكار ، كماقال تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوآى ان كذبوا بآيات الله (۱۰ـ الروم) وهذاامر يكثروقوعه بالطبع ومقتضى العادة .

ويمكن كون المراد بالسيئة فى الموردين اعم من السيئة القلبية ، اى الكفر و السيئة العملية ، واماآية الربا فالظاهر انقوله تعالى: «ومن عاد» اى عاد الى انكارحكم الربا والنقض عليه بحلية البيع، ودعوى عدم الفرق بينهمابقرينة ماقبلها ، وهوقوله: «ذلك بانهم قالوا انماالبيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربـا» ولااشكال فى ان انكار حكم الربا سبب الكفر ، لكونه من ضروريات الدين كوجوب الصلوة وحرمة

الخمر، واما آية قتل المؤمن فقدحمله الاصحاب على صورة الا ستحلال فيكون كافرا .

ويحتمل فى جميع الايات ان يكون اطلاق الخلود لبيان طول مدة المكث فى النار، فالاطلاق مجازى بنحو التشبيه وغيره، وان ابيت الاعن ظهور هذه الايات و امثالها فى الخلود فى المعاصى الجوارحية، فهى تساوى الكفر والشرك من المعاصى الجوانحية ، فنقول لامانع عن القول بكون كثرة المعاصى واحاطتها بالانسان وكذا الربا والقتل بالخصوص ،امورا تقتضى بنفسها خلود صاحبها فى النار بحيث لاينافى عروض مانع منه من شمول الشفاعة له فى الاخرى ونحوها من المكفرات، وح فتشمله الشفاعة ولو بعد طول المكث فى النار ،كمافى بعض الاخبار، فالخلود فيها خلود اقتضائى، واما الكفر والشرك وسائر مصاديق الاخلال بالايمان، فهى تقتضى الخلود اقتضاء باتامحتوما ، ولايقبل التخلف ولاتنفع فى مورده الشفاعة ،كماقال تعالى ان الله لا يغفران يشرك به ويغفرما دون ذلك لمن يشاء ، فالخلود فيها خلود حتمى فتحصل من جميع ماذكرنا ان من صحت عقائده القلبية وايمانه وبقيت الى مابعد موته لايكون مخلدا فى النار وان لم يكن له عمل صالح .

ان قلت ان ماذكرت حكم من آمن بما يجب الايمان به ولم يعمل صالحا،فما هو حكم من كان على عكس ذلك بان لم يتحقق منه الايمان و صدرت منه الاعمال الصالحة ،كمايتفق كثيرا فى اهل الملل الفاسدة والاديان الباطلة .

قلت اما من حيث عدم ايمانهم فان كان ذلك لعدم تمكنهم من تحصيل الايمان وقصورهم عنه فلااشكال فى عدم عقوبتهم عليه كما عرفت، واما استحقاقهم الاجر لما صلح من اعمالهم فهوايضا غيربعيد ، لاطلاق ما تقدم من العمومات كقوله تعالى : وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى .

وقوله: لهاماكسبت وعليها مااكتسبت .

وقوله: ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون(۴۴- الروم)

وقوله: من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها (۴۶- فصلت) واما كون الاجر وهو دخولهم الجنة، فهو بعيد وقدمضى شطر من الكلام فى ذلك .

وان كان عدم الايمان لاجل تقصيرهم فى تحصيله اوانكارهم الحق بعد تمام الحجة عليهم عنادا اوعصبية، فان فرض كون العمل الصالح الصادر منهم هو الصالح شرعا كعبادتهم على وفق عقائدهم وخضوعهم للاصنام والاوثان وتقريب القرابين لها وللكواكب، اوخضوعهم للملائكة وعيسى مع اعتقاد مقام لهم لم يمضه الله او انفاقاتهم فى طريق التقرب الى غير الله ، اوالى الله تعالى بنحو لم يرض به الله ونحو ذلك .

فهذا ليس فى الحقيقة عملا صالحاً بل هو من جملة معاصيهم الكبيرة والفحشاء الصادرة منهم، وان فرض كونه الصالح عقلا ومما يستقل العقل بحسنه وصلاحه ، كانقاذهم الغرقى واطفائهم الحرقى، والاحسان الى الفقراء والضعفاء، مع كونهم ممن يحب الله الاحسان اليهم خاصة اذا وقعت تلك الامور، فمن يعتقد بالله تعالى خالصا لوجهه وكان كفره لانكاره غير التوحيد مما يجب الاذعان به، ولعل هذا القسم من الصالحات كثير الوقوع من الكفار على اختلاف مللهم وتشتت مذاهبهم ومآربهم ولاجل ذلك قد يدعى استحقاقهم الجنة لاجل ما عملوا من الصالحات، ولاسيما اذا كان العمل عظيما جليلا بين الصلاح عام المنفعة، كعمل المخترعين اذا اخترعوا شيئاً ينتفع به الملائين من الناس .

لكن ذلك باطل بل تدل الايات على ان من كان كافرا لا يستحق شيئا من الاجر وان صدر منه عمل صالح حال كفره، اوحال ايمانه قبل ان يكفر ، و يكون كفره حابطا لعمله مزيلا له مبطلا لاثاره فى الدنيا والاخرة، وبعبارة اخرى انا ندعى اشتراط الايمان فى استحقاق العامل الاجر على عمله الصالح ، و مانعية الكفر من تأثير العمل ورافعيته لاثاره لوصدر صحيحاً، ويدل على اشتراط الايمان آيات.

منها قوله تعالى : ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلايخاف ظلماً ولا هضما.(۱۱۲طه)

ومنها قوله تعالى : فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلاكفران لسعيه.

(٩٤- الانبياء)

ومنها قوله: من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة

(٩٧- النحل)

ومنها قوله : ومن عمل صالحاً من ذكر او انثى وهومؤمن فاولئك يدخلون الجنة

(٤٠- الغافر).

هذا مضافا الى ما عرفت من ظهور مقارنة الايمان بالعمل الصالح فى آيات كثيرة، فى ان الاثار انما تترتب على الاعمال المقرونة بالايمان.

وتدل على مانعية الكفر من تأثير الاعمال رافعيته لاثارها الايات التالية:

و من يكفر بالايمان فقد حبط عمله و هو فى الاخرة من الخاسرين .

(٥ ـ المائدة)

والمراد بالايمان هو مايجب الايمان به والاذعان بكونه من عندالله، كالامور الخمسة او السبعة التى سمعت، فالكفر بجميعها او ببعضها سبب لبطلان الاعمال .

والذين كذبوابآياتنا ولقاء الاخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون

(١٤٧- الاعراف)

اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا.

(١٩-الاحزاب)

ان الذين يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير الحق و يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة ومالهم من ناصرين

(٢٢-آل عمران)

ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة واولئك اصحاب النارهم فيها خالدون

(٢١٧-البقرة)

فتحصل مما ذكرنا ان الكفار الذين صدر منهم بعض الاعمال الصالحة

والحسنات الشرعية والعقلية، لايبقى لهم عمل حتى يستحقوا به الجنة مع اقتضاء كفرهم دخولهم فى النار، ويشملهم جميع الايات التى ذكر فيها الكافرورتب عليهم احكام دنيويةواخروية .

البحث الثالث

ان اطلاق الاجر فى قوله تعالى : «فيوفيهم اجورهم» على ما يبذل لهم بازاء اعمالهم يشعر بأنهم يستحقون الاجر من الله تعالى على اعمالهم، مع انه لا اشكال فى عدم استحقاق العبد شيئا من ربه استحقاقا اوليا، فانه انما يكون فيما اذارجعت منافع العمل لباذل الاجرة، وليس الامر فى اعمالنا كذلك ، فان‌مصالح الحسنات ترجع الى فاعلها، كماان مفاسد السيئات‌ترجع الى عاملها،فكل نفس لهاماكسبت وعليها ما اكتسبت .

وهذا كما فى اوامر الطبيب ونواهيه فلا يستحق المريض اجراً من‌الطبيب لامتثال ما امره ولاعقابا لمخالفته، وعلى‌هذا فمنع الاجور عنهم وحرمانهم عنها لا يكون خلاف العدل من‌الله ولاظلما يحسب . مع انه اطلق عليه الظلم بقوله والله لا يحب الظالمين هذا ، و لكن لابأس باطلاق الاجرة على المبذول من عندالله بعد ماوعدالله اعطائه ولو كان الوعد تفضلا منه تعالى وامتنانا، فصار العبد بعدالميعاد مستحقاً للاجر والثواب ، واطلق الاجر له لذلك ، فلاحظ وعده تعالى فى الايات التالية :

و عدالله الذين آمنوا و عملوا الصالحات لهم مغفرة و اجر عظيم .
(۹ ـ المائدة)

وعدالله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من‌تحتها الانهار (۷۲ـالتوبة)

جنات عدن التى وعدالرحمن عباده بالغيب (۶۱ مريم)

ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم (۸ غافر)

بل يدل قوله تعالى : ان‌الله اشترى من المؤمنين انفسهم و اموالهم بأن لهم الجنة، على وقوع معاهدة بين‌الله‌وبين‌عباده الصالحين على‌صورة المبايعة ، فاذاسلم البايع سلعته‌وتسلمه‌المشترى، وجب عليه نقد الثمن‌فى‌زمان الوعدومكانه‌بلاتخلف، والله تعالى لايخلف الميعاد، فالعامل مستحق للثواب والاجر و يكون منعه خلاف العدل، ولذلك قال تعالى بعدقوله : «فيوفيهم اجورهم» والله لايحب‌الظالمين . اى فكيف يكون منهم .

قوله : **ذلك نتلوه عليك من الايات والذكرالحكيم٥٨ـ آل‌عمران**

ذلك اشارة الى ما مضى من حالات الانبياء وقصصهم

١ ـ اى اصطفاء آدم‌ونوح و آل ابراهيم و آل‌عمران

٢ ـ وقصة امرأة عمران ونذرها وحملها مريم ،

٣ ـ ودعاء زكريا ربه وبشارته بيحيى

٤ـ وبشارة الملائكة مريم بعيسى واوصافه وحالاته ومعجزاته

٥ ـ واحساس عيسى من‌قومه الكفر ودعوته الحواريين الى نصرته

٦ـ ومكر الناس له‌وتوفى الرب له ورفعه اليه.

وكلمة ذلك مبتدأ خبره نتلوه عليك ، ومن الايات حال من ضمير النصب وكونها آية لاجل عدم اطلاع احد عليها فى‌ذلك العصر ، فيكون اخبار النبى‌بها آية لنبوته ، كما انها آية لعلم‌الله وقدرته ، او انها من آيات القرآن فعطف‌الذكر عليه تفسيرى ، واطلاق الذكر على القرآن لاجل انه مذكر لماينبغى ان يتذكر به الانسان من‌المعارف الدينية‌الاصولية والفروعية ،وغيرها من‌النذر والامثال‌والحكم والايات ، وكونه حكيما اى‌محكما لايتطرق اليه الخلل من ايةناحية من نواحيها من اللفظ والمعنى والاحكام والقوانين وغيرها ، كما قال تعالى : لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم‌حميد ، او المراد انه‌حكيم‌صاحبه‌ومنزله فان‌الله هو الحكيم .

قال تعالى : **ان‌مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين – فمن حاجك فيه من بعد ما جائك من العلم : فقل تعالوا ندع ابنائنا و ابنائكم و نسائنا ونسائكم وانفسناوانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنةالله على الكاذبين .**
(٥٩–٦٠–٦١–آل‌عمران)

قدذكرنا فى رسالتنا : «التكامل» مافى تفسير الاية الاولى فلانعيدها

التفسير

المراد بالحق، كل قضية صادقة ومعنى حق ثابت ، سواء اكان من‌المطالب الدينية، ام‌العقلية، ام‌العقلائية، ام القضايا المتخذة من‌الحسيات الخارجية. فكل‌حق ينتهى‌اليه تعالى وهوالمنشأله والمبدء لصدوره، امابتعليمه للانسان بواسطة‌الانبياء. اوبالهامه للعقول والقلوب اوبادراك القوى الباطنة من العالم المحسوس .

فقولك : الله واحد وعيسى ليس بأله اوليس بابن الله او ليس بجزء من‌الله اوانه انسان مخلوق بأمرالله، اوانه رسول من‌عندالله وما اشبه ذلك ،كله حق وكله من‌الله، وكذاقولك ان‌الضدين لايجتمعان، والمتناقضين‌لايرتفعان، وقولك‌الاحسان حسن والظلم قبيح ، وقولك النار حارة والماء رطب بارد بالطبع ، والمثلث له زوايا ثلاث، ويعرف من ذلك بالمقابلة ان‌كل ماهو باطل فهوليس من الله ، بل‌هو ناش‌اما من ناحية الشيطان اومن ناحية جهل‌الانسان .

ثم ان‌الكلام‌وان كان كليا عاما‌الاان‌الغرض‌من‌سوقه‌تبيان مسئلة التوحيد،ونفى مازعموه من‌الربوبية لعيسى كماعرفت من‌الامثلة، فاشراق نورالتوحيدفى‌القلب‌انما هومن‌ناحيةالله وايحائه، سواء اكان ذلك‌بالمعجزات الصادرة من‌الانبياء،اوبالادلة العقلية الانية، اوبالمكاشفة المعنوية التى تكون هى دليلا على‌المخلوق بدلالة لمية .

والدليل الانى‌هوحصول‌العلم‌بالعلة‌من طريق‌المعلول ،كالعلم بوجودالبارى تعالى وبعض صفاته من مشاهدة مصنوعاته .

والدليل اللمى حصول العلم بالمعلول من ناحية العلة ، والطريق الذى جرى عليه الكتاب الكريم بل واخبار اهل البيت (ع) فى توجيه العقول الى الله تعالى، هو النحو الاول ولم ارفيها مايدل على الثانى، الا ماقيل فى قوله تعالى: اولم يكف بربك، انه على كل شىء شهيد. فالله تعالى هو الشاهد المظهر للاشياء لانها مظهرة له تعالى وبعض الادعية الواردة ، فعن مولانا الحسين (ع) فى دعاء يوم عرفة .

(كيف يستدل عليك بماهوفى وجوده مفتقر اليك، ايكون لغيرك من الظهور ماليس لك حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الاثار هى التى توصل اليك) .

ولعل من هذا القبيل قوله تعالى ايضا فى ذلك الدعاء : (اشرقت الانوار فى قلوب اوليائك حتى عرفوك ووحدوك) .

وهذا المرمى لايحصل الاللاوحدى من الناس، بل والخاصة منهم الذى انتخبه الله بالقرب والولاية، ولذلك سمى دليل الصديقين والطريق المسلوك به للعامة هو النحو الاول كما قال تعالى :

(١) ان فى خلق السموات (٢) و الارض (٣) واختلاف الليل والنهار (٤) والفلك التى تجرى فى البحر بماينفع الناس (٥) وماانزل الله من السماء من ماء (٦) فأحيا به الارض بعد موتها (٧) وبث فيهامن كل دابة (٨) وتصريف الرياح (٩) والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون . (١٦٤ - بقرة)

وقال سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق

(٥٣ - فصلت)

وكان هذا الطريق هو الذى يسلكه الانبياء فى مقام دعوتهم كما قال تعالى:

قالت لهم رسلهم افى الله شك فاطر السموات والارض (١٠ - ابراهيم)

فالرسل عليهم السلام كانوا ينفون الريب والشك عن الله بشهادة خلقه السموات والارض ، وان المتأمل فيهما لايرتاب فى وجود الصانع الحكيم .

ويتلو هذا الطريق فى اثبات الصانع تعالى الاهتداء اليه بالمعجزات الصادرة من الانبياء والائمة (ع)، فأنها ايضا مما لامعدل عنها فى هذا الباب، ولكنها تختص بمن اطلع عليها بالمشاهدة او بالنقل المتواتر.

وقوله تعالى: فلا تكن من الممترين، اى من الشاكين فى التوحيد وفى عدم ربوبية عيسى، فان الريب والمرية فى هذا المضمار لامجال له لوضوح البينة.

وقوله تعالى: فمن حاجك فيه الاية، الضمير المجرور للحق اولعيسى، والاول أحسن، اى فمن ناظرك فى كون عيسى مخلوقا لله مربوبا له، وعدم كونه ربا والها فادعهم الى المباهلة.

وقوله من العلم، اى الحاصل من اخبار الله تعالى بقوله: خلقه من تراب الاية، وفى الكلام اشارة الى ان المباهلة لاتكون الا بعد اليقين دون الظن والوهم والخطاب فى قوله (تعالوا) لرؤسائهم ورجالهم، والضمير فى قوله (ندع) عام للنبى والنصارى، والمراد دعوة كل طائفة من طرفى المباهلة اهليهم، والمعنى ندعوا نحن ابنائنا ونسائنا وانفسنا، وتدعون انتم ابنائكم ونسائكم وانفسكم.

والابتهال افتعال من البهل اى اللعن والترك، فالابتهال طلب اللعن، وكثر استعماله فى الدعاء وطلب الحاجة من الله بألحاح والمراد به فى المقام، اما طلب كل طائفة اللعن لصاحبتها، او طلب الطائفتين معا اللعن للكاذبة عند الله.

فعلى الاول تكون نتيجة لعن المحق للمبطل، ولعن المبطل للمحق ثبوت لعنة الله الكاذبين المبطلين.

و على الثانى يكون ذلك مفاد كلا اللعنين، و على اى تقدير ففى الكلام ايماء بتأثير الملاعنة فى شمول الطرد والغضب للمبطلين.

ثم ان فى الاية الشريفة ابحاث:

الاول: ان الدعوة الى المباهلة وقعت فى قبال طوائف النصارى المدعين مقام الربوبية لعيسى باحدى الصور الثلاث، وهى دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت اعنى

كون عيسى هو الله كما يدعيه اغلب النصارى، او كون عيسى ابن الله كما هو مذهب ، او كون الله تعالى ثالث ثلاثة احدها عيسى (ع) كما هو مذهب .

وقد روت الخاصة والعامة ان عدة من رؤسائهم والوفد الوارد منهم على النبى الاعظم لتحقيق الحال عن نبوته وكتابه (ع) لم يقبلوا المباهلة ، بل اذعنوا بقلوبهم واقروا فيما بينهم بنبوته وتركوا المباهلة وصالحوا على البقاء على دينهم، على ان يدفعوا جعلا معينا فى كل سنة للحكومة الاسلامية، وبالجملة كانت الدعوة الى المباهلة وعدم قبولهم ، دليلا على عدم ربوبية عيسى وشاهدا على صحة نبوة نبينا وحقية دعوته ، وقد ظهر الامر عندئذ وشاع، وكان ذلك ظفرا معنويا للاسلام على النصرانية .

ثم ان الظاهر ان المباهلة لاتكون الا بعد يأس طرفى الخصام عن اثبات المدعى وقبول الاخر، وقد حكى الله تعالى من حال عيسى وتولده واقراره بالعبودية، ماهو كالدليل التام لاثبات المرام، ويظهر من عدم نقل الجواب عنهم وتعقيب ذلك بالامر بالمباهلة ، انهم اصروا على مااعتقدوا به حتى انجر الامر الى قطع النزاع بالمباهلة والملاعنة .

ثم انه يظهر من الاية الشريفة تشريع المباهلة فى كل مخاصمة لم تنجع البراهين الناهضة من قبل المتخاصمين فى فصل الخصومة ، فحصل اليأس من تأثيرها ، الا ان الظاهر اختصاص موردها بالاصول الاعتقادية. ويظهر من الروايات الواردة فى ذيل الاية الشريفة ، ان لها تاثيرا سريعا فى ظهور الحق وهلاك المبطل من الطرفين ودماره ، ولعلها كانت من الاحكام الثابتة فى التوراة والانجيل الاصليين وان لم تكن موجودة فيهما بالفعل .

ويشهد له ماورد فى تفسير العياشى عن ابيجعفر (ع) انه قال بعد ذكر قصة وفد نجران : (فلما رآه الحبران قال احدهما لصاحبه والله لئن كان نبيا لنهلكن).

وعن تفسير الثعلبى عن النبى (ص) انه قال : (والذى نفسى بيده ان الهلاك

قد تدلى على اهـل نجران ، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا) .

وهذه غير الملاعنة المذكورة فى الفقه التى شرعت لفصل الامر بين المرء وزوجه ، فيما اذا قذف الرجل زوجه بالزنا وليس له شاهد الانفسه ، والحكم فيه انه يشهد الرجل اربع شهادات بزنا زوجه ثم يلعن نفسه على فرض كذبه فيدرء ح حد القذف عنه، فاذا شهدت المرأة ايضا اربع شهادات على كذب الزوج ، ثم طلبت غضب الله لنفسها ان كان من الصادقين ، درء الحد عنها ايضا، ثم انقطعت عصمة الزواج بينها وحرمت عليه ابدا ، ويسمى هذا العمل بالملاعنة .

قال تعالى: والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين . والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان مـن الكاذبين ويدرء عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انـه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين (٨ ـ ٩) فالملاعنة حكم ثابت فى الاحكام الفرعية ، والمباهلة حكم جار فى الاصول الاعتقادية وتفترقان ايضافى الشرائط والنتائج .

البحث الثانى استدل علماء الشيعة (رض) بهذه الاية على خلافة على (ع) وولايته على الامة جميعا بولاية تشريعية ، وهى كونه منصوبا من قبل الله ولياعليهم واولى بالتصرف فى انفسهم واموالهم ، بتقريب انـه قد اجمع المفسرون سنيهم وشيعيهم على ان الذين جاء بهم النبى (ص) الى المباهلة امتثالا لما امره الله فى هذه الاية ، هم على (ع) وفاطمة الطاهرة والحسن والحسين (ع)، فيعلم من ذلك ان الحسنين ابنا رسول الله ، وان عليا نفسه ، والمراد بكون على (ع)نفسه انه مثله ومساوله ، فالآية تدل على مماثلته (ع) لنفس النبى (ص) فكلما قد علم من الخارج عدم ثبوته لعلى من اوصاف النبى كنبوته وافضليته عمن سواه كان خارجا عن مفاد

ويبقى الباقي حتى افضلية النبي على جميع الانبياء فضلا عن اصحاب النبي (ص).

هذا وبعد انضمام مقدمتين الى ذلك يثبت المطلوب . اولاهما وجوب نصب الخليفة على النبي (ص)، وثانيهما اشتراط كون المنصوب افضل اهل زمانه.

اما الاول فالظاهر انه مما لاينبغي ان يرتاب فيه ذومسكة كيف؟ وكان من عادته (ص) انه لايخرج من المدينة الاويعين فيها خليفة لنفسه، ولايهيأ جيشا وجندا الاويعين لهم اميرا ولم يتفق انه اوكل الامر اليهم في انتخاب الامير او الخليفة ، وقد ثبت ذلك بالروايات المتظافرة ، بل قدعين (ص) في غزوه مؤتة امراء ثلاثة على سبيل الترتيب، ومع هذا الحال فكيف ارتحل من الدنيا ولم يعين خليفة فترك الناس ومافعلوا وخلاهم وما اختاروا ، مع ان الانسان بطبعه ذواهواء وميول ولايذعن بهذا الامن حسب النبي (ص) (ونعوذ بالله) انسانا غافلا عن حال الاجتماع غير ملتفت باوضاع امته وزمانه مع انه كان اعقل من خلقه الله وافضل من برئه ، مع ان في المقام روايات كثيرة متظافرة عن اهل البيت عليهم السلام لايبقى لاحد مع ملاحظتها شبهة في ظهور الحق .

واما الثانية. فهو امر بين لدى العقول السليمة ظاهر من مذاق الشرع في موارد كثيرة، كما في تقديم الرجال على النساء في جميع الشؤن الاجتماعية، وتقديم الافضل في ائمة الجماعة ، بل هذا امر عقلي وعقلائي ، والعجب من ابن ابي الحديد شارح نهج البلاغة حيث قال في خطبة الكتاب (الحمد لله الذي قدم المفضول على الافضل لمصلحة اقتضاها التكليف واختص الافضل من جلائل المأثر ونفائس المفاخر بما يعظم عن التشبيه ويجل عن التكليف ولاندري من هو المقدم أهو الله تعالى او النبي الاعظم وعلى اي تقدير فقدنسب اليه مالايناسب مقام العلم والكمال والقداسة

وان خالجك شيء من دلالة الآية . فعليك بقوله تعالى في سورة المائدة (ياايها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لايهدى القوم الكافرين (٦٧) .

فانك ان لاحظتها ترى انها واقعة موقعها الخاص فيما بين آيات مدنية باحثة عن

احوال اليهود والنصارى، فسابقتها آيات تحكى حال الطائفتين وانهم لو آمنوا بالله ورسوله غفر الله لهم وكفر عنهم ذنوبهم وادخلهم الجنة، وانهم لو عملوا بمافى كتبهم لكانوا فى بلهنية العيش ورفاه الحال فى دنياهم .وان لم يؤمنوا ،بمحمد(ص) ولاحقتها تحكى عن انهم لو لم يقيموا كتبهم ولم يؤمنوا بماانزل اليهم لماكانوا على امر نافع وحياة سعيدة فالآيات السابقة واللاحقة كلها مدنية وهذه الآية مكية او نازلة فى الطريق بقرب جحفة فى غدير خم، فيظهر من السياق انها نازلة لامر خاص فيه كمال الا همية بحيث لو لم يبلغه النبى (ص) فكأنما لم يبلغ شيئا ممارسله الله اليه، بل وفيه شدة وخوف بحيث كان النبى الاعظم يخاف من اظهاره و ابلاغه حيث وعدالله تعالى انه يعصمه من الناس .

ولااشكال فى ان هذا الامر ليس حكما فرعيا من فروع الاحكام، فان ابلاغ ذلك لم يكن موردا للخوف مع انه ـص ـقد بلغ اكثرها ولم يبق الاشىء يسير كما يظهر من باقى آيات السورة ، ولم يكن خوفه من اهل التوراة والانجيل كما يظهر من بعض مفسرى اهل السنة ، فأنهم كانوا عندئذ مغلوبين للمسلمين ، محكومين بحكم الاسلام ولم يبق لهم تلك القدرة والعظمة حتى يخاف منهم النبى فى تبليغ ماانزله الله تعالى

بل هذا ظن سوء بالنبى(ص) وخلاف الانصاف، مع انه لو كان الخوف منهم لقال والله يعصمك منهم اومن اهل الكتاب دون قوله من الناس ، فظاهـر الكلام ان الخوف ووعد العصمة كان من المسلمين انفسهم .

وعلى هذا فماذا تظن ان يكون الحكم الذى انزله الله الى نبيه (ص) فى المقام أكان حكما فرعيا وجوبيا اوتحريمياً ؟ لايمكن المصير الى شىء من ذلك بل الحق الحقيق بالاذعان والقبول هو كونه مسئلة الخلافة والولاية للامة الاسلامية ، فأن لها شأنها من العظمة والاهمية وموقعها الخاص من امكان وقوع الخلاف والاعتراض والانكار وتشتت الامر و ظهور التفرق فى وحدة المسلمين مع شهادة العقل والتجارب انه كان فيمابين المسلمين من يطمع فى امر الخلافة خاصة بعدمااخبرهم

النبى بقرب ارتحاله من الدنيا .

كيف ؟ والانسان قدعجن فى ذاته بحب الجاه والمقام والرياسة و لم يكن افراد المسلمين كلهم عدولا معصومين من الخطاء والعصيان وح فلولم نكن نعلم من القرائن كون الاية الشريفة مرتبطة بالخلافة لكنا نستفيد ذلك من نفس الاية مع ان هناك روايات كثيرة متظافرة دلت على ان الحكم النازل على النبى الذى امر الله بابلاغه ووعده العصمة ، هو الامر المربوط بحال على امير المؤمنين و انه لما نزلت الاية جمع اهل البلاد من الحجاج بقرب جحفة و كانوا مجتمعين الى ذلك المكان، فى عودهم من مكة بعد ايام الحج ، وكان المكان اول منفصل من الطريق .

فخطب الناس وقال (ص) ايها الناس الست اولى بكم من انفسكم فقالوا بلى ، ثم اخذ بيد على (ع) - قال من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه الخ .

والروايات الواردة فى حكاية كلام النبى الاعظم وما خطبه للناس فى ذاك اليوم مختلفة جدا باختلاف الالفاظ والمعانى لكن الذى ينقله الجل لولا الكل شامل على الكلام المزبور .

ثم ان عدة من محققى مفسرى اهل السنة مع اعترافهم بكون الحكم المنزل هو مفاد تلك الرواية ، قد حملوا الكلام على محامل يكشف ذلك عن شدة تعصبهم فى امر الخلافة وصعوبة اذعانهم بخلاف ماشرب فى قلوبهم من حب بعض وبغض آخرين. كحمل كون توصية النبى لعلى من جهة شكاية عدة من المسلمين عنه فى انه لم يقسم لهم الغنيمة المجلوبة من اليمن، وحمل قوله (ص) من كنت مولاه اى ناصره ومحبه .

فاخبر النبى بان من كان محباً للنبى او ناصراً له فليكن محباً لعلى و ناصراً له اوان من كان ناصراً له فعلى ايضاً ناصره وكان النبى ناصراً لابى بكر وعمر فليكن على (ع) ايضا

كذلك ، وغيرذلك مما افادوه فى المقام ، وقد غفلوا وتغافلوا عن ان‌الحكم مؤكد من الله بتلك المثابة من التأكيد ،

ثم انجمع النبى للمهاجرين والانصار والخطبة لهم بما يذعن المتتبع فى التواريخ بعظمة الامر و شدة اهتمام الرب تعالى والنبى الاكرم لا يكون لابلاغ ان المسلمين يجب ان يحبوا عليا ، مع وجود آيات تدل على لزوم ولاية المؤمنين بعضهم بعضا .

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياءبعض (التوبة – ۷۱)) مع انملاحظة عبارة الرواية المتواترةتقضى بالمراد فان قوله (ص) - الست‌اولى بكم‌من‌انفسكم لايراد به الا الولاية التشريعية الثابتة لنفسه الشريفة فى قوله (ص) : الست اولى بكم من انفسكم ، فقوله بعد ذلك من كنت مولاه فعلى مولاه لايراد به الا اثبات تلك الاولوية لعلى وهى‌الخلافة الالهية التشريعية والولاية على جميع الناس .

ان قلت ، ما المانع من القول بأن مسئلة الخلافة بعد ارتحال النبى‌الاعظم كانت على نحو السنة الجارية فى‌عصرنا هذا ومايقاربه من الاعصار ، فوقعت‌على طريق انتخاب الخليفة باتفاق آراء الامة الاسلامية او اكثرية تلك الاراء ، فالنبى (ص) لم يوص بعده الى احد ، واوكل الامر فى هذا الموضوع‌الى الامة انفسهم فاجتمعوا على‌بيعة الخلفاءالراشدين على طبق ماوقع فى‌الخارج واذعن‌به‌اهل‌السنة والجماعة ، فكانوا ح كرؤساء الجماهير فى‌الممالك الجمهورية

او نقول : ان النبى ، اوكل امرانتخاب الخليفة الى طائفةخاصة من‌عظماء اصحابه والسابقين الاولين من المهاجرين والانصار، ليجتمعواويتشاوروواويختاروا من‌بينهم الاحرى والاليق والاجدر والانفع ، فكانت نتيجة اجتماعهم وانتخابهم‌ان بايعوا ابابكر ثم الخلفاء من‌بعده ، ويشهد لصحة هذاالامر الايات التى وردت فى لزوم الشورى بين‌المسلمين .

قال تعالى : وما عندالله خير وابقى للذين آمنوا وعلى‌ربهم يتوكلون . . .

والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون (٣٨ - الشورى)

والشورى هو الامر الذى يتشاور فيه، فالمعنى ان امورهم هى التى تقع مورداً للمشورة والتشاور ليستخرج ماهو الاحرى بالعمل

وقال تعالى : فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فأذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين (١٥٩ - آل‌عمران)

وقال تعالى : والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين... وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ... فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما (٢٣٣ - البقرة) .

وفى نهج البلاغة فى كتابه عليه السلام الى معاوية (٦ك ص٣٦٦) انه بايعنى القوم الذين بايعوا ابابكر و عمر وعثمان على مابايعوهم عليه ، فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد، وانما الشورى للمهاجرين والانصار ، فان اجتمعوا على رجل وسموه اماما كان ذلك لله رضى، فان خرج عن امرهم خارج بطعن او بدعة ردوه الى ماخرج منه ، فأن ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله، ماتولى الخ.

قال ابن ابى الحديد فى ذيل الكتاب المزبور.

واعلم ان هذا الفصل دال بصريحه على كون الاختيار طريقا الى الامامة ، كما يذكر اصحابنا المتكلمون ، لانه احتج على معاوية ببيعة اهل الحل و العقد ، ولم يراع فى ذلك اجماع المسلمين ، و قياسه على بيعة اهل الحل و العقد لابى بكر فانه ما روعى اجماع المسلمين لان سعد بن عبادة لم يبايع ولا احداً من اهل بيته ولان علياً وبنى هاشم ومن انضوى اليهم لم يبايعوا فى مبدأ الامر وامتنعوا ولم يتوقف المسلمون فى تصحيح امامة ابى بكر... وهذا دليل على صحة الاختيار و كونه طريقاً الى الامامة انتهى (ج١٢ ص٣٦)

ونظير هذا الكلام منه (ع) فى آخر الكتاب ٧ من النهج قال (ع) لانها

بيعةواحدةلايثنى فيها النظر ، ولايستأنف فيهاالخيار ، الخارج منهاطاعن والمروى فيهامداهن .

قلت، اماالوجه‌الاول‌وهوايكال‌النبى‌الاعظم(ص)امرالخلافة الى‌الامة ليجعلوا ذلك بالانتخاب نظير الحكومات الجمهورية ، فهـو باطل اولا بأنه لوكان الامر كذلك‌فلماذالم‌برد فيه‌نص من‌آية اورواية مع‌كونها امرأعظيما لازم‌المراعاة‌جديراً بأن‌يعتنى به‌وينظر فى‌شأنه ويستحكم بنيانه ويقام‌برهانه ، وهوكالاساس من‌الدين‌و الركن من‌البنيان، فهل‌يحتمل المؤمن‌المنصف ان‌لايهتم صاحب‌الشرع بهذاالنحو من‌الحكم ولم‌يشرع اصله‌ولم يبين‌فروعه ولم‌يسدخلله ، والقى‌امره على‌عاتق الامة لتصنع‌فيه ماشائت وارادت، والناس مجبولون على‌حب الرياسة واتباع الاهواء ، مع‌ان الصواب ان‌الكتاب الكريم قد افاد خلاف‌ذلك وصرح بعدم كون انتخاب الخليفة راجعاً الى الامة بل نرى ان الله تعالى قدعين ذلك‌فقال تعالى :

انماوليكم الله‌ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم‌راكعون(المائدة-۵۵)والولى‌هوالمدبرللامرالاولى بالتصرف والمخاطبون‌بها هم‌المؤمنون ، فلايكون قوله والذين‌آمنوا الآية- مرادابنحو العموم، بل قد اريد منه‌بعض من‌الامة .

وقدنقل‌الفريقان‌نزول‌الآية‌الشريفة فى‌حق‌على‌بن‌ابى‌طالب(ع)-وليس‌الكلام فعلافى تعيين مصداق ذاك‌العام ، بل‌المراد ان‌الآية تنفى مسئلة ايكال الانتخاب الى الامةانفسهم ، والالزم‌كون انتخاب الرسول ايضا موكولا اليهم، بل‌اخبرت‌بنحو الحصركون الولاية على المؤمنين ثابتافى حق المذكورين .

هذامع انه‌لوكان الامر بالانتخاب لماكان الاعتقاد بخلافة الخلفاء لازماً للموجودين فى‌الازمنة المتاخرة عن‌زمانهم ، فلكل‌قوم انتخاب خليفة فى عصرهم ولانفسهم ، بل ولهم الرد للمنتخب فيماقبلهم ، وتخطئتهم المنتخبين والمجتمعين لاوجوب الاذعان بذلك كما عليه اهل السنة .

مع ان فی‌المقام عن‌طرق اهل‌البيت روايات متظافرة دالةعلی كون الخلافة امراًالهيا غيرموكول الی‌الناس ، ولايحق لهم‌النظر فيها ولافی انتخاب من ارادوا وشائوا، بل‌قدعين‌الله الخليفة كما عين‌النبی ، والامر ليس فی‌ذلك الاالی‌الله ، الاله الخلق والامر .

واماالوجه الثانی. اعنی‌ايكال النبی(ص) امرالخلافة الی‌الشوری بين كبراء المسلمين واهل‌الحل والعقد .

ففيه‌اولا انه‌لماذا لم‌يصرح النبی‌بذلك ولم‌يبين لهم‌الوظيفة فی‌امر الشوری وكيف‌لم يوضح‌لهم‌حدود الشوری وانه من‌هم‌الكبراء؟ ومن‌هم‌اهل‌الحل والعقد؟ وماهوالميزان فی‌عددهم؟ وكيف الحيلة عنداختلافهم والمسئلة عامة البلوی ولها مكانتها الخاصة فی‌المجتمع ، وفيهاحياتهم وفی اهمالها هلاكهم وتفرقهم. كماكان الامر كذلك وآل‌امر المسلمين الی‌ماتری وهل‌هذا الالعدم تعين‌هذا الامـر وعدم تشريع‌الله مايوضح حاله‌لوكان الامر كما يقولون .

وثانيا‌انه كيف يعقل‌ايكال الامرالی عدة معدودين و اخراج باقی المسلمين عن الشوری مع‌ان‌فيهم‌من يليق‌بالنظر اومن يكون‌ارجح من‌اهل الشوری المعقودة ولوفرض كون‌اهل المدينة افضل‌المسلمين فی‌ذلك العصرفكيف بمايقع‌فی‌الأزمنة المتأخرة مع‌تحقق سعةبلاد المسلمين ووجود الكبراء و العظماء واهل المعرفة و الولاية فی امور المجتمع الدنيوية والاخروية .

وكيف يسجل‌عليهم امردبرغيرهم من‌غير اطلاعهم، ولماذايكون مااختارته طائفة من‌المسلمين حكماواجباً علی‌آخرين وسالباً لحريتهم فی آرائهم ، مع‌عدم فضل‌لهم عليهم اومع كونهم مفضولين مرجوحين ، وهل‌يمكن اسنادهذا النوع من الامور الی الاسلام ؟

وثالثاً انه لااشكال فی‌كون مورد الشوری هوالموضوعات الخارجية التی لم يترتب عليها احكام شرعية الزامية ، فلا معنی للشوری فی‌نفس‌الاحكام‌الشرعية

باتفاق من علماء الاسلام ، وكذا في الموضوعات التي علم ثبوت حكم الزامی لها كالواجبات والمحرمات . فموضوع الشوری هوالامور المبحوث فیهمن حیث النفع والضر وتقع موردالتشاور لتشخیص الصلاح والفسادفیهاواستخراج ماهوالانفع والاحری فی الاقدام علیها .

فشمول قوله تعالی : وامرهم شوری بینهم لامر من الامور یحتاج الی احراز كونه موضوعا لم یترتب علیه من الله حكم الزامی وجوبی او تحریمی ، اذاً فلاتكون مسئلة الخلافة من مواردالشوری لما عرفت من انه تعالی حكم فیها بحكمه ولم یكل امرها الی خلقه فتأمل فی قوله تعالی :

انما ولیكم اللهورسوله والذین یقیمون الصلوة ویؤتون الزكاةوهم راكعون (۵۵_المائدة)

وقوله تعالی : یا ایها الرسول بلغ ما انزل الیك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته واللهیعصمك من الناس (۶۷_المائدة)وقدروت علماء الشیعةفی المقام من الروایات مایتجاوز حدالتواتر ، و من الایات الدالة علی المطلب ولو بمعونة الروایات ما یبلغ ۸۴آیة

ومن الاحادیث الواردة بنحوالتواترقوله (ص) _ انی تارك فیكم الثقلین كتاب الله وعترتی، اهل بیتی ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ، ولن یفترقا حتی یردا علی الحوض

والروایة واردة بالفاظ مختلفة من طرق اهل السنة ، بل رواها الزمخشری ایضا مع انه كان من اشد الناس عناداً لاهل البیت وهوالثقةالمأمون عند اهل السنة ورواها الثعلبی فی تفسیره فی ذیل قوله تعالی «واعتصموا بحبل الله جمیعا ولاتفرقوا» باسانیدمتعددة عن رسول الله (ص) بهذه العبارة

«ایها الناس قد تركت فیكم الثقلین خلیفتین ان اخذتم بهمالن تضلوابعدی احدهما اكبرمن الاخر كتاب الله حبل ممدود مابین السماء والارض ، وعترتی اهل

بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»

والرواية لو فرض عدم دلالتها على خلافة اهل البيت فلا اقل من دلالتها على حجية قولهم وانه يلزم التمسك بأقوالهم وحسبانهم كأحد الرواة الذين اخذوا عنهم وقبلوا قولهم، كأبى هريرة وعكرمة وانس و غيرهم ، فلو رجع اهل السنة اليهم لوجدوهم بحاراً غير منزوفة ولعرفوا ان النبى الاعظم هل يمكن ان يوصى الى احد غيرهم اوان يجعل الخلافة شورى بين الناس ام لا؟ اوانه (ص) اعظم امرها واتقن صنعها واخذ من ربه حكمها وعرفه الله اهلها ومن يليق الوصاية اليه ومن يصلح للامة اتباعه .

اذاً فأمر الخلافة داخل تحت قوله تعالى

وماكان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم (٣٦ ـ الاحزاب)

وقوله تعالى :وربك يخلق ما يشاء ويختار ماكان لهم الخيرة (٦٨-القصص)

ورابعاً: انا نقول انه متى عملت الامة بهذه الشورى التى جعلوها اساساً للحكومة الاسلامية وبنوا عليها بنيانها، اكان ذلك بعد رحلة النبى الاقدس لانتخاب ابى بكر على الخلافة اولاختيار عمر اوعثمان اوعلى (ع) الظاهر ان كل ذلك لم يكن .

اما الاول : فمع انه قد صرح بعض المفسرين واعترف بعدم وقوع الشورى عندئذ وعدم كون انتخاب الخليفة الاول بنحو الشورى بل كان ببيعة عمر بنفسه ثم تبعه بعض لجهات غير خفية ولم تكن باجتماع السواد الاعظم ولا بمشورتهم ورضاهم .

«بل صرح : بان عمر بادر الى مبايعة ابى بكر خوف الخلاف المهلك للامة وصرح بعد ذلك بأن بيعة ابى بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها الايجوز العود الى مثلها انتهى» .

ومراده ان الناس فى ذلك العصر لم يكونوا مستعدين للشورى ومستأهلين لادراك شئونها ومصالحها ، ولما علم عمر صلاح الامة واهلية من اختاره وانه هو

الذى ينبغى ان يستخرج ويتبع بالشورى ، فبايعه ، وهذا النحو من الانتخاب بذاته شر للمسلمين ينبغى ان يجتنب فيما بعد .

و لو فرضنا وقوعها فى السقيفة فهى غير نافذة وليست بتلك الشورى التى صوبها الاسلام وحثت عليها آية الشورى (وامرهم شورى بينهم) فان اللازم فيها اجتماع السواد الاعظم من المسلمين ولااقل من كبراء الاصحاب وعظماء الامة ، كيف ولم يحضرها سعد بن عبادة واتباعه واهل قبيلته ، وكذا لم يحضرها على (ع) وبنوهاشم والمنضوون اليه ولهم مكانتهم الخاصة فى الامة .

واما خلافة عمر . فلااشكال فى كونه بعهد من ابى بكر ولم تتحقق الشورى فى انتخابه ، وقداعتذر فى ذلك صاحب المنار بماذكره:

اولابان ذلك كان رأيا رآه ابوبكر ثم قبله الصحابة فصار اجماعا والأجماع حجة مستقلة .

وثانيا بان الشورى حصلت بان تولاها ابوبكر بنفسه فى حياته لخوفه على الامة فتنة التفرق والخلاف من بعده، فشاور اهل الرأى والمكانة من الصحابة فيمن يلى الامر من بعده، فرأى الاكثرين موافقين على ان امثلهم عمر، فعهد اليه وانما العمدة فى جعله اميراً مبايعة الامة، والمبايعة لاتتوقف صحتها على الشورى فيما سبق لابى بكر من المشاورة واقتناع الناس بخلافة عمر اغنى عن المشاورة بعد وفاته ، فصدق ان خلافة عمر وقعت بالشورى ، ولكن ماذكره صاحب المنار غير تام وباطل .

اما الوجه الاول:فهو اعتراف بعدم الشورى ، واما الأجماع فهو غير حجة من البعض سيما اذا وقع فى مقابل النص كما عرفت ، وما قد يدعى فى كلماتهم من ان النبى (ص) ـ قال:

لاتجتمع امتى على خطاء ، فلم نتحققه من حيث السند والدلالة .

واما الوجه الثانى: فهو دعوى غير ثابت لاندرى من اين علمه صاحب المنار، وهل هو الهام غيبى او اتكل على بعض كلمات اهل التاريخ ممن يجر النار الى قرصه .

او انه نشأ من الاعتقاد بالخلافة فأثبت الخلافة بالاثار الناشئة عن اعتقاده بها لابدليل خارج يوجب العلم والاذعان لمن لم يسبق‌له الاعتقاد، فأدلته ظنون‌للمعتقد لابراهين للمنكر الطالب للدليل .

وبالجملة لم تكن خلافة عمر بالشورى قطعاً كما اعترف به جل القوم .

واما خلافة عثمان فالشورى التى امر بها الثانى وانعقدت بأمره ليست هى التى امضاها الاسلام وليست جامعة لشرائط الشورى .

اما اولا: فلقلة عددهم‌عن حد النصاب اللازم ولو بحسب اقتضاء ذلك‌العصر، فأن جميع اهل الحل والعقد لم تكن تلك الستة الحاضرين للشورى ، مع انهم قد اختلفوا فى‌انتخاب الخليفة ولم يقع انتخاب عثمان من بينهم الابرضا واحدمنهم وهو عبدالرحمان اوهو وسعد، قال على (ع) فى‌الخطبة المعروفة بالشقشقية فصغى رجل منهم لضغنه ، ومال الاخر لصهره ، مع هن وهن .

واما ثانياً فقد صرح نفس الامربالشورى بعدم اهليتهم للخلافة ، وذكرلكل واحد منهم عيباً ونقصاً فهم كانوا غيرلائقين وانكان‌امرهم ثانياًبان‌يجتمعوا وينتخبوا احداً من بينهم للخلافة ، وامر بقتل جميعهم ان لم يفعلوا ماامرهم ، ولست‌ادرى كيف يمكن حل هذه العويصة وكيف جاز له الامر بقتل ستة من كبار الامة وفيهم على بن ابى‌طالب وهل يسوغ الامر به او هل يجوز لاحد اجراء هذا الامر ؟

فقد نقل ابن ابى‌الحديد عن السيد المرتضى‌بطريق اهل‌السنة عن ابن‌عباس انه قال له عمر : ماادرى مااصنع بأمة محمد (ص) وذلك قبل ان يطعن ، فقلت ولم تهتم وانت تجد من تستخلفه عليهم ، قال صاحبكم ؟ يعنى علياً ، قلت: نعم‌هو لها اهل فى قرابته من رسول الله (ص) وصهره وسابقته وبلائه ، قال : ان فيه بطالة وفكاهة .

فقلت: فأين انت‌من‌طلحة ؟ قال : فأين الزهو والنخوة.

قلت: عبدالرحمن ، قال : هورجل صالح على ضعف فيه .

قلت : فسعد ، قـال : صاحب مقنب (الخيل) لايقوم بقرية لوحمل امرها .

قلت : فالزبير قال : وعقة لقس مؤمن الرضاكافر الغضب شحيح .

قلت:فأين انت عن عثمان ، قال : لووليها لحمل ابن ابى معيط على رقاب الناس ولوفعلها لقتلوه (ابن ابى الحديد ج ۱۲ ص ۲۵۸).

واما ثانيا فلان اميرالمؤمنين عليا (ع) : و هو احد افراد الشورى قد قدح بنفسه فيها وبين انمشاركته فيهاكانت‌الزاماً عقلياً اوشرعياً رجاء ان يدرك حقه ، و يقع امرالخلافة عند اهلها بعد برهة من الانحراف والخروج عن مدارها ، وذلك معلوم لنا بالضرورة من احاديث كثيرة متواترة وردت مـن اهل بيته و اولاده الامجادالصالحين الطاهرين عن الكذبوالشين بتصديق الكتاب العزيز انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً

ومن قول على نفسه فى الخطبة المسماة بالشقشقية (حتى اذا مضى لسبيله جعلها فى‌جماعة زعم انى احدهم ، فيالله وللشورى متى اعترض الريب فى مع الاول منهم حتى صرت اقرن الى‌هذه النظائر ، لكنى‌اسففت اذا اسفوا وطرت‌اذا طاروا (الخطبة۳ من‌النهج)

واما ما ذكرنا من‌كتاب على (ع) الى معاوية الدال على و قوع الشورى وحقيتها وان بها عينت الخلفاء الذين سبقوه، وان المهاجرين‌والانصاراذا اجتمعوا على‌احد بالامامة كان ذلك لله رضا الخ فلايدل على مطلوب المستدل

فأنك اذا لاحظت حال الامة الاسلامية فى تلك الاعصار حتى الجيوش‌التى كانت تحت‌لواء على(ع) فضلا عن‌اهل الشام وغيرهم ، علمت‌انهم كانوامعتقدين بخلافة الاولى والثانى والثالث من الخلفاء ، وكان المسلمون التابعون لعلى (ع) معتقدين بأنه رابع‌الخلفاء الراشدين، ولم‌يكونوا يعتقدون‌بماتعتقده الشيعة من‌خلافة على (ع) بالنصب من عند الله الا الاقلون عددا المختصون بعلى (ع) كسلمان

ومقداد وعمار ومن يحذو حذوهم

فالكتاب الذى كان يكتبه على الى معاوية يلزم ان يكون مبنياً على مذاق المسلمين من تابعيه وتابعى معاوية، ولوصرح (ع) -فى كتابه ببطلان خلافة عثمان فضلاعن الخليفتين قبله لكان ذلك حجة اخرى فى يد معاوية نافية لخلافة على كالقميص المخضوبة بدم عثمان فكتاب على امتن كتاب فى مقام بيان اهليته للخلافة وبطلان دعوى معاوية وهو بيان جدلى اثبت (ع) مدعاه بمسلمات الخصم .

هذا وقد يتوهم ان كلام على فى نهج البلاغة (٢٢٨) دال على اهلية من قبله من الخلفاء بالخلافة حيث انه مدح الاول منهم او الثانى بقوله : «لله بلاد فلان فلقد قوم الاود و داوى العمد و اقام السنة و خلف الفتنة ، ذهب نقى الثوب ، قليل العيب ، اصاب خيرها ، وسبق شرها ، ادى الى الله طاعته واتقاه بحقه، رحل وتركهم فى طرق متشعبة ، لايهتدى بها الضال ولايستيقن المهتدى»

ولايخفى عليك ان التأمل الصادق فى حالات الخليفة الثانى وفيما وقع من الامور الدينية الاجتماعية فى عصره بيده وفى كيفية مشيه وسيرته مع المسلمين ومقايسة ذلك مع ما صدر عن عثمان ومعاوية وما وقع فى عصرهما وبيدهما بل ومقايسته مع سائر الحكومات العالمية فى تلك العصور ومابعدها الى الان

ثم التأمل والتعمق فيما صدر منه من احداث البدع فى الدين وادخال مالم يكن من المذهب فيه وامحاء ماكان من احكامه منه .

ثم ملاحظة ان اللازم للانسان المنصف الذى يريد ان يحكم فى حقه بحكم و يقضى فى سيرته و مشيه و هديه و سمته و سائر شئونه و اوصافه بقضاء حق ، او يكتب فيه مالايكون ابطالا لحق ولاستراً لباطل ، ليكون الكلام اوقع فى النفوس ولا تتسرى فيه العصبية ، ولا الخروج عن طريق العدل فى القضاء ، يقتضى بان يكون المقال فيه .

كما افاده الامام امير المؤمنين (ع) بعينه ، فقال فى حقه ما يلوح منه مدحه كالجمل التالية :

۱ ـ قوم الاود ۲ ـ داوى العمد ۳ ـ اقام السنة ۴ ـ ذهب نقى الثوب ۵-ادى الى الله طاعته واتقاه بحقه ومايلوح منه ذمه كالجمل التالية :

۱ ـ خلف الفتنة ۲ ـ ذهب قليل العيب ۳ ـ اصاب خيرها ۴ ـ وسبق شرها ۵ ـ رحل وتركهم فى طرق متشعبة ، لايهتدى بها الضال ولا يستيقن المهتدى ، الا انك اذا قايست خيره من اقامة الأود ومداواة العمد و اقام السنة و تأدية الطاعة المراد بها اقامته الصلوات بالجماعات ، واعطاء الحقوق المالية اهلها ، و تقسيم الغنائم بالسوية واقامة الحدود ، ونصب الولاة والقضاة و مراعاة القسط بالجملة فى الحكومة والقضاء و نحو ذلك من الامور الدينية الاجتماعية مع بعض ما صدر منه كجعل الخلافة الشورى على النحو الذى ادى الى خلافة عثمان الاموى ، فانه لااشكال فى كون ذلك من نتائج عمله

فقد سلم بيده الخلافة الى بنى امية ، فـانقلبت الخلافة العادلة الاسلامية الى السلطنة الجائرة القيصرية والكسروية هلم جرا الى اليوم، ولم ينل المسلمون ما نالوه من التفرقة والانشعاب والانحطاط والسقوط الابواسطة خلافة عثمان التى صارت سببا لانتقالها الى معاوية وسائر بنى امية(۱) وفى تفسير المنار بعد ذكر كون خلافة الخلفاء بالشورى قال: (الاان بنى امية قد احاطوا بعثمان وغلبوا الامة على رأيها عنده فكان من عاقبة ذلك ماكان من الفتن حتى استقر الامر فيهم بقوة العصبية والدهاء لاباستشارة الدهماء) (المنار ج۴ ص۲۰۲ ذيل الاية ۱۵۹ من آل عمران)

و كان فى وسع عمران يوصى الى على(ع) كماينقل عنه انه قال: ان لم استخلف احدا فقد فعله من هو خير منى اى النبى ، وان استخلفت فقد فعله من هو خير منى يعنى ابابكر .

وهذا جناية على الاسلام وثلمة فيه لايسدها شىء فقول على(ع) رحل وتركهم فى طرق متشعبة تعبير عجيب يؤدى من المعنى مالايفوقه امر علمت موقع الخليفة من تصديه لامور المسلمين، ونتائج حكومته وعواقب توليه امر الامة، مع ان التفكير -

(۱) وفى بعض المصادر ان هذه الكلمات لامرئة قالتها فى عمر بن الخطاب ولابد من المراجعة

الصحيح يقضي بعدم استنادتلك الحكومه الصالحة في الظاهر الى الخليفة بل كانت من نتائج السيرة العادلة النبوية وبقيةمما تركه الرسول الاعظم .

وبالجملة نحن نلاحظ حال كل واحد من الخليفتين ونرى فيما ورد من الاثار والتواريخ مايكون قدحأفيهما وكاشفا عن عدم اهليتهما للخلافة الاسلامية العامة: خلافةالنبى الاعظم وتدبيرالاجتماعات الدينية لجميع الامة فنرى :

١ـ انه لم يول النبى الاعظم الخليفة الاول فى امرهام من امارة جيش اوخلافة عنه فى بلدونحو ذلك .

٢ـ وانه لما اعطاه النبى سورة البرائة ليبلغها فى منى امره الله بأخذها منه و اعطائها لعلى (ع)ـ قائلا ان الله امرني ان لايبلغها الاانا او احد منى .

٣ـ ونرى ان النبى الاعظم امره بالدخول فى الجيش الذى هيأه فى آخرعمره وجعل اسامة اميراعليه وعلى عمروسائرقرنائهما .

٤ـ ونقل اهل السنة ان عمرقال فى حق بيعة الاول كانت بيعةابى بكرفلتة وقى الله المسلمين شرها، فمن اعاد اليهافاقتلوه

٥ـ وترك اجراء حدالقتل والزنا على خالدبن الوليدحيث قتل مالك بن نويرة ووقع على زوجته بعدقتله .

٦ـ وانه قال : ان لى شيطانا يعتريني فان زغت فقوموني .

٧ ـ وانه قال اقيلوني ولست بخيركم وعلى (ع) فيكم .

٨ ـ وانه قال : فى الكلالة ، اقول فيها برأيي فان كان صواباً فمن الله وان كان خطاءفمني .

ثم انه قد نقل اهل السنة فى حق الخليفة الثانى

١ـ انه قال عند احتضار النبى (ص) وطلبه القرطاس لان يكتب مالايضلوا بعده ، دعوه فانه يهجر

٢ ـ وانه كان ماموراً بالحضورفى جيش اسامة والكون تحت امارته فتخلف

عنه والنبی(ص) لعن من تخلف عنه

۳ ـ وانه قال بعد موت النبی : انه لم یمت ـ فرده بعض اصحاب النبی بقوله تعالی : افأن مات اوقتل انقلبتم علی اعقابکم ، وقوله : انک میت و انهم میتون .

۴ ـ وانه حرم المتعتین بقوله : متعتان کانتا حلالین علی عهد الرسول و انا أحرمهما واعاقب علیهما

۵ ـ وانه قد عطل حد مغیرة بن شعبة ، وخوف الشاهد علی زناه فمنعه عن اقامة الشهادة

۶ ـ وانه تسور دار غیره فرأی صاحب الدار یشرب الخمر ، فهدده فقرء ، فادخلوا البیوت من ابوابها فاعتذرورجع

۷ ـ وانه امربرجم الحامل مع عدم جوازه الا بعد وضع الحمل بل وبعد الارضاع.

۸ ـ وانه امربرجم المجنونة مع انه رفع القلم عن المجنون حتی یفیق .

۹ ـ وانه شرع اتیان صلاة التراویح

۱۰ ـ وانه اعطی من بیت المال عائشة وحفصة عشرة آلاف درهم

۱۱ـ وانه منع الخمس عن اهل البیت (ع)

۱۲ ـ وانه هم بأحراق بیت فاطمة (ع) ـ وقال (وان) ای وانکان فیه فاطمة والحسنان

۱۳ ـ وانه استأذن عائشة فی دفنه فی جنب النبی (ص) مع ان عایشة لم تکن مستحقة من البیت شیئاً لنقل الخلیفة الاول (نحن معاشر الانبیاء لانورثاه).

ثم ان اهل السنة قدسعوا فی رد جمیع تلک الاشکالات وتبرئة ساحة الخلیفتین عن توجه ای نقص وعیب بما لایرتضیه العقل السلیم العاری عن شوب العصبیة ، بل یظهر من کلماتهم وکیفیة اقامتهم البرهان علی مطلوبهم ، ابتناء دفع الاشکالات علی

سبق اعتقاد منهم بالخلافة ، متخذ من اشتهار نقل الخلف عن السلف بلاقيام دليل ونهوض برهان، واذا طالبنا منهم بالدليل تمسكوا بآية الشورى وهى عمدة مااعتمدوا عليه فى المقام .

واذا سئلناهم عن حال الشورى، وان النبى الاعظم ماذا قال فيها، فهل امر بها ووضع قوانين تحدد حدودها وتحل عقدها ومشاكلها مع ماهى عليه من محلها الخاص وموضعها الهام الاصيل وركنيتها فى تعيين مسيرالامة الاسلامية ، واصالتها فى تفريع مسائل الدين، وعراقتها فى تعيين عاقبة امر المسلمين ومقدرهم ومنتهى امورهم .

وانها هل تنعقد بالرجال فقط ، أوتشترك فيها النساء ايضا ؟ - ولااشكال فى عدم اشراكهم النسوان فى شورى الخلافة ،كيف. وقدعرفت حرمان الرجال منها الا الاقلين جدا .

مع ان لهن نصيبهن من‌امور المسلمين ، وقد اشتركن فى‌البيعة على النبوة وهذا مما يقدح فى‌تلك الشورى عنداهل المعرفة .

قال تعالى : « يا ايها النبى اذا جائك المؤمنات يبايعنك على ان لايشركن بالله شيئاولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن‌اولادهن ولايأتين ببهتان يفترينه‌بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم »

(١٢ - الممتحنة)

وفى‌تفسير الرازى فى ذيل الاية قال : روى‌ان النبى (ص) لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ فى‌بيعة النساء ، وهو على الصفا وعمر اسفل منه يبايع النساء بأمر رسول الله ....

قال واختلفوا فى كيفية المبايعة ، فقالوا كان‌يبايعهن وبين‌يديه وايديهن‌ثوب، وقيل‌كان يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن، وقيل‌دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه ثم غمسن ايديهن فيه ، ومامست يد رسول الله يد امرأة قط .

۲ ـ وانها هل تختص بأهل المدينة ، اوعظمائهم واهل الحل والعقد منهم، اوتعم سائر البلدان ايضا ، والاختصاص لماذا ؟

۳ ـ وانه لواتفقت آراء اهلها ، فهو ، والافما هوالحكم لو اختلفوا على طائفتين متساويتين، او كان احداهما اكثر عددا وكمية والاخرى كيفية ، اوتشعبوا على طوائف ولم‌تكن احدى الشعوب حائزة للكثرة .

۴- وانه‌لو انكشف الخطاء فى الانتخاب‌وعدم‌اهلية المنتخب، فماهوالحكم وهل‌تنحل عقدة الشورى وبيد من هى ؟

۵ ـ وانه هل يكون المنتخب بالشورى خليفة من قبل الله ورسوله ، او من قبل الناس ، وعلى الاول فهل يكون المنتخب اليوم كالمنتخب فى ذلك اليوم فى الحرمة ووجوب الطاعة؟ فان كان‌كذلك ، فما الوجه فى تفضيل الخلفاء الراشدين على غيرهم ؟ وان لم يكن كذلك، فلماذا هو مع ان اللازم‌كون اللاحقين افضل من‌السابقين لكثرة الامم المنتخبة .

۶ ـ وانه هـل تكون الشورى مختصة بتلك الاعصار ، او تعم هذه الازمنة ايضا؟ وهل يكون المنتخبون من‌بين الموجودين مثل‌الخلفاء الراشدين وان‌تعددوا وكثروا ، بأن اختاركل ناحية من النواحى خليفة، اوكل بلد من البلاد الاسلامية خليفة .

۷ ـ و انه لماذا وجب لنا الاعتقاد بصحه الشورى المحققة فى ذلك الزمان ولزوم‌الاذعان بفضل‌المنتخبين بها وخلافتهم، ولم يجز لنا النظرفى صحتهاوفسادها وجامعيتها للشرائط ، ولماذا يكفر او يفسق من ارتاب فى ذلك وتردد ؟

وبالجملة ان سئلناهم عن الشورى اعترفوا بان النبى‌الاعظم لم يتعرض‌لها اصلا ولم ينطق فيها بشيىء نفيا ولااثباتاً .

ثم‌انك ان تأملت فى‌حقيقة تلك الشورى وسبرت التواريخ وكلمات القوم لادراك ماوقع عندئذ ، اهتديت الى امر عجيب ، وهو ان‌تعيين خلافة‌كل‌واحدمن

الخلفاء الثلاث وقع من ناحية انفسهم وبيدهم ، فخلافة الاول واقعة بتعيين الثانى وبيعته، وخلافة الثانى بتعيين الاول ووصايته، وخلافة الثالث بالوصاية من الثانى بشورى خاصة وامر دبر بليل فآل الى بيعة عبدالرحمان لعثمان .

فجميع الادلة على خلافتهم ينتهى الى دليل واحد هو الشورى، وهى تنتهى الى نفس القوم وتعيين بعضهم بعضا ، وهذه هى اساس الحكومة الاسلامية عند القوم ، واصل الدين الحنيف الالهى الذى انزلـه الله على الناس جميعا من زمان ظهور النبى الاعظم الى قيام الساعة، فتدبروا ولا تصغ الى مانسجوه من الاخبار الاحاد فى اثبات اصل من اصول العقائد .

ثم انا نسئل ايضـا ان النبى الاقدس هـل كان غير مطلع عن تسرى تلك الاختلافات المخزية فيما بين امته ، ولم يخبره الله بها اصلا ، او انه كان عالما بها بأخبار الله تعالى اياه ؟

فان كان الاول فهو ينافى ماشتهر نقله منه بين اهل السنة والشيعة من قوله (ص) : ستفترق امتى على ثلاث وسبعين ، والناجية منها واحدة .

وان كان الثانى فهلا عين فى ذلك تكليفا للامة، ولماذا تركهم يعيشون بعده حيارى سكارى ، لامسلمين ولانصارى؟ ولماذا لم يسدد امرشوريهم بوصايا اكيدة فى عقدها، وتعيين مكانها وزمانها بتبيين ماذكرنا فيها من موارد الاشكال والاعضال، و هلا عين واحدا من اصحابه للخلافة بنفسه بلاحاجة الى الايكال الى الشورى ؟ وهل كان علمه بمن يجب انتخابه من افراد المسلمين ودرايته ودربته وادراكه عواقب الامور ، وماتنتجه من الخيرات والشرور اقل من اهل الشورى ؟

ولو توهم انـه كان ذلك لغرض تعليمه الشورى على المسلمين فكان يكفيه الحث عليها مستقلا والامر بالعمل بآية الشورى فى سائر امورهم .

ان قلت ان الشورى امر نطق بها الكتاب الكريم وحث المسلمين عليها فى امورهم ، فلو كان عدم تعرض النبى الاعظم لاحكامها وعدم تسديدها وسد ثغورها

قأدحا فيها ، فما هى مزعمتك فيها مع انها امر محثوث عليه ؟

قلت قد عرفت انه ليس لها عندنا مكانتها الأصيلة الركنية عند اهل السنة ، فانهم اعتمدوا فى كثير من احكامهم الدينية على بيان الخلفاء واقوالهم وافعالهم، واحتجوا لها بسيرتهم، فهى تبتنى على‌الحكومة، وصرحوا بأن الحكومة الاسلامية مبنية على الشورى ، فالشورى اساس الحكومة الاسلامية المتفرعة عليها امور هامة كثيرة ، فللشورى عندهم مكانتها الخاصة العريقة لايليق بالشارع المهتم فى امر تشريعه غض النظر عنها وتركه بيان حدودها واحكامها .

واما الشورى عندنا ، فكما انها لاتعمل بها فى الاحكام الشرعية ، لاتجرى فى الموضوعات الخارجية التى علم ترتب حكم الزامى من الشارع عليها ، فلاشورى فى الاحكام الالهية مطلقا من الاصولية والفرعية والتكليفية والوضعية وغيرها ، ولاشورى فى اتيان صلاة اوحج وترك الربا وشرب الخمرونحو ذلك.

فمحلها الموضوعات الخارجية التى لاحكم الزامى لها ، كشراء دار واحياء ارض ونحو ذلك ، ويكفى فى ذلك قوله تعالى : (وامرهم شورى بينهم) فالاية حاثة على امر دنيوى عقلائى حثا غير ايجابى ، وايكالا لشئونه على الناس ، كما يظهر من جعلها فى عداد عدة امور واجبة ومندوبة ، فوصف المؤمنين .

١ ـ بأنهم يتوكلون على ربهم .

٢ ـ ويجتنبون كبائر الاثم والفواحش .

٣ ـ ويغفرون عندالغضب. ٤ ـ ويستجيبون لربهم. ٥ ـ ويقيمون الصلوة.

٦ـوامرهم شورى بينهم ٧ـوينفقون مما رزقناهم ٨ـ وينتصرون عند مابغى‌عليهم

فالتوكل فضيلة خلقية ، والغفران عند الغضب فيما اذا كان له الانتقام غير واجب ، والاستجابة لله فى المندوبات مندوبة .

والانفاق فى غير موارد وجوبه مستحب .

والانتصار فى‌طلب‌الحق لنفسه سائغ غير واجب فالشورى‌ايضاً كذلك .

ثم‌ان هنا امرا آخر لايخلو عن‌ارتباط بالمقام، وهوانه ماهو السر فى‌افتراق اهل السنة الى‌مذاهب اربعة، ولزوم عمل جميع علمائهم فضلا عن عوام المذاهب بفتيا الائمة الاربعة المعروفة، وتركهم الاجتهاد بـأنفسهم فـى احكامهم الدينية، فهل كانت تلك الائمة ولاة الامة وخلائف النبى‌الاعظم من قبل الله تعالى! مع انهم نفوا ذلك فى حق الخلفاء الراشدين، ولماذا حكموا بانسداد باب الاجتهاد فى‌حق غيرهم، ولزمهم التقليـد عنهم، وينقل ان الحسين بن عبد الله البخارى المشتهر بابن سينا اتم جميع العلوم وقد مضى من عمره اربعة عشر سنة وكان يفتى بفتيا ابى‌حنيفة.

وايضا انهم يدعون ان الفرقة الناجية من الفرق الثلاث والسبعين هى اهل السنة والجماعة، فلماذا لايعدكل مذهب من المذاهب فرقة من تلك الفرق، ولم لايجب الحكم ببطلان ثلاث منها وحقية فرقة واحدة، وكيف يدعى‌كون الناجى جميعهم.

ثم ان المتحصل من جميع ماذكرنا انا اذا وقفنا موقف التقابل مع اخواننا من اهل السنة وطالبناهم ببيان مااعتقدوا به وركنوا اليه فى مسئلة الخلافة، واقامة الدليل عليه، فادعوا الخلافة الانتخابية للخلفاء الثلاث وتمسكوا فى‌ذلك بالشورى، كان‌الجواب عنها ماعرفت، واذا طالبونا بمعتقدنا فى‌امر الخلافة واقامة الدليل‌عليه.

فنجيب بأن‌مدعى اهل التشيع هوالخلافة التشريعية الالهية المنصوصة لعدة معينة مخصوصة، اوحى الله بها الى‌رسوله وامره بأبلاغها الى الناس كلهم، وهم الاوصياء الاثنى عشر ائمة اهل البيت، اولهم على بن ابى‌طالب‌وآخرهم‌الحجة‌بن الحسن العسكرى سلام‌الله عليهم اجمعين.

واما الدليل على ذلك فأمور

الاول الحديث المتواتر بين الفريقين عن النبى (ص) وهو قوله (ص): (انى تارك فيكم الثقلين‌كتاب الله وعترتى مان تمسكتم بهما لن تضلوا) ولااشكال

فی انه لم يدع من اهل البيت العلم بالاحكام الالهية والمعارف الدينية غير الائمة الاثنى عشر، بل ولم يكن يعلمها غيرهم الا ماأخذوه عنهم، فيعلم ح كونهم القدر المتيقن من العترة الذين امر النبی (ص) بالتمسك بذيلهم ، فاذا ادعوا الامامة والخلافة من الله والعلم بالاحكام الدينية بالوارثة عن النبی الاعظم ، يكون قبول خلافتهم واخذ العلوم عنهم تمسكاً بهم ، وماموراً به من ناحية النبی الاعظم وهو المطلوب .

الثانی ان ائمة اهل البيت الاثنى عشر قد ادعى كل واحد منهم الامامة الالهية والخلافة للخلق بأمر الله تعالى ونصب رسوله الاعظم، واظهر كل واحد منهم لاثبات مدعاه من المعجزات وخوارق العادات مافيه كفاية للمستكفی وحجة بالغة للمنصف ويعرف ذلك من كان له ادنى تتبع فی اخبارهم وسبر فی تواريخهم واحوالهم ، فراجع كتاب الخرائج والجرائح للمحقق قطب الدين الراوندی، ومدينة المعاجز للفاضل البحرانی ، والبحار للمحدث المجلسی ، وغيرها من كتب الشيعة المؤلفة فی الامامة ، تجد فيها بغيتك فوق ماتطلب وتروم، فقد نقل المحدث المجلسی قده فی البحار من المعجزات الصادرة عن ائمة اهل البيت (ع) مايقرب من الف معجزة

فعن مولانا اميرالمؤمنين(ع)ـ ١٦٦ معجزة فی المج ٤١ من صفحة ١٩١ الى صفحة ٣٥٨ والمج ٤٢ من صفحة ١٧ الى ٥٠ .

وعن الحسن المجتبى (ع) ١١ معجزة فی المج ٤٣ من ص ٣٢٣ الى ٣٣٠

وعن الحسين (ع) ـ ١٦ معجزة فی المجلد ٤٤ ص ١٨٠ الى ١٨٨

وعن السجاد (ع) ٤٩ معجزة فی المجلد ٤٦ ص ٢٠ الى ٤٩

وعن الباقر (ع) ٨٩ معجزة فی المجلد ٤٦ ص ٢٣٣ الى ٢٨٥

وعن الصادق (ع) ٢٢٧ معجزة فی المجلد ٤٧ ص ٦٣ الى ١٦١

وعن الكاظم (ع) ١٠٦ معجزة فی المجلد ٤٨ ص ٢٩ الى ١٠٠

وعن الرضا (ع) ٩٦ معجزة فی المجلد ٤٩ ص ٢٩ الى ٨٢

وعن الجواد (ع) ۴۷ معجزة فى المجلد ۵۰ ص ۳۷ الى ۷۲

وعن الهادى (ع) ۶۵معجزة فى المجلد ۵۰ص۱۲۴الى ۱۸۸

وعن العسكرى(ع) ۸۱معجزة فى المجلد ۵۰ ص۲۴۷الى۳۰۵

وعن الحجة (ع) ۷۰ معجزة فى المجلد ۵۱ ص۲۹۳ الى۳۴۳

فمجموع ما نقل عنهم (ع) فى البحار ۹۹۳ معجزة

ولعل المتتبع فى حالاتهم(ع) والمطلع على اوصافهم واحوالهم يجداضعاف مانقله (ره) ، فالمعجزات عنهم (ع) متواترة وهى من الادلةالقطعية لمدعى النبوة والامامة ، ولوتوهم احد انه لم يعتن بهذه الدعوى اكثرعلماء الاسلام

ولم يقل بذلك منهم الاالبعض ، فكيف يكون دليلا على المطلب؟قلنا كماان عدم اطلاع اكثر الناس فى الدنيا على نبوة نبينا وعدم اعتنائهم وقبولهم دينه و كتابه قصورا اوتقصيرا غيرقادح فى نبوته ، وادلة اثبات صدقة، وكما ان وجود بعض البلدان فى قرب بلدك الذى تسكن فيه، ثابت لك بالتواتر القطعى ، اذالم تكن شاهدته بالعيان، وان جهله اكثر اهل الدنيا و لم يعرفوه ، كما لم يعرفوا بلدك و ذلك لا يضر بتحقق التواتر بالنسبة اليك ، فعدم اطلاع الاكثر على نبوة نبينا و دعواه ومعاجزه ، لا يوهن الحجج البالغة القائمة على صدق دعواه وان كانت نسبة القائلين بنبوته الى غيرهم نسبة الواحدالى الاربع او الخمس او اقل منها ، فكذلك عدم قبول سائرفرق المسلمين امامة الائمة الاثنى عشر غير قادح فيها

فأن المخالفين اما قاصرون واما مقصرون وذلك لايخل بالاستدلال كمالايخفى على من له ادنى تدبروتفكر

وبالجملة ، قدثبت لنا بالتواتر دعوى الامامة من هؤلاء الائمة، وثبت بالتواتر ايضا ظهور معجزات كثيرة بأيديهم ، فهما ثابتتان بالتواتر الاجمالى و بالتواتر المعنوى وكلاهما حجة ولوفرضنا عدم ثبوت التواترفى الامرين بالنسبة الى كل واحد منهم، فلانشك فى تحققه بالنسبة الى بعضهم فى الجملة و ذلك يثبت امامة الجميع

لتصديق كل‌واحد منهم امامة‌جميعهم

الثالث‌الاخبار الكثيرة جدا‌المنقولة بالتواتر بطرق متعددة عن‌النبي الاعظم انه (ص) اخبر بمجيء اثنى عشر خليفة من‌بعده ، وهي واردة بالسنة مختلفة ، ففي طائفة‌كثيرة منها اضافة‌قوله(ص) كلهم من‌قريش

وفي‌عدة اخرى ، ان‌عدتهم عدة نقباء بني‌اسرائيل

وفي‌ثالثة ان‌عدتهم عدة‌الشهور

ورابعة وردت التسمية منه(ص) بأسمائهم وان اولهم على ، ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم على بن الحسين ، ومحمدبن على ، وجعفربن محمد ، و موسى بن جعفر ، وعلى بن موسى ، ومحمدبن على . وعلى بن محمد ، والحسن‌بن على . والخلف الحجة ، وقد نقل في البحار عن النبي (ص) في‌المجلد ۳۶ في باب ۴۱ نصوص الرسول(ص) عليهم عليهم السلام من صفحة ۲۲۶ الى صفحة ۳۷۳ مأتين واربعة (۲۳۴)حديثا اكثرها من‌غيرطريق الائمة (ع) فراجع مأثورات الشيعة‌واهل السنة تجد صدق ما ذكرنا وتذعن بما اذعناه

الرابع انعقاد الاجماع من‌جميع علماء الاسلام على‌انه‌يلزم وجودخليفة للنبي الاعظم (ص) ينوب بعده منابه ، ويتولى مايتولاه ، فافضلية وجوده في مقابل‌عدمه وترك الناس كيفما فعلوا وعاشوا حكم اتفاقي لامعدل عنه ، يحكم به الفريقان من المسلمين سنيهم وشيعيهم . وان ذهب اهل السنة الى ان انتخابه موكول الى‌الناس والشيعة الى لزوم كونه‌من‌الله تعالى، و لوراجعنا الكتاب الكريم والسنة الثابتة عن النبي الاعظم واهل بيته الاطهار ، لوجدناتأييد هذا‌الاجماع وتسديده، فترى‌ان‌الله يقول في‌مقام الاخبارعن‌الامم الماضية:

ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت(۳۶ـ‌النحل)

ومعنى الاية ان‌الله‌لم‌يدع امة من الامم‌بغيررسول يأمرهم‌بعبادة الله‌والخضوع لاوامره ونواهيه ، وينهاهم ويجنبهم عن عبادة الطواغيت الانسية والجنية ، و ان

يكونوا منهم على شق وجانب ، والاية تدل على ان هذا من سنن الله الجارية ، ولافرق في ذلك بين عنوان الرسول والامام، فأنه مع ان الرسل كانوا ائمة ايضا يكون حكم العقل في الاول والاخر مساوياً .

وقال تعالى : وان من امة الاخلافيها نذير (٢٤ـفاطر)

وقال تعالى : ولكل امة رسول (٤٧ ـ يونس)

وقال تعالى : ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين (١٠ـالحجر)

وقال تعالى : انما انت منذر ولكل قوم هاد (٧ ـ الرعد)

وبالجملة يمكن ان يقال ان اى دليل اقاموه على لزوم بعث الرسل الى الامم فهو بعينه دليل مثبت للزوم وجود الامام العدل فيما بين الناس ، ووجوب انتخابه، فأنه كما يحتاج ابلاغ الدين اليهم الى بعث الرسل ويجب ذلك عقلا على الله تعالى فكذلك لايكون بقائه الابالامام العدل، فالرسول علة محدثة للدين، والامام علة مبقية، وكلاهما سيان في لزوم تعيينه على الله

و من هنا يظهر دقيقة اخرى وهى ان ما يستشكله البعض في خاتمية نبوة نبينا(ص) وانه كيف لايبعث الله نبيا بعده، والناس يحتاجون في كل عصر الى من يهديهم ويصلح بالهم، وانه كيف تبقى القوانين الاسلامية الى الابد؟ وكيف تكفى الاحكام المجعولة لعدة من الناس ، يعيشون عيش البدو بالنسبة الى عيش الحضارة في اليوم فضلا عن الازمنة الاتية ؟

وتنحل هذه العويصة بان وجود الامام هو في الحقيقة دوام وجود النبي الاعظم والامامة استمرار مقام النبوة ، فحياة الائمة (ع) عبارة عن مراحل استمرار حياة النبي فهو حى الى يوم القيامة ، ولا معنى لبعث الرسول اللاحق مع فرض حياة المبعوث السابق .

وحيث ان للنبي بوجوده المستمر تسلط على الاحكام والقوانين السماوية ، فله التصرف فيها بزيادة اونقيصة على طبق مايراه من المصلحة بالنسبة الى حال الناس

والحكم الجارى فى حقهم ، فكلما فرض تغير كيفية العيش الانسانى فى التمدن والتكامل والانتقال من البدو الى الحضارة ، فللامام الحاكم عليهم وعلى احكامهم ـ ان يطبق عيشهم على الاحكام الثابتة ، او يطبق الاحكام على حالهم ، نعم لا يكون ذلك الا فى فروع خاصة واحكام جزئية ، لا فى امهات مسائل الدين واصولها

فالاشكالات المتولدة فى عصرنا هذا فى خاتمية نبوة النبى الاعظم او فى قابلية بقاء دينه الى الابد والى يوم القيامة ناشئة من عدم الاعتقاد بالامام ، اوعدم معرفة مقام الامام وشئونه واوصافه .

هذا كله فى تأييد الكتاب الكريم حكم العقل ، واما ما ورد فى المقام من الاخبار ، فهى وان صدرت عن ائمة اهل البيت (ع) والكلام فعلا فى اثبات امامتهم الا انها توافق حكم العقل ، فنذكرها تأييدا مع انا وان لم نقل بامامتهم المنصوصة فلابد من ان نقول بحجية اقوالهم كالرواة الثقات التى يتمسك بأحاديثهم ، وذلك لما عرفت فى توضيح معنى حديث الثقلين ، وبالجملة فقد عقد علماء الشيعة (رض) فى هذا المقام بابا فى كتبهم الحديثية وسموه بباب الاضطرار الى الحجة ، واوردوا فيه احاديث كثيرة تهدى الطالب الى مرماه بدلالة عقله ، وتسلك برواد الحقيقة الى ماقصده بالتمسك بالكتاب فغالب تلك الاخبار فى الحقيقة ارشاد للعقل السليم او تعليم للتمسك بالكتاب الكريم .

فمن ذلك البحث الجدلى الدقيق الذى وقع بين هشام بن الحكم وبين عمرو ابن عبيد فى الامامة وفيه.

قال قلت له الك قلب؟ قال: نعم ـ قلت وماتصنع به؟ قال : اميز به كلماورد على الجوارح قلت: افليس فى هذه الجوارح غنى عن القلب؟قال: لا

قلت وكيف ذلك وهى صحيحة سليمة ؟

قال : يا بنى ان الجوارح اذاشكت فى شيىء شمته اورأته اوذاقته اوسمعته او لمسته ردته الى القلب ، فيتيقن اليقين ويبطل الشك.

فقلت: انما اقام الله القلب لشك الجوارح ؟ قال : نعم

قلت: فلابد من القلب والالم يستقم الجوارح؟ قال : نعم .

قلت : يا ابا مروان ان الله لم يترك جوارحك حتى جعل لها امامايصحح لها الصحيح ويتعين ماشك فيه، ويترك هذا الخلق كلهم فى حيرتهم وشكهم واختلافهم لايقيم لهم امامايردون اليهم شكهم وحيرتهم ويقيم لك لجوارحك ترد اليه حيرتك وشكك ، قال فسكت ولم يقل شيئاً اه) البحار المج ٢٣ص٦ ح١١) (الكافى كتاب الحجة ب ١ ح٢)

وفى خبر حسن بن زياد عن ابيعبدالله قال: لايصلح الناس الابامام ولاتصلح الارض الابذلك (البحار ج ٢٣ ص٢٢ ح٢٣)

وفى عده روايات عن الباقرين : ان الارض لاتبقى الا و منا فيها من يعرف الحق فاذا زاد الناس قال قد زادوا واذا نقصوا منه قال قدنقصوا، ولولاذلك لم يعرف الحق والباطل (ج٢٣ ص٢٦ ح٣٤)

وفى رواية علل الفضل عن الرضا (ع) (ومنها انا لانجد فرقة من الفرق ولاملة من الملل بقوا وعاشوا الابقيم ورئيس لمالابد لهم منه فى امر الدين والدنيا فلم يجز فى حكمة الحكيم ان يترك الخلق مما يعلم انه لابد لهم منه ولاقوام لهم الابه ، فيقاتلون به عدوهم ويقسمون به فيئهم، ويقيم لهم جمعتهم وجماعتهم، ويمنع ظالمهم من مظلومهم اه (ج٢٣ ص٣٢ ح٥٢)

فراجع المجلد ٢٣ من البحار الجديدة وقد نقل المحدث المجلسى قده فى الباب الاول من الكتاب (باب الاضطرار الى الحجة) ١١٦ حديثا كلها يدل على لزوم وجود الامام والحجة بين الناس فى كل عصروزمان .

وراجع الكتاب الثانى من الكافى وهو كتاب الحجة والباب الاول من باب الاضطرار الى الحجة .

ثم انه اذا ثبت عقلا وجوب وجود الامام ، فهل الاصلح لحال الامة والاقرب

الى غرض الله تعالى بالنظر الى قضاوة العقل ، هواحالة انتخابه الى الناس انفسهم اوكون تعيينه من قبل الله وابلاغ رسوله ، لااشكال فى رجحان الثانى ولزومه ، فأن الاحالة الى الناس (مع تسرى الهوى واتباع الشهوات فى امورهم واقتضاء طباع الناس وطينتهم خلاف ماتقتضيه عقولهم واحلامهم) غير سديد ، مع ماتراه اليوم فى الحكومات الانتخـابية من الزيغ والاهواء والانحراف عن الحق ، والظلم والجهالات .

كيف وقد اثبتت التجارب حال الانتخابات البشرية .

ويدل على ذلك ظاهرقوله تعالى :

وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون .

(٣٢/٣١ ـ الزخرف)

فالنبوة رحمة من عندالله على خلقه ونعمة من نعمه وكانهم ارادوا ان يكون قسمتها بأيديهم وباختيارهم ليمنحوها لاحد رجلين من القريتين :

الوليد بن المغيرة من مكة، وابى مسعود الثقفى من الطائف ، فأخبرالله تعالى بان الناس ليس لهم امربعد مشية الله تعالى، كيف ولم يجعل قسمة ارزاقهم بأيديهم بل الله تعالى قسمها بينهم ، فكيف بمقام النبوة والامامة ، فهى امر الهى لاتنالها عقولهم واحلامهم ولاتصل اليها ايديهم ،كما قال تعالى: (وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة (٦٨ ـ القصص)

وقال تعالى: (وماكان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم (٣٦ ـ الاحزاب)

وفى حديث سعدبن عبدالله القمى قال سألت القائم(ع)ـ وهوفى حجر ابيه فقلت اخبرنى يامولاى عن العلة التى تمنع القوم من اختيار امام لانفسهم؟ قال: مصلح اومفسد؟

قلت: مصلح ، قال: هل يجوز ان تقع خيرتهم على المفسد بعد ان لايعلم احد مايخطر ببال غيره من صلاح او فساد ؟ قلت: بلى .

قال: فهي العلة، ايدتها لك ببرهان يقبل ذلك عقلك قلت: نعم.

قال (ع) اخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله ، و انزل عليهم الكتب و ايدهم بالوحي والعصمة اذهم اعلام الامم واهدى ان لو ثبت الاختيار، ومنهم موسى وعيسى هل يجوز مع وفور عقلهما و كمال علمهما اذاهما بالاختيار ان تقع خيرتهما على المنافق وهمايظنان انه مؤمن ؟

قلت: لا قال : فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله و كمال علمه ونزول الوحي عليه اختار من اعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلا ممن لم يشك في ايمانهم واخلاصهم ، فوقعت خيرته على المنافقين ، قال الله تعالى : (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى اتهلكنا بمافعل السفهاء منا (١٥٥- الاعراف).

فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوة على الافسد وهو يظن انه الاصلح دون الافسد علمنا ان لا اختيار لمن لايعلم ماتخفي الصدور وماتكن الضمائر وتنصرف عنه السرائر ، وان لاخطر لاختيار المهاجرين والانصار بعد وقوع خيرة الانبياء على ذى الفساد لما ارادوا اهل الصلاح (البحار الجديدة ج٢٣ ص ٦٨ ح٣)

وفي رواية البزنطي حينما دخل على الرضا (ع) في القادسية فسأله عن الحجة بعده الى ان قال الامام (اماعلمت ان الامام الفرض عليه والواجب من الله اذا خاف الفوت على نفسه ان يحتج في الامام من بعده بحجة معروفة مبينة ان الله يقول (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون ١١٥- التوبة .

ثم انه بعد ثبوت المقدمتين العقليتين (وهما ان وجود الخليفة بعد النبي لازم ، وان اختياره لابد ان يكون من عند الله و بابلاغ النبي (ص) يمكن دعوى القطع بأن المختار للخلافة هم الاوصياء الاثنى عشر ائمة اهل البيت (ع) - اذ عدم تعيين ابي بكر

وعمر وعثمان من عندالله اجماعى بين الفريقين ، ولانجد غير الائمة المذكورين من يدعى الخلافة ويليق بها من جميع الجهات .

ويحصل القطع بالامر بعد مراجعة ماورد فى حقهم من النصوص وماوردفى شؤنهم واوصافهم من الكمال والجدارة لتصدى امورالامة من حيث العلم والفضائل النفسية الخلقية والافعال الحسنة الجميلة .

الخامس انه لااشكال فى كون المقصود من انزال القرآن على النبى الاعظم وامره بتلاوته على الناس وابلاغه للمجامع البشرية ، هو ان تتلقاه المجتمعات بالقبول فتهتدوا ، وان يتفهموا معارفه ويتفقهوا فيه ويتدبروا آياته فيكونوا عالمين بحقائقه ، عاملين بها رافعين من بينهم الاختلاف بتحكيمها ، وهذا اعنى كون الكتاب حاكما بين الناس ورافعا لاختلافهم من اهم ماقصد من انزال الكتب السماوية قال تعالى

١- ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء . (٨٩– النحل)

٢– كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب .

(٢٩ – ص)

٣– هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون . (٢٠- الجاثية)

٤– ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا . (٥٢– الشورى)

٥- فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه (٢١٣ – البقرة)

٦– وماانزلنا عليك الكتاب الالتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٦٤- النحل)

٧– لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط . (٢٥ الحديد)

٨– انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس فيما اراك الله .

(١٠٥ - النساء)

ثم لا اشكال ايضافي ان ترك الكتاب فيما بين الناس وايكال الامر في تعليمه وتعلمه ونشره والعمل به الى نفس المجتمع ، وعدم تعيين من يعلمه ويدرك معارفه ويتعهد ابلاغه ، اضاعة له وقصور ونقض غرض فانه بنفسه لاينزل في المجتمع منزلة ولا يأخذ فيهم موطئه ولا يزيل الاختلاف عنهم ، ولا يرفع التشتت والتفرقة من بينهم ، بل هو حمال ذو وجوه ، قابل لتحمل المعاني المختلفة ، الاترى انه يتمسك كل طائفة في اثبات مدعاه بآية فيأخذها حجة ودليلا ، وكل حزب بمالديهم فرحون ولعل الكل على خلاف الحق ، قال تعالى :

منه آيات محكمات واخر متشابهات ، فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنه وابتغاء تأويله .

وعن على (ع) هذا القرآن انما هو خط مسطور بين الدفتين لاينطق بلسان ، ولا بد من ترجمان ، وانما ينطق عنه الرجال . (نهج خ ١٢٥)

وقال (ع) : فجائهم بتصديق الذي بين يديه ، والنور المقتدى به ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن اخبركم عنه (الخ) نهج البلاغه خ١٤٨)

وقال (ع) لابن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج لاتخاصمهم بالقرآن فانه حمال ذووجوه تقول ويقولون ، ولكن حاججهم بالسنة فأنهم لن يجدوا عنها محيصا (نهج وصه٧٧»

لايقال مقتضى هذا البيان عدم جواز التمسك بالقرآن فانه حمال ذو وجوه كما يظهر من نهى على (ع) ـ من التمسك به ، مع انه كتاب انزل دليلا على كل حى وتبيانا لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين

فأنا نقول للقرآن نصوص وظواهر ومتشابهات من حيث المفهوم والمصداق لاريب في جواز التمسك بنصوصه لمن استجمع شرائط الاستفادة منه بلا مراجعة احد اودليل آخر ، فان النص هو الظاهر الذي لايحتمل الخلاف فيه ، وليس ذلك سببا للاختلاف ايضا ، واما الظواهر فيجوز التمسك بها مع الفحص عن المعارض

وهى ايضا لاتكون على الغالب منشأ للنزاع ولامدركا لكلا المتنازعين و ان امكن احيانا ان يأوله كل من المتخالفين الى مارامه ويجر كل منهما النار الى قرصه، فعلم ان منشأ الاختلاف امران احدهما وجود المتشابه فى القرآن وكونه حمالا ذا وجوه يفسره هذا بما ينفعه وهذا بما يفيده

والثانى انه لاجل عمق باطنه وبعد مفهومه ومرماه عن ان تناله عقول العامة لعدم كونه مختصا بشخص خاص ولازمان معين ولا مكان محدود، فلا محالة يقع الاختلاف فى ادراك مفاهيمه، فيدرك هذا معنى و ذاك معنى آخر، و يستفيد هذا البعض غير مايستفيده البعض الاخر، فلايكون رافعا للخلاف، وهذا مما شاهدناه الى الان ونشاهده بالوجدان، ويظهر بعض ما ذكرناه من قوله تعالى فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله. فالاية تشهد بوقوع التمسك بالمتشابه طلبا للافتنان ومن مصاديقه استدلال كل من الاحزاب الباطلة بشىء منه على مقصده .

ففى الكافى فى صحيحة منصور بن حازم عن ابى عبدالله (ع) بعد أن عرض له (ع) شيئا من معرفة الله ومعرفة رضاه وسخطه وقوله (ع) - صدقت . قال وقلت للناس اليس تعلمون ان رسول الله (ص) كان الحجة على خلقه ؟ قالوا : بلى، قلت، فحين مضى رسول الله (ص) من كان الحجة لله على خلقه ؟ قالوا : القرآن فنظرت فى القرآن فأذا هو يخاصم به المرجىء والقدرى والزنديق الذى لايومن به حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت ان القرآن لايكون حجة الابقيم، فما قال فيه من شىء كان حقا ... الى ان قال فاشهد ان عليا كان قيم القرآن وكانت طاعته مفترضة وكان الحجة على الناس بعد رسول الله، وان ما قال فى القرآن فهو حق (الكافى ج۱ - باب الاضطرار الى الحجة ح۲) (ئل ج۱۸ ابواب صفات القاضى ب۱۳ ح۱) (علل الشرايع ج۱ ص ۱۸۳) رجال الكشى

وفى خبر يونس بن يعقوب . قال كنت عند ابى عبد الله (ع) فورد عليه رجل

من اهل الشام ، ثم ذكرحديث مناظرته مع هشام بن الحكم . قال‌له الصادق(ع) كلم هذا الغلام (هشاماً) فقال لهشام سلنى: قال: ياهذا اربك انظر لخلقه ، ام خلقه لانفسهم ؟

فقال الشامى: بل‌ربى انظرلخلقه، قال: ففعل بنظره لهم ماذا ؟ قال:اقام لهم حجة ودليلا كيلا يتشتتوا اويختلفوا ، يتألفهم ويقيم اودهم ويخبرهم بفرض ربهم قال : فمن هو ؟ قال‌رسول‌الله (ص) قال هشام فبعد رسول الله؟ قال الكتاب والسنة قال‌هشام فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة فى‌رفع الاختلاف عنا

قال الشامى نعم ، قال فلم اختلفنا انا و انت وصرت الينا من الشام فى مخالفتنا اياك ؟ قال فسكت الشامى فقال ابوعبدالله (ع) - للشامى مالك لاتتكلم قال الشامى ان قلت لم نختلف كذبت ، و ان قلت ان الكتاب و السنة يرفعان الاختلاف ابطلت لانهما يحتملان الوجوه ، الا ان لى عليه هذه الحجة فقال (ع) سله تجده مليا ، فسئل مثل ذلك الى ان قال فهل‌اقام لهم الحجة؟ قال‌هشام‌فى‌وقت رسول‌الله (ص) اوالساعة ؟

قال الشامى فى وقت رسول الله (ص) رسول الله (ص) ، والساعة من ؟فقال هشام هذا القاعد الذى تشد اليه الرحال .... سله عما بدالك (الكافى ج١ - باب الاضطرارالى‌الحجة ج ٣) (ئل ج١٨ ابواب صفات القاضى‌ب١٣ ح٢)

فتحصل من تينك المقدمتين ان القرآن من حيث اشتماله على المتشابهات لايكون رافعا للخلاف رأسا وان‌كان‌كذلك فى‌الجملة ، اذا فاللازم بحكم العقل بعد ارتحال النبى (ص) وجود فرد فى كل زمان عالم بجميع مفاهيمه و استخراج جميع‌الاحكام‌اللازمة للامم، من متنه‌وبطنه قادرعلى ارجاع متشابهاته الى‌محكماته عادل فى ذاته ، قوى فى‌الوفاء بما عليه من التكليف فى تفسيره وتعليمه لئلا يكون للناس على‌الله حجة بعد الرسل

ولايقول احد ربنالولا ارسلت الينا رسولا منذرا وماأقمت‌لناعلماهاديا فنتبع

آياتك من قبل ان نذل ونخزى ، ومن الواضح انه لايكون الجاهل والفاسق والعاجز جديراً بالنيابة عن النبى الاعظم .

ثم ان تعيين ذاك الشخص انكان موكولا الى اختيار الناس جاء فيه ماسمعت فنستكشف انه قد عينه النبى (ص) – ، وحيث انه قام الاجماع من جميع المسلمين على عدم تعيين الخلفاء الثلاثة ، فلاجرم ينحصر فى الائمة الاثنى عشر (ع) ، لعدم دعوى احد غيرهم ذلك ، وعدم اهليته كذلك ، وليعلم ايضا ان لزوم تعيين الخليفة العالم بالقرآن المبين له كما عرفت امر ، وطاعة الامة والانقياد له والاخذ منه امر آخر ، والكلام فعلا فى اثبات ان الله قد انجز ماهو مقتضى احسانه وانعامه ، ونصب من يجب نصبه وتعيينه ، فاعلن برهانه وبلغ حجته .

واما رجوع الناس اليهم ، فهو مما امرهم به وحثهم عليه ، لكنه موكول الى اختيار الناس ولا اكراه فى ذلك ولا اجبار .

فمسئلة اتمام الحجة على الخلق ولزوم تحققه من ناحية الله تعالى بنصب الامام العدل على الامم بحيث يلزم من الاخلال به صدور القبيح من الحكيم تعالى ، هى المبحوث عنها فى المقام ، وهى المدعى ثبوتها وتحققها من قبل الله .

واما مسئلة انه هل تحقق رجوع الخلق الى المنصوب من قبله ، اوانه هل يجب على الله ان يجبرهم على الطاعة ام لايجب ؟ فهى امر لسنا بصدد بيانه ، مع انه من الواضح عدم تحقق كلا الامرين .

السادس: انه لااشكال فى ان الله تعالى شأنه شرع لكل قوم وامة من اول ازمنة استعدادهم لتحمل الدين والشريعة ، واقتضاء حالهم ذلك دينا وشريعة يشتمل على اصول اعتقادية وفروع عملية ومناهج اخلاقية ، نظمها وشرعها عن علم بحال عباده واحاطة بصلاحهم وفسادهم ، فاوجب ماحسن ايجابه وحرم ماصلح تحريمه .

ثم انزلها على انبيائه عصرا بعد عصر وبرهة بعد برهة الى ان انتهى الامر الى شريعة محمد (ص) ، فانزلها اليه فى مدة معينة وهى الوقت الفاصل بين مبعثه

ورحلته، فامره بابلاغها الى الناس فبلغ ماامر به ربه واتعب فى ذلك نفسه الزكية وتحمل فى طريقة الجهد الجهيد ، وجاهد فى ابلاغه الى العباد حق الجهاد ، واضحى فى سبيله بنفسه واسرته ونفوس قوم من المؤمنين حتى اشاد بنيانه واوضح برهانه واسس اساسه واوقد نبراسه ، فبلغ رسالات ربه كماامره لامتوانياً ولامقصرا .

ثم انه قد اخبر مرارا بان دينه وشرعه ، شريعة الهية عالمية خاتمة الشرايع قيمة لاتنسخ باقية لاتزول تستمر الى يوم القيامة جاء بها من عندالله للخلق كلهم ، ابيضهم واسودهم عربيهم واعجميهم كما قال تعالى:

تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا (١ - الفرقان)

وقد تعرضنا فيما سبق لكون شريعة محمد(ص) عامة للناس كلهم وللاعصار كلها الى ان تقوم الساعة ، ثم انه بعد ماجائه نصر من الله وفتح ورأى الناس يدخلون فى دين الله افواجا سبح بحمد ربه وقضى بامره نحبه ، فانتقل الى دار البقاء وفاز بشرف اللقاء .

وح فيبقى هناسؤال نظيرما ذكرناه فى الدليل السابق ، وهوانه هل يجب عقلا ولطفا على منزل الشريعة وشارعها وعلى رسوله الصادع لتبليغها ونشرها . ان ينصبا ويعينا شخصا لرعايتها وحفظها عن الزيادة والنقصان والاندراس والنسيان وابلاغها الجاهلين اويجوز ترك ذلك واحالة الامر الى الناس انفسهم

فان قال الخصم لايجب ذلك قلنا فلم وجب تشريعها وان قال باللزوم والوجوب سئلناهم عمن عينه الله ونصبه ، والاجماع منعقد بين المسلمين على عدم تعيين الخلفاء الثلاثة كما عرفت ، فوجب كونه الائمة الاثنى عشر(ع) لما عرفت .

خاتمة . اذا فرضنا بعد ارتحال النبى الاعظم مجتمعا عظيما اومملكة ليس لهم دين ولا رئيس قائم بالامر ، فاردنا اقامة الدولة الاسلامية والحكومة الدينية الاسلامية الالهية، فكيف يكون حال هذا المجتمع فى شتى الابعاد حياتهم ومآل عيشهم وعاقبة امرهم اذا عملنا فيهم بما يعتقده اهل السنة على مافهموه من الكتاب والسنة ، وكيف

الحال اذاسبكناذاك المجتمع فى قالب معتقدات الشيعة وصورناهم على طبق مافهموه من كتاب الله واحاديث المعصومين من اهل البيت .

فنقول اما على الاول فتجتمع عدة منهم قليلة او كثيرة تحت سقيف فينتخبون واحدامنهم بخلافة النبى الاقدس ، وزعامة الامة ولايشترط فى ذلك حضور جميع الخواص ورجال العلم والدراية من الامة ، فضلاعن حضور الجميع ، بل ولايشترط اطلاعهم على ذلك ولارضاهم به ، فاذا وقعت البيعة لمن انتخبوه صارهو امير المؤمنين والخليفة فى الارضين وامام الامة ، فوجبت على الجميع طاعته وحرمت عليهم مخالفته فصار مصداقا لاولى الامر وشمله قوله تعالى (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامرمنكم) فيشرع فى تدبير امر الامة وتعليمهم الكتاب والحكمة ، وحقائق الدين ومعارف الاسلام ، فاذا مات وارتحل انتخبوا شخصا آخر من بينهم بما يشبه الانتخاب الاول ، ولو اتفق انحراف الخليفة عن الحق فى مورد اقامته الامة وامرته بالمعروف ونهته عن المنكر ولوجهل شيئاسئلهم عنه وان جهلوه عطلوه ، وكذلك ينتخب الثالث والرابع ولا يزال امر الامة على هذا المنوال بخير وصلاح ! ! الى ان ينقضى عمر الدنيا .

هذاما يتصوره من النظم الاتم الاكمل فى الاسلام على رأى اخواننا اهل السنة وهذامنتهى غرض الله من خلق الدنيا وخلق الانسان وانزال الكتب والقرآن ونهاية امنية نبيه الاعظم من دعوته وابلاغ دينه !!

۱ـ وليس لاحد ان يستشكل فى امر تلك الشورى وانه لم يحضرها الاقليل

۲ـ وانه لماذا صار مقتضاها الخلافة الدائمية دون الموقتة.

۳ـ وانه لماذا لايختل امر الانتخاب ولو اعترف مؤسسها ان تلك البيعة كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها.

۴ـ وانه لماذالايضر بصحته ولوقال نفس الخليفة المنتخب اقيلونى ولست بخيركم .

٥-وانه‌لماذا وجبت طاعته؟ولو كان فيمابين‌الامة من هواعلم منه‌وافضل، بل ولوكان فيهم من هومساوله ، قال‌القاضى البيضاوى فى‌ذيل قوله‌تعالى: (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى‌الامرمنكم(٥١ النساء) .

يريدبهم امراء المسلمين فى‌عهد الرسول وبعده ، ويندرج فيهم الخلفاء و القضاة وامراء السرية ، امرالناس بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل ، تنبيها على ان وجوب طاعتهم‌مادامو‌ا على‌الحق .

٦- وانه‌اذاكان‌ارسال النبى(ص) وانزال القرآن لاجل‌تكامل النفوس البشرية وتعاليها ونيلها اعلى مراتب الرقى الانسانى المتصور فى‌العلم والاخلاق الفاضلة والاعمال فكيف يحصل‌هذا الغرض اذاكان القيم بامرالامة وخليفة‌النبى رجلامنهم ومثلهم، اذااعوج اقاموه ، واذااخطأ نبهوه، واذاعصى لم‌يطيعوه .

٧- وانه‌اذاكثر المسلمون فانتخب اهل كل ناحية‌خليفة بالشورى ، فهل تبطل خلافة الجميع اوتصح خلافة‌الجميع اوتصح خلافة واحدمنهم معين‌او غيرمعين؟ وايضالوخالف الخلفاء بعضهم مع‌بعض، فهل‌يكون الجميع محقين اومبطلين وماذا يكون حال‌الامة وماهو تكليفهم ؟

٨- و انه كيف تدوم وتستمر هذه الكيفية (بعد فرض عدم وجود امام عالم بجميع‌الاحكام معصوم عن‌الخطاء والزلل فيمابينهم) مع‌كون الانسان جاهلا بنفسه لولاالتعليم والالهام، مائلا بالطبع الى‌الهوى ، غالباعليه حب‌الشهوة والرئاسة‌تاركا لمايصعب عليه من‌الطاعة والعبادة ، فيؤل الامر بعد مدة قليلة او طويلة الى وقوع الاختلاف فيهم والمنازعة والتحارب والقتال بينهم ، وغلبة الشهوات عليهم‌فتعود الجاهلية‌الجهلاء والحكومة الشيطانية والدولة الابليسية .

واما على‌الثانى: فهوعلى قسمين فتارة يفرض الكلام فيما اذا كان الامام- المنصوب‌ظاهرا بين‌الناس‌غيرغائب ولامستور، واخرى‌فيما اذاكان‌مستورا مغمورا وهوحال الغيبة .

اما على الاول فحيث عرفت ان الرسول الاعظم على مذهب الشيعة وان مات وارتحل الى دار البقاء بما انه كان رسولا من الله الى الناس منبأ عن الله دينه واحكامه، علة محدثة للقوانين السماوية الالهية، فهو بهذه العناوين غير باق بعد موته اذ لا حاجة الى احداث دين جديد فى كل سنة او عصر مثلا، الا انه بعنوان انه امام على الامة ولى لهم حاكم عليهم مدبر لامورهم حافظ لشريعتهم آمر ناه فيما بينهم لم يمت ولا يموت ابدا، بل هو باق بوجوده التبديلى التنزيلى وهو وجود الائمة من بعده الى آخر الدنيا بل لو كان فى الدنيا اثنان فهو احدهما ولو مات احدهما قبل الاخر فهو ثانيهما

ولعل الى هذا يشير ماورد فى بعض الاخبار من قولهم (اولنا محمد و آخرنا محمد واوسطنا محمد و كلنا محمد) اى محمد وجميع الائمة كأنهم خليفة وامام واحد باق الى يوم القيامة وفى بعض الادعية الواردة فى كيفية خطاب الناس للحجة المنتظر (عارف باولاكم واخريكم) اى نعرف بتعليمكم ان اولكم محمد وهو باق بتبادل وجوداته المختلفة تشخصا وزمانا المتماثلة علماً وحكمة وسلطانا وحكومة الى يوم القيامة ويوم ينفخ فى الصور النفخة الاولى (نعم هنا احتمال آخر وهو انه يمكن ان يجىء على الانسان عصر بعد حكومة الائمة وانقضاء زمان الحجة ،يرغب فيه الناس للفجور ويتجدد هنالك جاهلية ثالثة وتكون اعظم وافحش من الجاهلية الموجودة والماضية ولعل قوله تعالى :

ولاتبرجن تبرج الجاهلية الاولى ، يوهم وجود اقسام من الجاهلية ، اولاها هى التى كانت قبل الاسلام . والثانية زماننا هذا ومايليه من الازمنة . والثالثة هى الزمان بعد ظهور الحجة وبعد ان ملاء الارض قسطا وعدلا، وعليه فاذا كان الكتاب الذى يجب العمل به هو القرآن ، والدين هو الاسلام ، والمجرى لهما بين الناس والحاكم فيهم هو محمد (ص)

فماظنك بحال هذا المجتمع، فالانسان الالهى الذى اوجد المجتمع الاسلامى فى المدينة المنورة فى مدة عشر سنين بتلك الصورة المعجبة ، مـن الوحدة

الاجتماعية والالفة الباطنية والظاهرية ، فنفخ فيهم روح العلم والحكمة والايمان والعمل حتى رقوا ففاقوا ، وعملوا ففازوا ، وظفروا فراقوا ، - لومكث فيهم مآت من الاعوام وآلاف من السنين ، فكيفما يكون حالهم ؟ وهذا هو الامنية العظيمة اقصى الامانى ، والغرض النهائى اتم الاغراض للشيعة الامامية .

ثم انك لن تنسى فى هذا المقام بحول الله وقوته ، ماشرنا اليه سابقا من اندفاع عويصة اشكلت على عدة من المسلمين وغيرهم ، بانه ماهو السر فى كون النبى الاعظم خاتما للانبياء، وماهى العلة فى كون الشريعة الاسلامية آخر الشرايع، اذ قد عرفت ح انه بعد فرض بقاء النبى الاعظم بوجوده التنزيلى الى آخر الدنيا، فالنبى المبعوث حى غير ميت ، ولامعنى لبعث نبى اخر ، وعرفت ايضا انه كماان للنبى بوجوده المستمر الدائم ، حكومة على الامة جميعا ، فكذلك له حكومة على الاحكام الاسلامية فله التصرف فيها بزيادة ونقصان بمايراه مصلحة، وقد حكمه تعالى فيها وامضى ماتصرف بعد تصرفه فى موارد كثيرة ، فلامقتضى ايضا لانزال دين جديد وتشريع شريعة اخرى كما هو واضح .

واما على الثالث . وهو فرض الكلام فى امثال زماننا هذا وهو زمان غيبة الحجة والعجز عن الوصول اليه، فالظاهر لزوم ان يعمل فيه بالشورى كما اختارها اهل السنة، لكنها بنحو آخر وطرز مغاير لعملهم، وهو تشكيل هيئة رئيسة للمسلمين، ولجنة دينية اسلامية تتركب من عدة من فقهاء الشريعة، وعدة اخرى من علماء الاقتصاد ومعرفة احوال المجامع ومهرة فن السياسة، وعلماء الطب وغيرهم ، وصدور فتوى الفقهاء بالنسبة الى كل موضوع من الموضوعات مع تبادل البحث فيما بينهم ، ونظارة من علماء ذاك الموضوع واشراف من المتخصصين فيه، فيصدر للمجتمع كلهم كتاب دينى عملى واحد ورسالة فتوائية واحدة، ثم يؤسس بيت واحد لاموال الامام ، وبيت لاموال المسلمين ، ويكون كلا المالين بيد عدة رجال قيمة كافلة تحت اشراف اللجنة، حتى تصرف الاموال فى مصارفها الشرعية الدينية ، ويكون

جميع افراد اللجنة الرئيسة والعاملين على البيوت من مرتزقة المالين، هذا ماعندنا مما نراه صلاحا للمجتمعات الاسلامية والعلم عند الله ورسوله والائمة (ع) .

ثم انه لايخفى عليك ان الركن الاصيل فى الترسيم الذى رسمناه لك تبيانا لمعتقد الشيعة فى الخلافة والامامة يرجع الى امور اربعة:

الله ، الانسان ، الغرض ، الوسيلة ، والاول هو الذات المستجمع لجميع الصفات الكمالية الموجد من سواه من الممكنات .

والثانى هو افضل ماخلقه وبرئه وانشأه وابدعه ، (ولا كـلام بالفعل فى غير الانسان) قال تعالى:

ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا . (۷۰ الاسراء)

والثالث . هو الدين المشتمل على الاصول والفروع والشريعة التى شرعها الله لاصلاح حال العباد .

والرابع . هو الانسان الكامل الراقى القابل لتلقى الدين من الله واخذه من ناحيته وايصاله الى الخلق ، اعنى الواسطة فى التشريع، وهو النبى الاعظم وسائر الانبياء والمرسلين ، فوقع الخلاف بين الشيعة الامامية واخوانهم اهـل السنة فى هذا المقام فى امرين .

الاول فى وجوب دوام الوسيلة وجوداً بنيابة الخلفـاء عنه بعده ، متصفين باوصافه ، متأد بين بآدابه ، فالشيعة تدعى وجوب نصب الخليفة من عندالله ، لان الغرض من انزال الكتاب وتشريع الشريعة ان يتلقاها الناس بالقبول ، ويعملوا بها وهذا الغرض ليس مختصا بالموجودين بل باق الى الابد قال تعالى :

هو الذى ارسله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

وكيف يبقى الدين ويظهر على الاديان ويكون حاكما على النفوس والقلوب مع عدم وجود من يراعيه ويحفظه ويراقبه ، مع وضوح ان القوانين المجعولة

للاجتماعات اذاكانت على خلاف الاهواء والشهوات، تكون سريعة الزوال وان كانت على وفق العقل والحكمة ، فالغرض الاصيل الذى هو بقاء وجود الشريعة معمولا بها بين الناس لايتحصل ولا يتحقق الا براع وحافظ عالم بها مهيمن عليها والافيتسرع اليهاالاختلاف ويغلبها النسيان والاندراس، كما تشهدبه التجارب.

واما اهل السنة فيدعون كفاية ان يكلها الصادع لها الى الامة لينتخبوا من بينهم من يحفظها، ولواخطأ فى فهمه وحفظه نبهوه ولواعوج اقاموه ، وانت خبير بان ملاحظة الغرض فى تشريع الشرايع وانكانت تغنى عن اقامة الدليل على المطلب الاانا اقمنا الدليل عليه فيما سبق .

الثانى فى شرائط الخلفاء والوسائل النائبة عن الوسيلة الاولى، فالشيعة تدعى وجوب اتصافهم بمايجب اتصاف النبى الاعظم به من العدالة والعصمة ونحوذلك فكماانه قد صدرمن العادل فى جميع شئونه وافعاله ، شريعة عادلة فى جميع اصولها وفروعها، فتلقاهاعادل من ربه وبلغها الى خلقه ليتكاملوا ويصيروا عادلين ، فكذلك يجب عدالة الخلفاء الحافظين لها، واهل السنة يكتفون بانتخاب احدمن الامة لحفظها ويوجبون طاعته على الخلق فيمالم يخالف الكتاب والسنة ، ولا يوجبونها فيما عصى وخالف، وعلى ذلك فالاولى ان نشير الى بعض شرائط الامام المنصوب مع رعاية الاختصار وتقديم ماهوالاهم فالاهم فنقول :

الشرط الاول العدالة ، ويمكن التعبير عنها ههنابالعصمة ، فانك اذا عرفت العلة الغائية من تشريع الدين وهى هداية الناس الى كمالهم اللائق ، واجرائهم فى مسير العدالة فى شتى جهاتها ليكونوا امة وسطا لاانحراف فيهم عن سبيل الفطرة والدين، - وعرفت انها لايتحقق الابامام عادل، فلابدان يراد بالعدالة هنا المصونية عن جميع اقسام الاعوجاج والانحراف، سواء اكان فى مرحلة اخذ الشريعة وتلقيها من المبدأ الاعلى ، ام فى مرحلة ابلاغها الى الناس ، ام فى العمل بنفسه بها، وسواء اكان بنحو العمد ام الخطاء والاشتباه ، وهذا المعنى هو الذى يسمى فى علم الكلام

بالعصمة ، وهو الذى يحكم به العقل ويؤيده النقل .

اما العقل. فلحكمه البات القاطع بانه لو كذب الوسيلة الرابطة بين الخالق وخلقه في الاحكام ، فاخبر بوجوب ماحرمه الله أو حرمة ماأوجبه الله،أواخبر بخلاف الواقع خطاء او نسيانا ، يترتب عليه مفسدة عظيمة وضرر كبير ، بانحراف النفوس عن الحق ووقوعهم فى المفاسد أوفوت المصالح الملزمة عنهم ، ولا يليق هذا لمن عينه الاله العدل، والالزم اما عجزه أوجهله وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فالعدالة بالمعنى الذى ذكرناه مع ملاحظة حكمة المشرع عقلى بلاترديد .

ويدل عليها فى الجملة قوله تعالى .

عالم الغيب فلايظهر على غيبه احداً الامن ارتضى من رسول فأنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ليعلم انقدابلغوا رسالات ربهم واحاط بمالديهم واحصى كل شيىء عددا . (۲۷-۲۸ ـ الجن)

فان الظاهر ان المراد بالرسول هنا هوالنبى المبعوث على الأمة ، والرصد الحرس الموكلون عليه من الملائكة ليحفظوه عن الخطأ والغفلة والنسيان وغيرها فى مقام اخذ الاحكام من الله ، ومقام تبليغها الى الناس .

فهذه الاية تدل على عصمة الانبياء فى الاحكام ، وتشمل الامام ملاكا وان لم يشملها لفظا .

واما العصمة فى العمل فهى ايضا مما يدل عليه العقل لقضاء الوجدان بان من لم يعمل على طبق ماامر اونهى ، لم يكن امره ونهيه مؤثرا نافذا ، وان معصيته يسقطه فى الانظار عن العظمة ويحقره ويهونه ، وكل ذلك نقض للغرض ولعب وعبث لايصدر من الحكيم تعالى .

الشرط الثانى. مراعاته حقوق الناس على السواء وشدة مواظبته على احقاقها واجرائها لئلا تفوت وتضيع ، ومرجع هذا الشرط الى العدل فى معاملة الناس فى مقابل الشرط الاول الذى هو عدله فى تلقى الاحكام و ابلاغها والعمل بها ، وان شئت

عبرت عن ذلك بالعدل فى الاحكام ، وعن هذا بالعدل فى الموضوعات ، وافردنا هذا بالشرطية لشدة اهميته وقيام نظم الاجتماع به واختلاله بتضييعه ، كماهو المحسوس بالعيان والمعلوم لدى الوجدان ، وهل حصل الاختلاف بين الامة الاسلامية واختلف امورهم ، وحدث الجور والفساد فيهم الالعدم رعاية بعضهم حق البعض ، وتركهم القيام بالوظائف والحقوق ، ويشهد على هذا الشرط اولا قوله تعالى

والحافظون لحدود الله (١١١ التوبة)

ففى موثقة سماعة عن ابيعبدالله قال : لقى عباد البصرى على بن الحسين (ع) فى طريق مكة ، فقال له ياعلى بن الحسين (ع) تركت الجهاد وصعوبته واقبلت على الحج ولينته ان الله يقول :

ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون الخ .

فقال له على بن الحسين اتم الاية فقال التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين (١١١- التوبة)

فقال على (ع) اذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم ، فالجهاد معهم افضل من الحج (نور الثقلين ج٢ ص٢٧٢)

ولايخفى عليك ان الرجل المعترض لعلى بن الحسين سواء اكان هو الزهرى المعروف الذى كان من عمال بنى امية ، كما فى بعض الروايات ، او عباد بن كثير البصرى عابد اهل البصرة والصوفى العامى المرائى كما فى هذه الرواية ، لم يكن يدعو الامام (ع) الاالى الجهاد مع الكفار تحت راية بنى امية ، وقبول خلافتهم وولايتهم على الامة الاسلامية ، و تصديهم لامر الجهاد الابتدائى ، فاراد الامام ان ينبهه على امرهام ، من الشروط الركنية لمتصدى امر الجهاد ،

فظهر ان الامام فى مقام بيان اوصاف خليفة المسلمين او من نصبه الخليفة

للجهادوالاوصاف المذكورة على النحو الكامل لايكون الافى الامام العدل المنصوب وح فقوله تعالى: والحافظون لحدود الله بيان للشرط الرابع الذى ذكرناه وفى تفسير على بن ابراهيم (قال : نزلت فى الائمة)

والمرادبالحدود هنا احكام الافعال الاولية الاستقلالية والحدودوالتعزيرات الجزائية، وتوضيح ذلك انه ورد فى عدةروايات معتبرة ان النبى(ص)قال(ان الله قد جعل لكل شىء حدأوجعل لمن تعدى ذلك الحد حدا)الوسائل ابواب مقدمات الحدود ب۳ و۴ ج۱۸

والشىء هنا عبارة عن الافعال القلبية والجوارحية الصادرة من كل انسان ، سواء اكان الفعل مستقلا غيرمتعد من صاحبه الى غيره كالوضوء والصلاة والصيام والحج ونحوها ، ام كان متعديا الى الغيروله مساس به ، كالاطعام والاكساء والزكاة والجهاد والولاية والنكاح والطلاق وغيرها

فلكل منها حد اى حكم مجعول من قبل الله تعالى ، فهنا حد الهى مجعول بالاستقلال و لنفسها ، و حد الهى مجعول لحفظ ذاك الحد ، فيكون حفظ الحدود باقسامهاومنها الحدودوالحقوق المربوطة بالناس من اوصاف المؤمن المجاهد المتصف بتلك الاوصاف ، و يكون حفظ الجميع من شرائط الامام والخليفة

وثانياً قول على (ع) : وليكن احب الامور اليك اوسطها فى الحق واعمها فى العدل واجمعها لرضى الرعية (كتابه الى الاشتر۵۳ ص۴۲۹)

و قوله (ع) : واعلم ان الرعية طبقات ، الجنود و الكتاب ، والقضاة ، والعمال ، واهل الجزية ، واهل الخراج ، والتجار ، و اهل الصناعات ، والطبقة السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة، وكل قد سمى الله له سهمه ، ووضع على حده فريضة فى كتابه اوسنة نبيه (ص) ، عهدا منه عندنا محفوظا . (ص۴۳۱)

وثالثا قوله (ع) : وان افضل قرة عين الولاة استقامة العدل فى البلادوظهور مودة الرعية (كتابه الى الاشتر۵۳ ص۴۳۳) آخرها

ورابعا قوله (ع): ثم انظر فى امور عمالك فاستعملهم اختبارا ولاتولهم محاباة واثرة فانهما جماع من شعب الجور والخيانة و ... ثم اسبغ عليهم الارزاق . . . فانه غنى لهم عن تناول ماتحت ايديهم (ص٤٣٥)

وخامسا قوله (ع) : ثم الله الله فى الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم، واحفظ لله مااستحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسما من غلات صوافى الاسلام فى كل بلد (ص٤٣٨)

وسادسا قوله (ع) : (فى كتاب له(٥٩) الى الاسود بن قطبة صاحب جند حلوان) اما بعد فان الوالى اذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرا من العدل ، فليكن امر الناس عندك فى الحق سواء فانه ليس فى الجور عوض من العدل

الشرط الثالث : ان يكون عالما بجميع ما يحتاج اليه الامة المعاصرة له من الاحكام الدينية والاصول و الفروع المذهبية ، بل و كل موضوع يكون لـه مساس بحال الاحكام ، اواتفق توقف امر من الامور على العلم به ، وان شئت فعبر عن هذا الشرط بالعلم بالاحكام وما يتبعها ، ويترتب على هذا الشرط و الشرط الاول حجية السنة الصادرة عن النبى و الائمة (ع) بمعناها المصطلح عليه بين اهل الاصول ، وهى اقوالهم وكتبهم ، واشاراتهم ، وافعالهم ، و تقاريرهم ، اى سكوتهم عند سماع قول اورؤية عمل ، فيدل على صحته وجوازه مثلا، وكل ذلك مع شرائط خاصة مذكورة فى محلها

الشرط الرابع . معرفته بجميع الفنون التى يكون له التصدى بها او لها مساس بوظيفته فيجب ان يكون مطلعا على جميع مايجب الاطلاع عليه لمدير ومدبر ورجل ممارس لامر السياسة وتدبير امور المملكة ، فان الامام كما انه معلم لاصول الدين وفروعه ، فهو متصد للقضـاء بين الناس ، وجبايـة الخراج والزكوات والاخماس ، وتدبير امر الجند ، والمحاربة مع الاعداء ، وغير ذلك من العناوين والشئون وان شئت فعبر عن هذا الشرط بمعرفة الفنون او العلم بالموضوعات ،

واما الدليل على الشرطين اى علمه بالاحكام والعلم بالموضوعات بمعنى معرفة الفنون فعدة امور .

الاول ان هذه القضية من القضايا التى قياساتها معها، فان تعيين الخليفة لجميع الامة ونصب الامام لهداية جميع الناس وتعليمهم وتربيتهم ، لايكون الامع علمه بجميع الاحكام الدينية التى تحتاج اليها الامة ، وحذقه وتدربه فى جميع الفنون التى يتصدى بها ويقوم بامرها ، وهؤلاء خلفاء النبى الاعظم حيث ارسله الله هاديا للناس ونورا وسراجا منيرا وبشيرا ونذيرا وحجة فهل يمكن القول بجهله بالاحكام وعجزه عن قضاء الحوائج الدينية واصلاح الشئون الدنيوية ؟

الثانى الآيات الدالة على ان الكتاب الكريم فيه بيان الاحكام وبيان كل شيىء بضميمة الاخبار الكثيرة المتواترة الدالة على ان الائمة عليهم السلام عالمون بالقرآن كله ظاهره وباطنه محكمه ومتشابهه تنزيله وتأويله .

فهذا الدليل مركب من صغرى وكبرى ، وشكل القياس : كل شيىء مما يحتاج اليه الامة او الاعم من ذلك فهو فى القرآن ، والقرآن كله فى صدور الائمة (ع) ، فعلم ان كل شيىء فى صدور الائمة (ع) ، اما الصغرى فلقوله تعالى : ونزلنا عليك القرآن تبيانا لكل شيىء (۸۹ النحل)

وقال تعالى : ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيىء وهدى ورحمة (۱۱۱ يوسف) .

وفى سورة يونس (۳۷) وتفصيل الكتاب .

واما الكبرى فلروايات اوردها الكلينى فى الكافى فى المجلد الاول فى كتاب الحجة فى باب ان الائمة (ع) اوتوا العلم فى ذيل قوله تعالى :

وماكنت تتلوا من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم ومايجحد بآياتنا الا الظالمون . (۴۹ العنكبوت) . وهى خمسة احاديث اكثرها صحاح نقلها عن ائمة اهل البيت، وهى

تدل على ان القرآن ثابت محفوظ فى قلب الامام، وان المراد بقوله تعالى : اوتوا العلم هم الائمة ، فالقرآن كله فى صدورهم وهم اهل العلم .

الثالث ، الاخبار الكثيرة الدالة على ان الائمةهم الراسخون فى العلم ، ففى تفسير قوله تعالى :

ومايعلم تأويله الاالله والراسخون فى العلم (٧ آل عمران) فى الصحيح عن الصادق (ع) قال : نحن الراسخون فى العلم ونحن نعلم تاويله (بح٢٣ ص١٩٨ ح٣١)

وفى الحديث ٣٣ من ص١٩٩ عن احدهما (ع) فرسول الله افضل الراسخين فى العلم ، قدعلمه الله جميع ماانزله عليه من التنزيل والتاويل ... واوصيائه من بعده يعلمونه كله آه ، فهذه الاخبار بنفسها اوبمعونة الايات السابقة ، تدل على ان الامام عالم بالاحكام عارف بالفنون .

الرابع قوله تعالى :(ثم استوى على العرش) يدبر الامر، فان المراد بالاستواء على العرش ، تسلطه تعالى على اوضاع مملكة الوجود ، وذكر التدبير بعده لبيان ان من آثار السلطنة على الشىء تدبيراموره وتنظيم شؤنه، فالله تعالى يدبر امور جميع الخلق فى مختلف جهاته ، والامام عليه ان يدبرامر رعيته فى جهاته المرتبطة بهم ، فيجب ان يكون عارفا بفنونها .

وفى نهج البلاغة ولايحمل هذا العلم الااهل البصيرة والصبر والعلم بمواضع الحق، فامضوا لماتؤمرون وقفوا عند ماتنهون عنه(خ ١٧٣ ص ٢٤٧) نهج اللبنانى .

وقال ايضا: ايها الناس ان احق الناس بهذا الامر اقواهم عليه، واعلمهم بامر الله فيه، والمراد بهذا الامر امر الولاية على الامة والخلافة الالهية بتعيين الرسول .

وفى النهج ، فى كتابه الى الاشتر النخعى ره(كتاب ٥٣)انى وجهتك الى بلاد قدجرت عليها دول قبلك من عدل وجور ... الى ان ذكر(ع) فى الكتاب مايدل على وفورعلمه فى تدبير الامور وكمال اشرافه على الاوضاع، وتسلطه على شؤن السياسة والرئاسة .

وهذا القسم من العلم هو الاهم اللازم معرفته لمن اراد الاطلاع على شروط الخلافة واوصاف الامام ، وهو العلم النافع بحال الامة .

والمناسب لحال زعيمها ، ومدبر امورها والمتصدى لنظمها واصلاح حالها لامايذكر فى بعض الكتب اوفيمابين الناس من ان الامام هل يعرف عدد الشوك والشجر اوالحجر والمدر ، اوالشعر والوبر ، اوانه هل يعلم عدد شعر رأس كل احد عند ملاقاته اوعدد الطوب المصروف فى كل بناء اذا اراد الدخول فيه ونحو ذلك

الشرط الخامس. زهده عن الدنيا وليعلم ان فى معنى الزهد خفاء ، فقد يتخيل انه ترك الدنيا والاشتغال بالعبادة مثلا، لكن الظاهر انه ليس المراد بها ترك تحصيل الدنيا من جاهها ومالها وامتعتها وملاذها، اوالاعراض عما كان منها حاصلاموجودا واتلافه وتضييعه ، فان ذلك كله ينافى ما ورد متواترا من جواز تحصيل الدنيا بل واستحباب ذلك ، او وجوبه احيانا ، وانه خلق الله ذلك للانسان ولاجل عيشه وحياته .

قال تعالى: هو الذى ماخلق لكم فى الارض جميعا (۲۹- البقرة) اى لاستفادتكم وانتفاعكم .

وقال تعالى :

قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق .

(۳۲ - الاعراف)

والمراد بالزينة هنا جميع لوازم العيش الانسانى ووسائل حياته كما قال تعالى: انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا (۷ - الكهف) .

وقال تعالى : فكلوا ممارزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله .

(۱۱۴ - النحل)

والمراد بالاكل هنا مطلق التصرف لعموم الموصول فى مارزقكم ، وشموله لجميع مايعيش به البشر ويكون وسيلة لبقائه .

وقال تعالى: ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
(٧٠ - الأسراء)

وقال تعالى : هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور . (١٥ - الملك)

وقال تعالى : والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين . (٢٠ - الحجر)

وقال تعالى: ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش .
(١٠ - الاعراف)

وقال تعالى : هو الذى انزل لكم من السماء ماءاً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ... وما ذرأ لكم في الارض مختلفا الوانه . (١١ - ١٢ - النحل)

وقال تعالى: الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجرى في البحر بامره
(٦٥ - الحج)

وقال تعالى : ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما .
(٥ - النساء)

وقال تعالى : وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين .
(٣١ - الاعراف)

وقال تعالى: وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين . (٢٧ - الأسراء)

فاذا علمنا ان تحصيل وسائل العيش في الدنيا حلال للانسان بل امر مطلوب مرغوب فيه ، وكذا انتفاعه بماحصله وصرفه فيما يمتع به ويستلذ . علمنا ان المراد بالزهد المطلوب للشرع المحثوث عليه في الكتاب والسنة ، ليس ذاك المعنى ، بل يظهر بالتأمل ان ذاك معنى مختلق تخديرى ، انشأته ايادى الاستعمار في البلاد

الاسلامية صرفا للمسلمين عن الانتفاع اللائق باراضيهم ومعادنهم ، وسائر مامنحه الله لهم ، ومنعا من قدرتهم ورقاهم وتقويهم (ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خيرمن ربكم) .

وتؤيد الايات السابقة ماوردمن الاحاديث الكثيرة جدا المتظافرة المتواترة الحاثة على التكسب والتجارة، واحياء الاراضى، واجراء العيون والانهار، وغرس الاشجار واقتناء الانعام، والدواجن وغيرذلك .

فالزهد بذاك المعنى شجرة خبيثة اصلها الاستثمار وفرعها الذلة والانحطاط والظاهر انه ليس له معنى اصطلاحى شرعى او متشرعى ، فهو مستعمل فى معناه اللغوى وهو الرغبة عن الشيء وتركه، ويتوقف اتصاف معناه بالحسن والقبح على ملاحظة حال متعلقه.

ولا اشكال فى كون متعلقه الدنيا، فالشرط المبحوث عنه فى المقام الزهد عن الدنيا، فاللازم فى المقام معرفة معنى الدنيا وهى على ما يستفاد من السبر فى الايات والسنة على معان، اشهرها انها انتفاع الانسان بهذه الارض وما عليها، و استمتاعه بقواه المختلفة فى هذا العالم .

و هذه الانتفاعات على اقسام ثلاثة ، الانتفاعات المحرمة الممنوعة شرعا ، و المباحة الجائزة ، و الواجبة اللازمة ، اى ما كان بقدر الحاجة و الضرورة من حلالها .

وح فنقول ان ترك القسم الاول فى الدنيا والاعراض عنه زهادة بمرتبتها الناقصة وترك الاول والثانى زهادة بمرتبتها الكاملة.

ثم ان الدرجة الاولى من الزهد وظيفة اخلاقية عملية لازمة المراعاة لكل مؤمن، فهى من شرائط الايمان او كماله.

واما الدرجة الثانية فهى التى ادعينا كونها شرطاً فى امام الامة وخليفة المسلمين فحقيقة هذا الشرط عدم اعتنائه بشأن الدنيا ورغبته عنها وعن الاشتغال بالترفه والتنعم

لاعدم وجودها عنده و ترك تحصيلها من حيث امره الله وصرفها فيما عينه ، كيف وقد جعل‌الله له حقوقا فی اموال الناس ، ومنحه خمس الغنائم، ووهبه الانفال ، وله غير ذلك من الافادات ، فتحصيلها و جبايتها و جعله تحت يده او فی ملكه امر ، والزهد عنها امر آخر، والاول مأمور به ، والثانی منهی عنه، فتكون نتيجة تحقق الامرين فی الامام ان تصرفها فی مصارفها المعينة المقصودة، واجرائها فی‌مجاريها لتحيى بذلك‌العباد وتعمر بذلك البلاد وليعدوا لاعدائهم ما استطاعوا من‌قوة‌وعتاد

والدليل على هذا الشرط .

اولا ما علم مما ذكرناه، فانه بعد ان فوض‌الله اليه تلك الاموال والغنائم،فلو كان محبا لها حريصاعلى‌التمتع‌بها، لايمكنه ان يجعلهافی سبيل الاغراض‌المطلوبة منها، بل يخل ذلك بسائر شئونه ،ايضا، لسقوطه ح عن اعين الناس، فلا يستمعون اليه ولا يتبعونه، فمن اللازم ان لايكون محبا لها مولعابها معتنيا بشأنها ، و هذا هو الزهد الذی ذكرناه .

و ثانياً انه مقتضى الجمع بين طائفتين من الادلة، احديهما مادلت على ان للامام الخمس والانفال وغير ذلك من الاموال كآية الخمس :

واعلموا انما غنمتم من شيىء فان لله خمسه وللرسول و لذی القربى .

(۴۱- الانفال)

و كآية الفیء الواردة فی‌بنی‌النضير: ماافاءالله على‌رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذی القربى　(۷- الحشر)

و كآية الانفال : يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول (۱- الانفال)

فهی دالة على ان خمس الغنائم بمعناه الاعم ای الامور السبعة المذكورة فی باب الخمس من الفقه ، خمس القرى التی تركها بنو النضير ، و تمام الانفال وهی‌امور كثيرة للامام (ع) .

وثانيتها نظائر قوله تعالى :

واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا. (٢٨ الكهف)

اى لا تتجاوز عيناك عن المؤمنين نحو زينة الدنيا بان تحبها و تميل الى التمتع منها .

وقوله تعالى: ولاتمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى. (١٣١- طه)

ويقرب منها الاية (٨٨- من الحجر)

ومد العين نحو الشيء معلوم، وهو هنا كناية عن الحب والميل، والمراد بما متعنا نوع المتاع لاشخصه، فالمراد لاتكن ممن يطلب الانتفاع بزهرة الحياة، كما هو حال اعدائك من الكفار .

وحاصل الجمع ان الله اعطاهم الاموال الكثيرة، كما منحهم الجاه العظيم والمقام الرفيع ومنعهم عن اكثار التمتع بها والحرص عليها والولع بها وهو معنى الزهد

وثالثا: ماوصل الينا بالتواتر واخبار الكتاب العزيز من حالات النبيين والمرسلين واوصيائهم عليهم السلام، فانها تدل على كمال مواظبتهم على الاعراض عن الدنيا، وعدم الرغبة فيها، والتجنب عن الركون اليها ، والاستلذاذ بامتعتها .

فعن مولانا امير المومنين (ع) قال (نهج البلاغة خ١٦٠): فتأس بنبيك الاطيب الاطهر (ص) ، قضم الدنيا قضما، ولم يعرها طرفا اقضم اهل الدنيا كشحا واخمصهم من الدنيا بطنا، عرضت عليه الدنيا فابى ان يقبلها وعلم ان الله ابغض شيئا فابغضه وحقر شيئا فحقره وصغر شيئا فصغره،

القضم اخذ الشيء باطراف الاسنان واكله، و هو كناية عن قلة المأخوذ ، وقد عبر (ع) عن فعل النبى (ص) بالقضم، وعن فعل عثمان فى الخطبة الشقشقية بالخضم قال يخضمون مال الله خضم الابل، نبتة الربيع، والخضم ضد القضم، و هو الاكل بملاء الفم .

وقال (ع) : وان‌شئت ثلثت بداود صاحب المزامير،وقارى اهل الجنة،فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده، ويقول لجلسائه ايكم يكفينى بيعها، ويأكل قرص الشعير من ثمنها .

وعن النبى قال لابن مسعود: (وان شئت نبأتك بامر سليمان، لما كان فيه‌من الملك، كان يأكل الشعير ويطعم الناس الحوارى، وكان لباسه الشعر، و كان اذا جنه الليل شد يده الى عنقه ، فلا يزال قائما يصلى حتى يصبح ، و ان شئت نبأتك بابراهيم خليل الرحمان (ع)، كان لباسه الصوف وطعامه الشعير.

(سفينة البحار كلمةزهد)

ورابعا قول على (ع) (لعاصم بن زياد لما لبس العبائة وتخلى عن الدنيا) ياعدى نفسه لقد استهام بك الخبيث، اما رحمت اهلك وولدك، اترى ان الله احل لك الطيبات ، و هو يكره ان تاخذها ، انت اهون على الله من ذلك ، قال يا امير المؤمنين هذا انت فى‌خشونة ملبسك وجشوبة ماكلك،قال ويحك انى لست‌كانت ان‌الله فرض على ائمة العدل ان يقدرواانفسهم‌بضعفة الناس كيلا يتبيغ‌بالفقيرفقره

(نهج خ٢٠٩ ص٣٢٥)

وخامسا قوله (ع) فى دعاء الندبة: اللهم لك الحمد على ماجرى به‌قضائك فى اوليائك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك اذا اخترت لهم جزيل ما عندك ... بعد ان شرطت عليهم الزهد فى درجات هذه الدنيا الدنية و زخرفها و زبرجها فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاءبه. (المفاتيح)

تنبيهات . الاول قديتوهم مما ذكرناه ان الاموال المجعولة‌تحت‌يدالامام‌ملك للامة وليست للامام او انها وان كانت ملكا له لكن لايجوز له التصرف والانتفاع بهابمقتضى ماشرطه معربه ، فيكون المورد من‌قبيل الانتفاعات‌المحرمة والزهدفيه زهدا بمرتبته الناقصة وهوخلاف الفرض .

لكنه باطل اولابعدم اختصاص اموال الامام بالخمس والانفال ، بل‌قد يحصل له بالتكسب والاحياء والتوراث

وثانياً بانه‌لااشكال فى كون‌الخمس والانفال ونحوهما من‌الاموال‌ملكاللامام (ع) بعنوان رئاسته العامة وامامته وزعامته للامة الاسلامية . و هذا غير بيت المال الذى هو ملك للمسلمين ويشهد بذلك‌قوله‌تعالى :

فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن‌السبيل: (۴۱ ـ الانفال)

فان ظاهر اللام الملكية ، ولذلك قد يستظهر من عطف الطوائف الثلاث الاخيرة بدون ذكر اللام ، انهم‌من‌قبيل المصارف لاالملاك وكذلك قوله تعالى : قل الانفال‌لله والرسول (۱ـ الانفال)

والروايات الواردة فى ابواب الخمس تدل‌على ذلك، فراجعها واماخروج المورد عن الفرض اى‌كون الزهد فيه اعراضا عن الانتفاعات المحللة ، فهو باطل ايضا فانه اذا فرضنا كون الاموال ملكا له فلا محالة يترتب عليها آثارالملكية من جوازالتصرف والانتفاع ، والنهى المتعلق بارادة زينة الحياه ، او بمد العين الى متاع الحياة وزهرتها ، نهى شرطى لا مولوى ، كما ان الايجاب المستفاد من كلمة الفرض فى‌قوله تعالى:

(ان‌الله فرض على ائمةالعدل اه)ايجاب شرطى، فتلك الادلةتساوق‌فى‌المعنى مع‌قوله (ع) :بعدان شرطت عليهم الزهد ، ويكون‌حاصل المطلب ان‌الزهدالكامل من شرائط النبوة والامامة

كما يظهرمن‌دعاء الندبة، فلولم يعمل‌به النبى اوالامام سقط عن مرتبةالنبوة اوالامامة ، لانه‌عمل‌محرمامن‌المحرمات كما فى‌الزهد الناقص‌هذاولكن‌من‌المعلوم المقطوع به‌ان‌الاولياء لايخالفون شرطهم،ولم يتحقق‌الى‌الان موردصدرت‌المخالفة ولومن واحد منهم ويشهد بذلك قوله(ع)

وعلمت منهم‌الوفاء به فقبلتهم‌وقربتهم وقدمت لهم الذكر‌العلى‌والثناء الجلى لايقال يظهرمن‌التواريخ وبعض الروايات ان‌الائمة (ع)كانوا يستفيدون من الدنيا

ويتمتعون منها، فكانوا(١) كغيرهم من اوساط الناس بل وازيدمن ذلك واحسن فكيف التوفيق بين ذلك وماذكرت من شرطية الزهد

لانا نقول على فرض ثبوت تلك الدعوى انهم (ع) كانوا يقابلون احيانا اهل التصوف ومدعى الزهادة عن الدنياومافيها ، وكانوا يرون خطر الامر ووخامة العاقبة لومال الناس اليهم و سكن المسلمون فى زوايا البيوت والمساجد ، و اقبلوا الى العبادة والترهب ، ولم يشتغلوا بما اوجب الله عليهم من تحصيل المعاش وماالزمهم به من اعداد القوى للمقابلة مع الاعداء، فيميل عليهم الكفار ميلةواحدة ، ويقطعوا اصلهم ويقلعوا عرقهم، وكان من هذا القبيل ما صنعه الباقر والصادق (ع) فى مقابل الحسن وعبادالبصرى ونظائرهم واشباههم

مع ان الشرط الذى ذكرناه انما هو فى الامام المتمكن من تصدى الامور ، والواجد لشرائط الزعامة لا الممنوع عن حقه ، و المسجون فى السجن اوجوف بيته ، والا فحاله ح كحاله سائر الناس بالنسبة الى شئون الزعامة واحكامها ، فهو كالمنسلخ عن مقامه لا يترتب عليه غالب احكامه ، كما كان محروما عن سائر شئون الرئاسة .

التنبيه الثانى فى ذكر امـوال الامـام و مـاجعله الله تحت يده ممـا يتعلق بنفسه الشريفة ومايتعلق بالمسلمين ، فاعلم ان للامام (ع) من حيث انه قد فوض الله اليه زعامة الناس ، ورئاسة الامة ، وتدبير الامور ونظم المجتمع الاسلامى ، وتجنيد الجند لدى الحاجة ، والجهاد مع الاعداء ، والدفاع عن حوزة الدين ، اعدالله له اموالا ، وجعلها تحت يده واختياره ، سوى الاموال الشخصية التى تملكها بالحيازة والاحياء والارث ونحوها ، فمنها ما هو ملك له ، ومنها ماهو ملك للمسلمين مفوض امره اليه من حيث الاخذ والجباية ، والصرف فى مصارفه المقصودة

فاما ما هو ملكه (ع) فقسمان:

---

(١) يأكلون ويشربون ويلبسون

اولها الخمس وهوالمأخوذ من الغنائم السبع التالية (الاول) غنائم دارالحرب وهی امور.

۱ ـ الاموال المنقولة التی حازها العسكر باذن الامام (ع)

۲ ـ ما تسلطوا عليه من الاناسی من الرجال والنساء والصبيان .

۳ ـ الاراضی العامرة حال الاستيلاء.

۴ ـ الاراضی الميتة الغامرة حال الاستيلاء.

۵ ـ ماصالحوا عليه من الكفار واخذوه منهم صلحا

۶ ـ فدية الاسراء الذين افتدوا انفسهم بالمال.

۷ ـ السلب اذالم يشترط العسكر اخذه لانفسهم .

الثانی المعدن بجميع مصاديقه واقسامه .

الثالث : الكنز وهو المال المذخور تحت الارض اوفی الجبل ، او الجدار اوالشجر . من النقدين وغيرهما .

الرابع الغوص ای ما يخرج من البحر و النهر الكبير من الجواهر والاحجار الكريمة والعنبر غير الحيوان.

الخامس المال الحلال المخلوط بالحرام بحيث لايعلم مقداره ولاصاحبه .

السادس الارض التی اشتراها الذمی من المسلم .

السابع مازاد من مؤنة سنة الشخص من ارباح مكاسبه .

وثانيها الانفال وهی ايضاً علی اقسام .

الاول الارض التی لم يوجف عليها بخيل ولاركاب ، سواء انجلی اهلها ، او اسلموها للمسلمين طوعا .

الثانی الاراضی الموات التی لم يعلم لها صاحب .

الثالث : سيف البحار وشطوط الانهار.

الرابع رؤس الجبال وبطون الاودية والاجام.

الخامس قطائع الملوك وصفاياهم .

السادس: صفو الغنيمة كفرس جواد وجارية حسناء، وثوب مرتفع و سيف قاطع .

السابع الغنائم التى ليست باذن الامام (ع) .

الثامن ارث من لاوارث له .

التاسع المعادن التى ليست لمالك خاص ، هذا ، وكثيراً ما يطلق على هذين القسمين مال الامام، وعلى المحل المدخر فيه القسمان بيت مال الامام ،

ثم ان الظاهر ان الجميع ذلك ملك بعنوان رياسته العامة ، لابما انه شخص خاص فينقل بعد ارتحاله الى من هو امام بعده من ورثته لاجميع الوراث ، وليس كاملاكه الشخصية التى تملكها بالتكسب ، او الاتهاب اوالارث مثلا فانها تنتقل الى جميع الورثة ، ولو فرض انتقال شيىء من تلك الاموال الى الورثة ، فهو مختص بالعوائد المأخوذة و بعض فوائدها المقبوضة ، لااصولها الناتجة وفروعها الحاصلة بعد موته(ع)

واما ماهو ملك للمسلمين ، فهو اقسام كثيرة .

١ - منها الزكوات المأخوذة من الاشياء التالية: النقدين - الانعام الثلاثة - الغلات الاربع .

٢ - ومنها الاراضى المفتوحة عنوة ، فانها بنفسها للمسلمين مع قطع النظر عن ان فوائدها للمسلمين، فلوجاز فى مورد بيعها كما قد يتفق، فثمنها يجعل فى بيت مال المسلمين .

٣ - ومنها الخراج والمقاسمة المأخوذتان من اهل تلك الاراضى، والاولى هى الضرائب على الرؤوس اوعلى الاراضى اوعلى المواشى، والثانية هى مايؤخذ من نفس الغلات والفوائد .

٤ - ومنها عوائد الاوقاف العامة التى وقفها اهلها ليصرف درها فى المبرات.

٥ - ومنها النذور العامة ،كان نذر صرف مال معيين فى وجوه البر.

۶ - ومنها الاموال المجهول مالكها من ارض ودار وغيرهما .

۷ - ومنها اللقطة مطلقا من حيوان وغيره .

۸ - ومنها الكفارات ككفارة القتل عمدا أو خطأ ، وكفارة حنث النذر والعهد واليمين ، وافطار شهر رمضان وغيرها .

التنبيه الثالث فى بيان مصارف الاموال التى بيد الامام وتحت استيلائه، فنقول اما املاكه الشخصية غير الخمس والانفال ، فحكمه (ع) بالنسبة اليها كحكم سائر الناس فى التسلط والتصرف، غير ان الاقوى شمول ماذكرنا من ادلة اشتراط الزهد لها ايضا .

واما امواله بعنوان الامامة والرئاسة، فحكمها ومصرفها ظاهر بعد ملاحظة امور.

۱ - كثرة تلك الاموال جداً بحيث لايمكن القول بأن الغرض من تمليكها للامام ادارة عيشه بشخصه ، او مع عائلته واقاربه واضيافه ، بل وقبيلته من اليتامى والمساكين وابن السبيل .

۲ - اشتراط الزهادة له بما عرفت بحيث كانت النتيجة قناعته على قدر الضرورة من المعيشة ، وتقدير نفسه بضعفة الناس وطبقتهم السفلى .

۳ - كون اعطائه وبذله لها بعنوان رئاسته للامة وزعامته للمجتمع وادارته رحى حياة الامة بانواع فرقهم وشتى اصنافهم ومختلف شئونهم وحوائجهم .

فينتج التأمل فى ذلك ان مصارف تلك الاموال بعد اخراج مؤنته الشخصية المقتصدة وتكفل مؤنة قبيلته من بنى هاشم، من ايتامهم وفقرائهم وابن سبيلهم، هى الحوائج المرتبطة بذاك المنصب العظيم، وهى حوائج المجتمع عموما، ومصالح الامة طرا، وصرفها فى اصلاح حالهم ورفاه عيشهم فى الدنيا ، وهدايتهم الى كمالهم اللائق بهم و تربية نفوسهم ، و تكميل عقائدهم ، وتصفية ارواحهم ، وتحسين اعمالهم، ليرتقوا فى درجات الانسانية والكمالات المعنوية والفضائل الباطنية اعلاها وارقاها وافضلها واغلاها .

ويستفاد من الاية الشريفة ايضا الفرق بين الامام والطوائف الثلاث بالنسبة الى هذا المال، وذلك لذكر اللام فى الاول ، وتركها فى الثانى ، وليس ذلك الا لكون الامام مالكا ، وتلك الطوائف من قبيل المصارف ، وحيث ان مؤنة الجميع اعنى نفس الامام وعيالاته ، وتلك الطوائف لاتطابق الاموال المعدة لها، بل تخالفها بكثير، علمنا انه يجب على الامام اولا اخراج تلك المؤن، و اعطاء الطوائف مايكون كفافا لحالهم، ثم صرف الباقى فى المصارف المذكورة .

ويشهد لماذكرناه عدة روايات فى باب الخمس فراجع .

ثم انه لايتوهم عدم الحاجة الى صرف اموال الامام (ع) فى الموارد المذكورة فان بيت مال المسلمين كاف فى اصلاح امورهم وترميم نواقص عيشهم ، لان من الواضح اولا ان بيت مالهم بالقياس الى بيت مال الامام اقل قليل، بل نسبته اليه نسبة الواحد الى المأة أو الالف ، فهى لاتدير عيش المسلمين ولاتنظم امورهم، ولاتكفى لرفاه حالهم واصلاح بالهم .

وثانيا ان الزكوات والاموال المجهولة مالكها ، والكفارات واللقطة ، وما يماثلها ، تختص بطائفة معينة وهم الفقراء والمساكين ، والاراضى المفتوحة عنوة لايجوز بيعها الابشرائط خاصة ، والخراج والمقاسمة والاوقاف العامة لاتفى بشىء من الامور العامة الاجتماعية والهامة الاسلامية ، فالمتكفل لاصلاح حال الامة صلاحا يوافق مايليق برقاهم، ويناسب المقصود من تكاملهم فى دنياهم واخريهم، هو بيت مال الامام كما عرفت .

التنبيه الرابع فى بيان حقيقة ولاية الامام وانها على الانفس والاموال جميعا؟ أوعلى الانفس فقط ؟ أوعلى الاموال فقط ؟ وذكر شيىء من احكامها ومايدل عليها.

فاعلم ان الولاية وهى بمعنى التسلط على شيىء وتدبير امره على اقسام .

١-منها الولاية التكوينية التامة، كولاية الله تعالى وسلطانه على جميع الموجودات

٢-ومنها الولاية التكوينية الناقصة كسلطان الروح على الاعضاء، وهذا احسن

مثال موضح وكاشف عن ولاية الرب تعالى، اذلاتريد النفس امرا وتحركت العضلة المتناسبة له نحوه ، الاان يوجد مانع وقاسر، وهومعنى نقضها، فانه لايمكن وجود مانع عن تمشى ارادة الله التكوينية .

۳-ومنها الولاية التشريعية الكاملة، وهى التى ندعى ثبوتها للنبى والائمة (ع) فى مقابل الولاية التشريعية الناقصة كولاية الاب على الاولاد وكذا الجدوالقيم المنصوب من قبلهما ، وولاية الحاكم على القصر والغيب ـ فان كلها ناقصة بالاضافة الى ولاية المعصومين (ع) التشريعية :

وهذه الولاية امراعتبارى وحكم وضعى انشائى قابل للجعل وتابع لانشاء من بيده الامر ، كالمناصب المجعولة من قبل السلطان على عمال البلاد ، وكالملكية والزوجية ونحوهما ، فللنبى والامام ولاية تشريعية تامة مجعولة من الله تعالى تشبه ولا يةالاب لولده، ومن آثارها نفوذ أوامره ونواهيه فى حق المسلمين ، و وجوب طاعتهم له فى جميع ما احبه واراده ، بل و وجوب وقاية نفسه الشريفة بانفسهم عندالمخاطر ، ولزوم حبه اشد من حبهم انفسهم ونحوذلك ، والدليل على ثبوت هذه الولاية امور :

الاول قوله تعالى : النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم : (۶ ـ الاحزاب)

و معنى الاية انه لااشكال فى ان للمؤمن بما انه انسان ذوعقل واختيار،ولاية على نفسه يتصرف فيها كيف يشاء ، فيمضى ماتشتهيه من المحاب ، وينفذ ماتريده من الافعال، وولاية النبى عليه اقوى وارجح من ولايته على نفسه ، بحيث يلزمه ان يقدم مااحبه على مااحبته نفسه ، ومااراده على ماارادته نفسه، فتدل الاية الشريفة بالمطابقة على المدعى ، وهو ولاية النبى على النفوس .

ثم انه اذا ثبت الولاية التشريعية للنبى الاعظم ، فهى تثبت لامحالة للامام بعده باخبار كثيرة متظافرة عن اهل البيت(ع) ، ومنها الحديث المتواتر بين الفريقين

(من كنت مولاه فعلى مولاه) بالنسبة الى امير المؤمنين

الثانى قوله تعالى : (وماكان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله و رسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم (۳۶ الاحزاب)

بتقريب ان المراد بالامر هنا الامور المرتبطة بالاشخاص بانفسهم او باجتماعهم لا الاحكام الشرعية المتعلقة بهم ، و ذلك بقرينة اضافة الامر اليهم ، فان الاحكام الكلية الالهية لايصدق عليها انها امرهم وفعلهم، بل هى امر الله تعالى وفعله ،وكذا بقرينة ذكر الرسول فانه لو كان المراد به الاحكام الشرعية لم تكن لاحد بعد قضائه الخيرة، سواء فى ذلك الرسول وغيره ، فمحصل معنى الاية انه اذا حتم الله و رسوله فعلا من الافعال يتعلق بالمؤمنين كلا اوبعضا ، والزمهم بذلك ، كان امرهم بالخروج الى حرب ، او بالتوطن فى مدينة معينة ، اوبان يطلقوا ازواجهم ، او ينفقوا من اموالهم فى سبيل خاص ، لم تكن لهم خيرة بعد ذلك . بل يجب عليهم التسليم والانقياد والطاعة و العمل ، و هذا المعنى من آثار الولاية التشريعية ، فتدل الاية بالدلالة الالتزامية على الولاية التشريعية للنبى ، وتتم فى الامام بضميمة ما ذكرناه من الادلة ، وبعدم القول بالفصل من علماء التشيع ، بل القول بعدم الفصل فى ذلك.

ولايخفى ان هذه الاية تغاير فى المرمى الاية (۶۸ من القصص) ، وهى قوله تعالى : (وربك يخلق ما يشاء ويختار ماكان لهم الخيرة) فانها لا تدل على المدعى كما توهم فانه يمكن ان يكون متعلق الاختيار فيها ، تدبير الخلق او جعل الاحكام وتشريع الشرايع

والمعنى ان الله يخلق من الخلق ما اراد ، ويختار فى تدبيره ما هو الاصلح، و ينشأ من الشريعة ما شاء ، ولاخيرة لاحد فى ذلك ،كما قال : له الخلق و الامر (۵۴ الاعراف)

وقال : الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى (۵۰ طه) ولذلك لم يذكر النبى (ص) فيها .

الثالث قوله تعالى : انما وليكم الله ورسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون

وتقريب الاستدلال ان الولى كما عرفت هوالمتسلط على الشخص اوالشيء المتصرف فيه المدبرلامره ، والاية تثبت المعنى المذكور بعد اثباته لله و رسوله لكل طائفة كان فيها و صفان ، اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة حالة الركوع ، وح فلواريد الوصفان بنحوالموضوعية والحيثية التقييدية لينطبق على كل واجد لهما و انبلغ الوفا وملايين فهوامرباطل قطعا ،مع ملاحظة ما يترتب عليه من تسرى الاهواء المختلفة فيه ، ووقوع الاختلاف كثيربين الامة بذلك

فنستكشف منه كون المراد الشخص اوالاشخاص المعينين الموجودين فى زمان نزول الاية ، وقد ورد فى اخبار الفريقين ان الاية نزلت فى حق على بن ابى طالب عليه السلام ، فيتعين بالولاية ، مع انه لااشكال فى كون على عليه السلام ، داخلا فى الاية ، ودخول غيره يحتاج الى احراز شرط الامامة فيهم ، وعدمه معلوم عندنا .

ثم ليعلم ان الولى فى هذه الاية قد استعمل فى الاعم من التكوينى والتشريعى فولاية الله تكوينية ، وولاية الرسول والائمة عليهم السلام تشريعية ، وقد ظهر ايضا ان دلالة الاية على الولاية بالمطابقة ، فانها ظاهرها فى اثبات نفس الولاية ، اعنى الحكم الوضعى التشريعى القابل للجعل والتشريع، وليست بالالتزام كآية القصص.

الرابع قوله تعالى : يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامرمنكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر(۵۵ النساء)

لايخفى عليك ان طاعة الله تعالى عبارة عن امتثال احكامه والعمل بماانزله على رسوله واخبربه النبى وبلغه ، فيدخل فى ذلك امتثال الاوامر والنواهى الشرعية كلها ، واما طاعة الرسول ، فان كان المراد بها طاعته فى اوامره و نواهيه الشرعية

الارشادية ، فهي راجعةالى طاعة الله بل هي‌عينها غيران نسبتهاالى‌الله بالاصالةوالى الرسول بالتبع

وهذا يكون كالتكرار ، فلابد من ان يكون المراد طاعته في اوامره‌ونواهيه الشخصية المنشأة من قبله لمصالح نفسه اومجتمعه ،كان يامربشراء شيء اوبيعه‌او بتجنيد جند اونحوذلك ، وهذا القسم هوالاوامروالنواهي الحقيقية للرسول (ص) فاذا وجب طاعته فيه‌كان دليلا على‌ولايته على النفوس ،فالاية تدل بالدلالةالالتزامية على تحقق الولاية التشريعية في‌حق النبي (ص) وتثبت في‌الائمة (ع) بالبيان‌السابق مع انه يكفي في‌اثبات المطلوب وجوب الطاعة بنفسه

ويدل على المطلوب‌ايضأقوله تعالى : (واولى الامرمنكم) فاوجب‌الله‌تعالى طاعةاولى‌الامر، والامر اما بمعنى الطلب الاكيد ، اوبمعنى الفعل والشأن .

والمراد بالفعل هنا ليس مطلقه ، بل الفعل الذي من شأنه ان يرجع فيه الى رئيس القوم وزعيم الملة سواءكان امرا ماليا اواجتماعيا اوسياسيا ،كاقامة الجمعة والتصرف في‌اموال الايتام ، والتصرف في اموال الغائبين ، وتعيين القيم للصغار واجبارالممتنع عن اداء الحق ، و تطليق زوجة الغائب ، و اخذ اللقطة و مجهول المالك ، وتعيين المتولي على‌الاوقاف اوعزل متوليها ، وجبايةالزكوات ،وجمع الاخماس والانفال، وجباية الخراج والمقاسمة والحكم بافلاس المفلس ،والحكم برؤية الهلال اى باول الشهراوآخره، وتعيين القاضي للبلاد ، و عزل القضاة في صورة المصلحة ، وتعيين العمال لسائرالاموراللازمة ،واجراء الحدودوالتعزيرات وتهيئةالجند والعتاد ، ونصب الرئيس على‌العسكر ، واخذ الجزية من اهل الذمة والتصدي‌لعقدالجزيةوتعيين شرائطهاوالمصالحةمع‌الكفارعند اللزوم،والامربالجهاد ابتداء للدعوة الى‌الاسلام : وغيرذلك

وعلى اى تقديراما ان يراد به صاحب الامر والنهي ، اوصاحب الشان من هوكذلك عرفا وفيما بين الناس ، اومن جعله الله صاحب امراوشأن ، فان فرض

الاول لزم القول بان الله اوجب طاعة الظلمة والطواغيت والشياطين المتسلطين على النفوس والاموال ، كمعوية وابنه ، والرشيد والمأمون ونحوهم، فانه لااشكال فى انطباق تلك العناوين عليهم مع انطباق عنوان اولى الامرعليهم عرفا، وح فهل يمكن الجمع بين انيكون احد من اولى الامرعرفا، فتجب طاعته مقرونا بطاعة الله و طاعة الرسول ، وان يكون طاغوتا امرالله الناس بالكفر به والاجتناب عنه ، و شيطانا حرم اتباع خطواته ، ويحصل الخسران من اتخاذه وليا، وقد عهدالله الينا الانعبده، قال‌تعالى : ويريدون انيتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به (۶۰ النساء)

وقال : ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (۳۶ النحل) .

وقال : فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى (۲۵۶ البقرة)

وقال : ولاتتبعوا خطوات الشيطان (۲۰۸ البقرة) .

وقال: ومن يتخذ الشيطان وليامن دون‌الله فقد خسرخسرانا مبينا (۱۰ النساء)

وقال : الم اعهد اليكم يابنى‌آدم الاتعبدوا الشيطان (۶۰ يس)

وح فلابد من كون المراد بأولى‌الامرمن‌جعله الله كذلك ومنحه هذاالمنصب الخاص، ولابد من‌وجود المصداق له من حين ارتحال النبى الاعظم الى اخرازمنة بقاء الامة الاسلامية ، والخطاب المتوجه اليهم بهذه الاية ، ولايصدق على الخلفاء الثلاث قبل على (ع) ، للاجماع من اهل السنة والشيعة على عدم نصبهم من الله ، وعدم التنصيص بكونهم اولى الامر، اذافلانجد لهم مصداقا الاالثقل الاصغر الذى امرالنبى(ص) امته بالتمسك بهم‌وعدم التخلف عنهم .

ومن اوجب الله محبتهم على الامة وجعلها اجراً لرسالة رسوله ، ومن عنده علم الكتاب ، والذين يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ، والذين‌هم نفس النبى وولده، والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم‌راكعون، والذين

هم الراسخون فى العلم ، والذين هم خير امة اخرجت للناس، والذين ان مكنهم الله فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر .

والذينهم لما استضعفوا فى الارض ارادالله ان يمن عليهم فيجعلهم ائمةويجعلهم الوارثين، والذين هم اهل الذكر الذين يجب سؤالهم، وبالجملة لم نجد مصداقا لهذه الايات الاالذين امرالله رسوله باظهار امامتهم بقوله :

ياايها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) .

مع انهم القدر المتيقن بين الفريقين، بعدالعلم بعدم ارادة الخلفاء الثلاث ، لاعتراف الفريقين بعلمهم وتقواهم، وفضلهم وعلومقامهم، مع انه لم يدع مقام الولاية غيرهم، ولم يأت بالمعجزات الكثيرة سواهم .

واماماذهب عدةمن علماء اهل السنة ، بأن المراد بالاية ايجاب طاعة كل من يصدق عليه عرفا انه من اولى الامر ، الا انه مقيد بعدم مخالفة امره امرالله وطاعته طاعة الله، او فيماذا امر بما امرالله به ونهى عما نهى الله عنه ، اذ لاطاعة للمخلوق فى معصية الخالق ، فهو كلام فاسد ، اذ لايختص ذلك ح باولى الامر ، بل يجب طاعة كل مؤمن ومؤمنة اذا امروا بما امر الله به ، ونهوا عما نهى الله عنه .

مع ان القول بان الله اوجب طاعة كل من تصدى لمقام السلطنة على الناس وجازاريكتها وتسنى له الركوب على اعناقهم. وان كان ذلك بقتل النفوس، واتلاف الاموال ، وارتكاب انواع الظلم والجور، وان فرضنا ذلك فى غير موارد عصيان الله ، بل فيما كان مباحا بالذات قبل تعلق امره او نهيه ، امر لايوافق روح الاسلام وحرية قوانين الدين، وشدة وقوع النكيرفيها على الظالمين والجائرين والفاسقين، والحث الاكيد على الاعراض عنهم واجتناب طاعتهم ، والنهى الشديد عن اطاعة امر المسرفين و المفسدين ، الشامل باطلاقه لاغلب موارد طاعتهم .

الخامس الدليل العقلى وهو مركب من مقدمتين .

الاولى ان النبى والائمة (ع) وسائط الرحمة والفيض بين الله تعالى وبين

خلقه فيهم افاض‌الله الوجود على‌الاشياء، وبيد هم‌اجرى العلوم والحقائق على‌ذوات العقول .

الثانية‌ان شكر المنعم لازم‌واجب بحكم العقل‌السليم وقضاء الفطرة‌الصحيحة فتكون النتيجة وجوب طاعتهم فى كل ماامروا به عقلا بعين ماحكموا به فى طاعة الله وطاعة الابوين .

امابيان المقدمة الاولى. فهو انه وان كان لااشكال فى‌عدم دخل النبى‌والائمة فى خلق العالـم ، ولافى تدبيره بعد الخلق بنحو العلة التامة ، او السببية الناقصة ، فنسبة الخلق او التدبير اليهم باطلة قطعا ولاقائل بها من الشيعة الامامية، ولعل‌القول بها نشأ عـن الغلاة و المفوضة ، بـل مقتضى ظـواهر الايات القرآنية و صريح احاديث الباب ، انتساب خلق الموجودات كلها، وايجاد العالم وابداعه ثم تدبير الامر فيه وحفظ نظمه وادارة رحاه الى الله تعالى ، فالخلق يصدر منه تعالى بارادته التكوينية المستقلة ، والتدبير بامره ووساطة الملائكة الموكلين ، وهم المدبرات امراً ، والمقسمات امراً ،كما قال تعالى فى جهة الخلق .

الا له الخلق والامر (۵۴ الاعراف) .

وخلق كل شيء فقدره تقديراً (۲ الفرقان) .

اناكل شيء‌خلقناه بقدر (۴۹القمر) .

ان‌ربكم الله‌الذى خلق السموات والأرض فى‌ستة ايام (۳يونس)

خلق‌الليل والنهار والشمس والقمر (۳۳الانبياء) .

وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما الابالحق (۸۵ الحجر) .

وخلق الازواج كلها مماتنبت الارض ومن‌انفسهم (۳۶يس)

ومن كل شيء‌خلقنا زوجين (۴۹ الذاريات) .

والله‌خلق كل دابة من‌ماء (۴۵ النور)

خلق‌الانسان من‌صلصال كالفخار وخلق‌الجان من‌مارج من‌نار(۱۴ الرحمن)

وماخلقت الجن والانس الاليعبدون (٥٦ الذاريات) .

والخيل والبغال والحمير لتركبوها (٨النحل).

والانعام خلقها لكم فيهادفء ومنافع (٥النحل) .

خلق لكم من انفسكم ازواجا. (٢١ الروم)

وجعل الظلمات والنور (١- الانعام) .

جاعل الملائكة رسلااولى اجنحة (١ - فاطر)

وقال تعالى فى التدبير

ومن يدبر الامر فسيقولون الله (٣١ يونس) .

ثم استوى على العرش يدبرالامر (٣يونس)

يدبرالامر من السماء الى الارض (٥السجدة) .

وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدراقواتها فى اربعة ايام (١٠فصلت)
الله خالق كل شيء وهوعلى كل شيء وكيل (٦٢ الزمر) ومعنى وكالته تعالى على كل شيء ، هى قيامه مقامه فى تدبير امره .

وماانزل من السماء ماء فأحيابه الارض بعدموتهاوبث فيهامن كل دابة (١٦٤البقرة)

فأناخلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة (٥ - الحج)

هوالله الخالق البارىء المصور (٢٤ - الحشر) .

وبالجملة ليست الائمة علةفاعلية للخلق ولاللتدبير ، وهذاهو مراد من نفى الولاية التكوينية عن النبى والائمة ، فهى بمعنى كونهم فاعلاللخلق ولوبامرالله ، او فاعلا للتدبير كذلك ، غيرثابتة ، بل ظاهر الادلة كما عرفت عدمها ، مع غمض النظر عن انه على فرض الثبوت فهل تختص بنبيناو اوصيائه ، اوتثبت للانبياء الماضين ايضا ومع فرض تعدد الانبياء فى زمان واحد فهل تثبت لواحد منهم ، اويشترك فيهاالجميع وانه هل تثبت لهم فى جميع احوالهم ، اوفى حال اليقظة دون النوم وغير ذلك من المشاكل .

نعم للولاية التكوينية معنى آخر اشرنا اليه فيما سبق لايبعدالقول بثبوتها لهم ، وهوان لهم القدرة والتمكن فى ان يتصرفوا فى بعض الامور التكوينية ، ويوجدوا بعض الحوادث على خلاف مجراها الطبيعى ، ومن هذا الباب مايصدر منهم من الخوارق بنحو التصرف فى الموجودات .

وقدثبت ذلك بالاخبار المتواترة اجمالا، فلابدمن القول بذلك ، وهذه هى الولاية التكوينيةالتى قلنابثبوتها لهم فيما سبق، لكن الكلام فى حدود هذه الـولاية وسعةدائرتها وضيقها، فالقدرالمتيقن منهاثبوتها بنحوالموجبة الجزئية لاالكليةونظير ذلك علمهم بالموضوعات الغيبية، فانه لا اشكال فى انهم كانوا عالمين بها فى الجملة، لورود اخبار متواترة حاكية عن ذلك لكن على اجمال فى حدوده ، فالمتيقن ثبوته بنحوالقضية المهملة لاالموجبة الكلية، هذاكله بالنظر الى كونهم علة فاعلية للخلق والتدبير .

واما العلية الغائية فالظاهر انه لااشكال فى كونهم علة غائية للخلق والتدبير ، أوان لهم الركنية والاصالة فيها ، فبهم خلق الله الخلق ، ولهم دبر امره ، ولولاهم لم يخلق ماخلقه ، ولم يوجد ماوجده ، ولم يدبر الامور ويظهر ذلك من ملاحظة الروايات ، وبعض الادعية الواردة ، والزيارات المأثورة عنهم (ع) ففى زيارة الجامعة الكبيرة .

بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث وبكم يمسك السماء ان تقع على الارض الا بأذنه .

هذا بالنسبة الى وساطتهم فى التكوينيات ، واما دخلهم ووساطتهم فى جهة التشريع ، فلا اشكال فى انهم العلة الفاعلية لذلك بمعنى ان جميع الفيوضات التشريع والعلوم والحكم وبرامج الشريعة واحكامها تجرى بواسطتهم وبايديهم ، فهم الوسائط فى التشريع بنحو العلة الفاعلية قال تعالى :

عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احد الامن ارتضى من رسول فأنه يسلك من

بين يديه ومن خلفه رصداً ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم . (٢٨ - الجن)

وقال فى صالح النبى (ع) : وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالة ربى .

(٧٩ - الاعراف)

وقال فى شعيب النبى : وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربى .

(٩٣ - الاعراف)

وقال فى هود النبى: فان تولوا فقد ابلغت ماارسلت به اليكم . (٥٧ - هود)

وقال تعالى : واوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ (١٩ - الانعام)

والحاصل انه لا اشكال فى ان لهم الدخالة والتسبيب فى جريان الرحمة الالهية والفيوضات التكوينية والتشريعية من الله تعالى الى عباده ، فهم اولياء النعم

وأما وجوب شكر المنعم ، فامراستقل العقل به بالنسبة الى أصل الشكر ، ولااشكال عنده ايضافى ان امتثال أوامر المنعم ونواهيه واجب، فيما اذا لم يكن الامر جاهلا، ولم يعلم كون أمره على خلاف المصلحة ، أومشتملا على وجود المفسدة، فضلا عمااذا كان المنعم حكيما لايقع منه الخطاء ، وكان أمره ذامصلحة تامة متعلقة بنفس المأمور، فاذا وجبت الطاعة فى جميع ماصدرمنهم من الاوامر والنواهى كان ذلك مساوقا لمنصب الولاية التشريعية .

هذه أدلة خمسة اقمناها على اثبات الولاية التشريعية للنبى والائمة ، وقدظهر لك ان المتحصل منها المستفاد من جميعها بنحو المطابقة فى بعضها والالتزام فى الاخرثبوت الولاية التشريعية للنبى والائمة (ع) .

ويظهر أيضاً حدود تلك الولاية من حيث السعة والضيق، فللنبى والائمة (ع) ولاية تامة وسلطنة عامة بالنسبة الى نفوس الامة جميعا من الرجال والنساء والولدان كماان لهم الولاية على اموالهم، اذهو مقتضى اقوائية ولايتهم، ومقتضى اطلاق جعل الولاية لهم. واطلاق الامربطاعتهم والنهى عن مخالفتهم، اذا قلنا بان الاية فى مقام البيان بالنسبة الى هذا الامر .

التنبیه الخامس

فی انه یجب علیهم ان ینصبوا خلیفة لانفسهم عند غیبتهم عن الناس ولو فی مدة قلیلة فضلا عما اذا طالت المدة ، وامتدت ایام الغیبة وتاخر زمان الظهور.

لایقال لماذا تلك الغیبة ، وما هی العلة فی خروج النبی أو الامام من بین الناس وابتعاده عنهم وحرمانهم من سعادتهم ومن الفیوض الربانیة حتی یحتاج الی تعیین خلیفة ونصب نائب ووزیر ؟

لانا نقول المستفاد من الکتاب الکریم المؤید بقضاء العقول ، ومقتضی ما طبع وجبل علیه الانسان من الغرائز، انه کانت حالات الامم والاقوام الماضین بالنسبة الی الانبیاء المبعوثین فیهم مختلفة، فمنهم قوم کانوا یقبلون دعوة نبیهم ویستجیبون لما انزله الله الیهم ، ولو کان ذلك بعد انکار ونفور ، فیؤمنون بهم ویعملون الصالحات، ویعیشون بالخیر والصلاح ، کما اتفق لقوم یونس (ع) ، وهم مأة الف أو یزیدون قال تعالی :

فلولا کانت قریة آمنت فنفعها ایمانها ، الاقوم یونس لما آمنوا کشفنا عنهم عذاب الخزی فی الحیاة الدنیا ومتعناهم الی حین . (۹۸ ـ یونس)

وقال تعالی : وارسلناه الی مأة الف أو یزیدون فآمنوا فمتعناهم الی حین.

(۱۴۷ ـ الصافات)

ومنهم قوم کانوا ینکرون الدعوات ویکفرون بالمعجزات ، ویستهزئون بالایات ویعاندون الحق کل العناد، ویفسدون فی الارض اشد الفساد، ویقتلون الانبیاء ویقتلون الذین یامرون بالقسط من الناس، فلایؤمن منهم الاقلیل ، وکان یستمر ذلك منهم بحیث یحصل الیأس للانبیاء المبعوثین فیهم ، اذ تشهد حالهم بعدم ایمانهم بل وعدم تولد نسل منهم یؤمنون بالله ویعملون الصالحات ولم یکن لانبیائهم والمؤمنین تسلط علیهم ، وتمکن من مجازاتهم . فیأمر الله انبیائه بالخروج من بینهم لیعذبهم

عذابا ويهلكهم اهلاكا .

١- فهذا نوح النبى يقول الله فيه وفى قومه: قال الملاء من قومه انا نراك فى ضلال مبين .(٦٠ - الاعراف)

مانراك الابشراً مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى ومانرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين . (٢٧ - هود)

قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون . (١١١- الشعراء)

قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين .

(٣٢ - هود)

ويقول أيضا : قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الاخساراً ومكروا مكراً كباراً وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن وداً ولاسواعاً ولايغوث ويعوق ونسراً . (٢٣ - نوح)

واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الامن قد آمن فلاتبتئس بما كانوا يفعلون(٣٦ - هود)

ثم يقول : فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين .

(١٢٠ - الشعراء)

٢ - وهذا هود النبى فيما يحكى الله عنه وعن قومه: قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين . (٦٦ - الاعراف)

... اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد آبائنا فأتنا بماتعدنا ان كنت من الصادقين(٧١- الاعراف) قالوا ياهود ماجئتنا ببينة ومانحن بتاركى آلهتنا عن قولك ومانحن لك بمؤمنين. (٥٣هود) اجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بماتعدنا ان كنت من الصادقين. (٢٢الاحقاف) .

ثم يقول تعالى: فأنجيناه والذين معه برحمة مناوقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وماكانوا مؤمنين (٧٢- الاعراف) .

۳- وهذاصالح النبی یقول‌الله فیه‌وفی قومه: قال‌الذین استکبروا انـا بالذی آمنتم‌به کافرون فعقروا الناقة وعتواعن امرربهم وقالوا یاصالح ائتنابما تعدنـا ان کنت من المرسلین (۷۷ الاعراف) قالواانما انت‌من المسحرین ماانت الابشرمثلنا ءالقی علیه الذکرمن بیننابل‌هو کذاب‌اشر(۲۵- القمر)

ثم‌یقول تعالی: ولماجاء امرنانجینا صالحا والذین آمنوامعه برحمة‌مناواخذ الذین‌ظلموا الصیحة فأصبحوا فی‌دیارهم جاثمین (۶۷-هود)

۴- وهذاشعیب النبی(ع) یقول‌الله فیه‌وفی قومه:قال الملاء‌الذین استکبروامن قومه‌لنخرجنك یاشعیب والذین آمنوامعك من‌قریتنا اولتعودن فی‌ملتنا...(وقالوا)... لئن‌اتبعتم‌شعیبا انکم‌اذا لخاسرون. (۹۰ الاعراف) قالوایاشعیب‌مانفقه کثیرا مماتقول وانالنراك فیناضعیفا ولولارهطك لرجمناك وماانت علینا بعزیز . (۹۱ هود) فأسقط علیناکسفا من‌السماء ان‌کنت من‌الصادقین . (۱۸۷ الشعراء) .

ثم‌یقول : ولماجاء امرنانجینا شعیبا والذین آمنوا معه برحمة منـا واخذت الذین ظلموا الصیحة فاصبحوا فی‌دیارهم جاثمین (۹۴هود)

۵- وهذالوط‌النبی(ع)یقول‌الله‌فی‌حقه‌وما کان جواب‌قومه‌الاان‌قالوااخرجوهم من قریتکم انهم اناس یتطهرون. (۸۲ - الاعراف) وما کان جواب قومه الاان قالوا ائتنا بعذاب الله ان‌کنت من الصادقین . (۲۹ - العنکبوت)

ثم‌یقول: فأسرباهلك‌بقطع من اللیل...فلما جاءامرناجعلناعالیها سافلهاوامطرنا علیها حجارة من‌سجیل منضودمسومة عندربك‌وماهی من الظالمین ببعید (۸۲هود)

۶ - وهذا موسی النبی العظیم یقول تعالی فیه وفی‌قومه ؟ فلماجائهم موسی بآیاتنا قالوا ماهذا الاسحر مفتری...وقال فرعون یاایها الملاء ماعلمت لکم من اله غیری...واستکبرهو وجنوده‌فی الارض‌بغیرالحق. (القصص ۳۶، ۳۸، ۳۹)

ولقد اریناه آیاتنا کلها فکذب وابی. (۵۶ طه)

ثم‌یقول تعالی : وانجینا موسی ومن‌معه اجمعین ثم اغرقنا الاخرین . (۶۶ الشعراء) فاخذناه‌وجنوده فنبذناهم‌فی‌الیم (۶۰القصص) .

ومنهم قوم كانوا لايقبلون الدعوات ولايؤمنون بالايات في ابتداء الدعوة اوفي برهة من الزمان، ولم يكن لنبيهم تمكن من حربهم والجهاد معهم ، ولم يكن الصلاح ايضا في انزال العذاب عليهم وابادتهم واهلاكهم رجاء ان يؤمنوا وتخشع قلوبهم لذكر الله ، اورجاء ان تتولد منهم ذرية مؤمنة بالله عاملة صالحة ، فيأمر الله نبيه باعتزالهم مدة والتباعد منهم برهة، لعله تعالى يحدث بعد ذلك امرا.

وقد كان الاعتزال لمراعاة حال النبي المعتزل ليشتغل بعبادة ربه اويجد في الارض مراغما وسعة ويهدي طائفة آخرين ، الاترى ان النبي العظيم موسى طلب من فرعون وقومه الاعتزال قال تعالى :

واني عذت بربي وربكم ان ترجمون وان لم تؤمنوا الي فاعتزلون.(٢١ الدخان)

والظاهر ان المقصود طلب الابتعاد امافي المكان فيسكنوا في بلد غير بلدهم اوالابتعاد عن المعاشرة والمعاملة والتلافي ونحوها ، لتندفع شرورهم عن موسى وقومه ، فلا يكونوا لهم ولاعليهم هذا، ولكن القوم لم يقبلوا دعوة الاعتزال فكان من امرهم ماكان

٧ ـ وهذا النبي الكريم ابراهيم الخليل لما دعا اباه الى الايمان بالله وترك عبادة الشيطان فأبى عن ذلك ، كما حكاه الله تعالى عنه بقوله (قال اراغب انت عن الهتي ياابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا (٤٦ ـ مريم)

وعلم ابراهيم بعدم نجح دعوته فيهم فيئس من ذلك فأخبر اباه وسائر امته بالاعتزال فقال :

واعتزلكم وماتدعون من دون الله وادعوا ربي عسى الايكون بدعاء ربي شقيا

(٤٨ـ مريم)

فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله وهبناله اسحق ويعقوب وكلاجعلنا نبيا

(٣٩ ـ مريم)

وهؤلاء اصحاب الكهف لما آمنوا بالله وربط الله على قلوبهم قاموا بالدعوة اليه تعالى ، الا انه لم يتيسر لهم ابلاغ التوحيد والقيام التام والجهاد حقه في سبيل التبليغ، فبنوا على الاعتزال والابتعاد من امتهم لعل الله يوفقهم الى مرضاته، فقال بعضهم

لبعض (واذ اعتزلتموهم ومايعبدون الاالله فأوا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من امركم مرفقا) (۱۶ـ الكهف)

فترى كيف قبلهم ربهم واعدلهم مضجعا هم فى فجوة منه ، وهيىء لهم من امرهم رشدا ، و سوف يبعثهم الله عن نومتهم او موتهم ، و يلحقهم بالامام العدل المنتظر ليجاهدوا تحت رايته ويكونوا فى ظل سلطانه ، وهذه العزلة لهم تشبه غيبة الامام(ع) فى الابتعاد عن طواغيت الزمان ، ثم الرجوع الى الناس والظهور فيهم لاصلاح حال المجتمع باحسن اصلاح .

هذا و اما الدليل على انه يجب على الله لطفا و عليهم لطفا او شرعا نصب الخليفة فى زمان اعتزالهم وغيبتهم عن الامة ، فهو بعينه الدليل الذى اقامه الاصحاب على وجوب بعث الرسل وانزال الكتب على الله تعالى ، والدليل الذى اقاموه على لزوم تعيين الخليفة على النبى بعد ارتحاله .

فانه لماعلمنا ان الله خلق عباده ليعرفوه ويوحدوه ويعبدوه علمنا انه يجب عليه لطفا وعقلا ان يعرف لهم نفسه ودينه ، ولايكون ذلك الا بارسال الرسول واعطاء الكتاب ليتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ولو لم يفعل ذلك لكان ناقضا لغرضه وقائلا لاغيا، وفاعلا لاهيا، حيث يقول: وماخلقت الجن والانس الاليعبدون. وقال: لو اردنا ان نتخذ لهواً ، لاتخذناه من عندنا ان كنا فاعلين ، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، و كذلك نقول فى حق النبى، فانه لو لم يعين الخليفة مع كون غرضه بقاء الدين وهداية المجتمع ، وايمانهم وعملهم لكان هادما لاساس الدين الذى بناه فى المجتمع ببذل وتفدية النفوس و خوض اللجج وبذل المهج ، فالخليفة من جانب النبى الاقدس اذا عرضت عليه الامانة الالهية وحمل الكتاب وعلومه، ووكل اليه دين الله، فعليه نصب من يتوكل عنه فى حمل اعباء الخلافة ، وهداية الامة، والعمل بماكان يعمل به ، فالتأمل التام فى الغرض العام الباعث على تشريع الدين وتقنين القوانين يقضى بلزوم نصب النائب على الخليفة بعدغيبته ، كماكان قاضيا بلزوم نصب الخليفة

على النبى ، ولزوم بعث النبى على الله تعالى .

ثم انه لا اشكال فى ان ذاك الغرض امر ذو مراتب ، فانه يكون الغرض تارة بقاء الدين بين الناس بمعنى كونه ميسوراً للاخذ و التعلم لمن اراد الاهتداء والعمل و لازم ذلك تعيين عالم به عارف بأصوله وفروعه على نحو يمكن للطالب الوصول اليه والاخذ منه .

والاقتصار بهذا الحد يكون احيانا لاجل مراعاة الميسور من الامر وعدم الاقتضاء فى حال المجتمع ، كما اذا اتفق طول الامد عن بعث الرسول السابق فتسلط عليهم الهوى وغلبت عليهم الجاهلية العمياء فلايمكن تبليغ الدين واجراء حدوده الا بحرب وقتال وقلب الوضع الموجود ظهراً لبطن.

ولما تتاهل الأمة لذلك ، ومن هذا القبيل ما قد ينقل احيانا من احوال الامم الماضية وغلبة الفساد عليهم وصيرورة الحجة فيهم باطنا مغموراً وخافيا مستوراً كزمان الجاهلية الاولى .

ويكون اخرى بلوغ الدين اليهم وكونه معروضا عليهم بابلاغ تام،واسماع وافهام واقامة الحجة واتمام البرهان ، مع عدم المصلحة فى القيام بالسيف والاكراه على القبول والتسليم ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة ، ومرتبة هذا فوق سابقه ، ولازمها تعيين فرد اوافراد عالمين به متصدين لابلاغه، صابرين لاتعاب النفس فى سبيل الدعوة اليه

وكذلك كان بعض الانبياء الماضين فاشتغلوا بنشر الدعوة وابلاغ الاحكام واقامة الحجة باظهار الايات والمعاجز ، بل وكان ذلك حال الائمة سوى امير المؤمنين فى اواخر ايام امامته ، والحسن (ع) فى اوائلها .

ويكون ثالثة ابلاغ الدين وتعليم الاحكام ثم اجرائها فى المجتمع رضوا اوكرهوا ، و ذلك بتشكيل الحكومة الالهية والدولة الدينية حتى يدخل الناس تحت راية واحدة ، ويجتمعوا فى نظام خاص الهى ، فيقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة

ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، فيظهر دين الله على الدين كله ، و يكون الدين كله لله ، والسلطان سلطان الله ، والحكومة حكومة الله ، فلايعصى الرحمان ولايعبد الشيطان ، وقد تحقق هذا الغرض فى الجملة بالنسبة الى شريعة محمد(ص) فى بدء نشرها وفى زمان تصدى النبى الاعظم لابلاغها واجرائها

فقام (ص) بتأسيس الدولة الاسلامية و الحكومة الالهية ، و سيكون الامر كذلك تاما كاملا بعد ظهور القائم (ع) ، فيملاء الارض عدلا باقامة قوانين الدين بين اهلها ، ويحيى من عليها بالعلم والحكمة والعمل بالشريعة المحمدية (ص).

فتحصل مما ذكرنا ان مراتب الغرض بالنسبة الى الدين مختلفة ، و انه يستلزم كون حال الحجج الحاملين للدين الكافلين له ايضا مختلفة ، فمنهم من حكمه حرمة الكتمان، ومنهم من يجب عليه البيان ، ومنهم من له الحكومة والسلطان.

وظهر ايضا ان اختلاف مراتب الغرض ناش من اختلاف احوال الناس و مقتضيات العصر، فالخليفة والحجة فى كل عصر يلاحظ حال زمانه واقتضاء عصره فاذا ساعدت الشرائط على الابلاغ فقط قام بانجازه ، واذا امكنت الرتبة الاخيرة، لزم على الخليفة القيام بها

وعلى اى تقدير فيجب على الامام نصب من ينوب عنه فى تنجيز ما كان عليه كلا اوبعضا وابلاغه ، وهذه دلالة عقلية حاكمة بوجوب نصب النائب وافية بنفسها على اثبات الدعوى بنحو الكبرى الكلية ،ويحتاج فى اثبات الوقوع وشرائط الواقع الى دليل غيرها

واذا راجعنا الادلة النقلية وجدناها وافية فى مقام تاييد حكم العقل ، كما انا نجد اخبارا كثيرة واردة فى بيان تعيين النائب و الشرائط اللازمة فيه ، و هذه الطائفة وان كانت مخدوشة سندا ، الا ان القرائن الخارجية ومنها حكم العقل المذكور تؤيدها وتسددها وتورث الاطمينان بها ، ثم انه لايخفى عليك ان للامام مناصب وشئون لابد من بيانها ولوبنحو الاجمال حتى يتسنى لنا اثباتها كلا اوبعضا فى حق نوابه .

اولها ابلاغ الدين للناس وبيان احكامه الاصولية والفروعية ونشره ودعوتهم اليه ، ومن شعب هذا المنصب الامر بالجهاد الابتدائى والتصدى له ، فانه ليس الا للدعوة الى التوحيد وعرض الدين عليهم ليقبلوا .

ثانيها حفظ الدين و قواعده بواسطة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعمدة عد هذا من منصب الامام بلحاظ مرتبته الاخيرة ، وهى حمل الناس على الاتيان بالواجبات وترك المحرمات ولو بالضرب والجرح والقتل ، والا فالمرتبة الاولى والثانية بمعنى الحب والكراهة بالقلب اوالبعث والزجر بالقول ونحوه وظيفة لجميع الناس من آمن منهم بالله واليوم الاخر

ثالثها اجراء الحدود والتعزيرات للمتخلفين عن حدود الله واحكامه، وهذا المنصب ثابت للامام قطعا ، وهوالذى عنونوه فى الفقه واختلفوا فى ثبوته لنواب الامام وعدمه ، والفرق بينه وبين سابقه ان ذلك شرع دفعا لمخالفة الناس للاحكام وصونا عن وقوع العصيان ، وهذا شرع بعد وقوع المخالفة مجازاة وعقوبة وان كان قد يؤثر تاثير الامر والنهى بالنسبة الى المستقبل

ورابعها القضاء بين الناس فى الخصومات ،والحكم فيما بينهم فى منازعاتهم

وخامسها تولى الامور الاقتصادية والمالية بجمع امواله المربوطة بنفسه بعنوان رئاسته ، والاموال المتعلقة بالمسلمين ، وحفظها وصرفها فى مصارفها ، ويدخل فيه التصرف فى الاراضى الخراجية بالتقبيل والاجارة والبيع احيانا ، وجباية خراجها والمقاسمة مع اهلها ، وجمع الزكوات واخذ الاخماس والانفال واخذ الاراضى المحياة بغير اذنه عن ايدى الكفار، واخذ الجزية عن اهل الجزية ، والتصرف فى الاموال المجهول مالكها ، واللقطة ونحوها ، وبالجملة التصدى لجميع امور بيت ماله وبيت مال المسلمين .

سادسها: تولى سياسة الجند من جمع العسكر وتجنيد الجنود وتعيين رؤسائها والاجراء عليها من بيت المال ، والنظر فى ترسيم اوضاع الحرب ، وتولى امرها

بالمباشرة اوالتسبيب ، ويدخل فيه الصلح مع الكفار ، وتعيين الجزية و شرائطها ، والجهاد مع الكفار ابتداء للدعوة اودفاعا ، اوالقتال مع المسلمين اذا خالفوا الامام فنكثوا بيعته ، اومرقوا عن طاعته ، اوامتنعوا عن قبول الحق.

سابعها ولايته على النفوس بتعيين العمال والرؤساء للامور العامة ، والمتصدين للاشغال المختلفة الاجتماعية، كنصب القضاة وعزلها، وتعيين عاملي الخراج والمقاسمة والزكاة والاوقاف العامة ، ومن هذا القسم اجبار الممتنعين على اداء حقوقهم ، والتكفل لاصلاح حال الايتام ، ونصب القيم لهم ، وتعيين المتولى على الاوقاف العامة ، اوعزل متوليها عنداحراز الخيانة منهم ، والحجر على اهل الافلاس والمجانين وطلاق زوجة الغائب وغيرها

اذا عرفت ذلك فنقول لا اشكال فى عدم تحقق النصب العام بمعنى جواز تصدى كل احد لامر النيابة، بل يختص بافراد معينين مع شرائط خاصة، وهل لواجدى الشرائط تولى جميع تلك الامور اوبعضها ؟ فيه اختلاف بين الاصحاب ، فاللازم التكلم فى مقامات ثلاث.

الاول: فى ذكر الدليل على اصل النصب.

الثانى: فى شرائط المنصوب.

الثالث ـ فى المنصوب لاجله، و انه هل هو جميع المناصب التى يتصداها الامام او بعضها .

اما الاول فقد عرفت دلالة العقل على وجوبه، ويكون ما ورد فى ذلك شاهدا على وقوعه، والوارد فى هذا الباب من الاخبار كثير يورث الاطمينان بصدور عدة منها، مع انه بعد ما استقل العقل بلزوم النصب ، وعدم وجدان دليل عليه غيرها ، نقطع بصدورها فى الجملة ، والا لزم صدور القبيح عن الحكيم اوالمعصوم، فعن مولانا الصادق :

العلماء ورثة الانبياء وذاك ان الانبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا.
(الكافى ج۱ ص۳۲ حديث۲)

العلماء امناء الرسل .

مجارى الامور بيد العلماء بالله ، الامناء على حلاله وحرامه .

علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل .

ان منزلة الفقيه فى هذا الوقت كمنزلة الانبياء فى بنى اسرائيل .

(نهج) اولى الناس بالانبياء، اعلمهم بما جائوا به «ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا» (٦٨ آل عمران)

اللهم ارحم خلفائى الذين يأتون بعدى ويروون حديثى وسنتى

(ئل ١٨ ص ١٠٠ ج ٧)

مقبولة عمر بن حنظلة: انظروا الى رجل منكم ممن قد روى حديثنا ، ونظر فى حلالنا وحرامنا، وعرف احكامنا فيرضوا به حكما، فانى قد جعلته عليكم حاكما، فاذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فانما استخف بحكم الله وعلينا رد ، و الراد علينا الراد على الله، وهو على حد الشرك بالله (الكافى ج١ باب اختلاف الحديث ح١٠)

(ئل ج ١٨ ص ٩٩ ح ١)

ومشهورة ابى خديجة سالم بن مكرم عن الصادق (ع) : اياكم ان يحاكم بعضكم بعضا الى اهل الجور، ولكن انظروا الى رجل منكم يعلم شيئا من قضايانا فاجعلوه بينكم ، فانى قد جعلته قاضيا فتحاكموا اليه (ئل ج١٨ ص ٤ ح ٥)

ومكاتبة الحميرى فى اكمال الدين عن اسحاق بن يعقوب: قال سألت محمد بن عثمان العمرى ان يوصل لى كتابا قد سألت فيه عن مسائل اشكلت على ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان : اما ما سألت ارشدك الله وثبتك . . . . الى ان قال : واما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا، فانهم حجتى عليكم، وانا حجة الله . (الوسائل ج١٨ ابواب صفات القاضى ص ١٠١ ح ٩)

هذه مجموع ماذكروه فى المقام لاثبات الولاية والخلافة للمنصوب من قبل الامام، والظاهر انه لامناص عن القول بكون المنساق منها اومن بعضها نصب الخليفة

و النائب ولو بقرينة حكم العقل المذكور ، فيتأيد بذلك حكمه ، ولايرد ماقد يستشكل فى دلالتها او ان جميعها او جلها ضعيف سندا او ان وما يمكن القول باعتبار سنده منها مخدوش دلالة ، وبعبارة اخرى ماهو الظاهر منها غير صحيح ، وما هو الصحيح غير ظاهر ، لكون حكم العقل قرينة قطعية على المراد ، فقوله (ع) (مجارى الامور بيد العلماء بالله اه) وقوله (ع) (واما الحوادث الواقعة) وقوله (فانى قد جعلته عليكم حاكما) و غيرها لم يرد الالتعيين المرجع العام للمسلمين من امورهم الدينية والاجتماعية والسياسية ، مما يرجع فى ذلك الى زعيم القوم ورئيسهم .

قال الفاضل الهمدانى فى اواخر كتاب الخمس من مصباح الفقيه : ولكن الذى يظهر بالتدبرفى التوقيع المروى عن امام العصر (ع) الذى هو عمدة دليل النصب ، انما هواقامة الفقيه المتمسك برواياتهم مقامه بارجاع عوام الشيعة اليه فى كل مايكون الامام مرجعا فيه، كيلا يبقى شيعته متحيرين فى ازمنة الغيبة .

ثم قال بعد نقل التوقيع المزبور(ومن تدبر فى هذا التوقيع الشريف يرى انه (ع) قد اراد بهذا التوقيع اتمام الحجة على شيعته فى زمان غيبته بجعل الرواة حجة عليهم على وجه لايسع لاحدان يتخطى عما فرضه الله معتذراً بغيبة الامام، لامجرد حجية قولهم فى نقل الرواية اوالفتوى .

فان هذا مع انه لايناسبه التعبير بحجتى عليكم ، لايتفرع عليه مرجعيتهم فى الحوادث الواقعة التى هى عبارة عن الجزئيات الخارجية التى من شأنها الايكال الى الامام (ع) ، كفصل الخصومات ، وولاية الاوقاف ، والايتام ، وقبالة الاراضى الخراجية التى قصرت عنها ايدى سلاطين الجور، وغيرذلك من موارد الرجوع الى الامام.

واما الثانى اعنى شرائط المنصوب، فالمستفاد من تلك الاخبار وغيرها امور، هى العلم ، والعدالة ، والزهد .

اما العلم فلانه قد جعل موضوعا للحكم فى بعضها ، ووصفا للموضوع فى بعضها الاخر ، والمراد بالعلم هنا العلم بالاحكام الشرعية، ويلازمه العلم بعدة فنون مما لايمكن اظهار النظر فى احكامها الابالاطلاع عليها ولو بنحو الاجمال ، فاقسام العلوم الحادثة فى العصور المتأخرة كعلم الاقتصاد وعلم التشريح ونحوهما اذ كانت مورداً لفتوى النائب، لزمه التبصر فيها والاطلاع عليها ولو فى الجملة .

وله ان يستمد فى مقام اصدار الفتوى من انظار اهل تلك العلوم، ويستفيد منهم ماله دخل فى تشخيص موضوع الحكم، ومن اهم مايلزم النائب، العلم والاطلاع ولو اجمالاً على احوال المجتمعات المعاصرة له ، وهذا امر واضح عند العقل ولا حاجة فيه الى التنصيص والتصريح، فغير العالم باوضاع الخلق واحوالهم كثيراً مايقع فى طريق خدمة اهل الهوى والرئاسات .

فانه اذا كثر المكر والحيل فيما بين الناس، وشاعت الخدعة والدغل فيهم، ولم يكن النائب العام وخليفة الامام بصيراً بذلك، قادته الشياطين واختلسته الطواغيت، وهو يلقى اليهم القياد من حيث لايشعر، ويقع فى سبيل الخدعة لاهوائهم ، بعلومه وفتاواه ، وكتبه وسائر شئونه ، ولعله لذلك ورد عن مولانا الصادق (ع) فى مقام توصيف طلبة العلم وانهم ثلاثة اصناف .

قال(ع) فى بيان اوصاف الصنف الذى يطلبه للفقه والعقل: (يعمل ويخشى وجلا داعيا مشفقا مقبلا على شانه عارفا باهل زمانه مستوحشا من اوثق اخوانه ، (كا ج١ ص٤٩ ج٥)

فاذا كان المعرفة لاهل الزمان مطلوبا من طلبة علم الدين، فكيف بمن يتصدر للامر، ويتصدى لشئون المسلمين، وهو رئيسهم والحكم فيما بينهم ، وعن مولانا اميرالمؤمنين(ع) .

(ايها الناس ان احق الناس بهذا الامر اقواهم عليه واعلمهم بأمرالله فيه)
(نهج خطبة ١٨٣ ص٢٤٧)

ثم اعلم ان بين علم الامام، والخليفة النائب عنه فرقا من جهات.

الاولى كون علم المعصوم علما موهوبا الهيا حاصلا من قبل الله تعالى بواسطة جبرئيل كالنبى الاعظم، اومن المعصوم الذى كان قبله كالائمة عليهم السلام، فالقرآن كله ومعارفه واحكامه وصل الى النبى الاعظم ومنه الى الائمة(ع) مستقلا وبلاتدريس من احد كما قال تعالى :

«نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين .

واما خلفاء الامام فعلمهم بالاحكام اكتسابى تحصيلى من الكتاب والسنة ، مستنبط منهما .

الثانية: انه لايتطرق الخطاء والشبهة فى علومهم، بل هم معصومون عن ذلك كما عرفت ، والخطاء واقع فى علوم خلفائهم حتى فى القطعيات مما استنبطوا ، فضلا عن الاحكام التى افادوها من الامارات الظنية والاصول العملية.

الثالثة: انه لاحكم ظاهرى للنبى والائمة فى الاحكام الكلية، بل كل ما اخبروا به فهو حكم الهى واقعى ، متخذ عن الملك ثم من اللوح و القلم من العلم الازلى الالهى بل لوقلنا بعلم الامام بجميع الموضوعات الخارجية فلاحكم ظاهرى لهم فى الشبهات الموضوعية ايضا، وهذا بخلاف الخليفة فترى ان رسائلهم العملية مملوة من الاحكام الظاهرية .

الرابعة: كون علم الخلفاء محدوداً معدودا قليلا جداً بحيث قدلايكفى لرفع حوائج الامة الاسلامية، خاصة فيما اذاتجددت الحوائج و حدثت امور احوجتهم الى استنباط حكم جديد من الادلة.

و اما العدالة: فيدل على اشتراطها فى النائب امور: و ليعلم اولا ان المراد بالعدالة هنا ليس خصوص ما عرفه الفقهاء فى الفقه فى شرائط امام الجماعة وشاهدى الطلاق وغيرهما بانها فعل الواجبات وترك المحرمات، او انها ملكة راسخة باعثة على ذينك الامرين، فان ذلك تعريف لها بنحو الاجمال .

ولايخلو عن ابهام ونقص ، كمايعلم ذلك من ايقاعها احياناً فى مقابل اشتراط الاسلام والايمان، وعلى اى حال فهى فى اللغة عبارة عن الاستقامة والاستواء، والمراد

بهافى المقام استقامة الانسان من جهات شتى :

الاولى: من جهة عقائده الباطنية .

والثانية: من جهة اخلاقه وصفاته النفسية ،

والثالثة: من جهة اعماله الجوارحية .

والرابعة: من جهة مراعاته حقوق غيره، فانه بعد ما قلنا ان له نوع تسلط على النفوس و الاموال ، فعليه بعدد كل رعية من الرعايا و كل مال من الاموال المتعلقة بهم ، حق ثابت يجب الوفاء به والخروج عن عهدته، وهذه هى العمدة فى الخليفة المنصوبة والمتولى لامور الناس، واكثر ماورد فى المقام من الاحاديث ناظر الى هذه الجهة ، و كيف كان فالمستفاد من الادلة ان العدالة واجب التحصيل بنفسها واستقلالا على جميع الناس ، مضافا الى كونها شرطا فى امور كثيرة، منها التصدى لمقام النيابة.

اما وجوبها نفسا على الكل فلانه مقتضى وجوب الايمان و العمل الصالح كماهو واضح.

مع انه يدل عليه ايضاً بنحو العموم قوله تعالى :

ولايجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله .

(٨- المائدة)

و قوله تعالى : ان الله يأمر بالعدل و الاحسان و ايتاء ذى القربى .

(٩٠- النحل)

وقوله تعالى : وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين.

(٤٢- المائدة)

و قوله تعالى : يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله .

(١٣٥ - النساء)

وقوله تعالى: قل امر ربى بالقسط(٢٩-الاعراف)

وقوله تعالى: وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط(٢٥-الحديد)

ويدل على الوجوب في خصوص بعض الموارد قوله تعالى:

و اذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل (٥٨ ـالنساء)

وقوله : فان فائت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا. (٩ـ الحجرات)

واما مايدل على اشتراطها في المقام اعنى في النائب والخليفة عن الامام ، فالادلة الاربعة.

اماالعقل فلحكمه الجازم بان من ولاه الله امور الناس وجعله مسلطا على النفوس والاموال ، لايكون فاسقا فاجرا، ليفسد في الارض و يهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد .

واما الكتاب فلفحوى مادل على اشراطها في موارد كثيرة:

١ـ قال تعالى في حاكمى كفارة الصيد:

لاتقتلوا الصيد و انتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة.(٩٥ـالمائدة)

٢ـ وقال تعالى : في شاهدى الوصية:

يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم (١٠٦ المائدة)

٣ـ وقال تعالى في شاهدى الطلاق :

واشهدوا ذوى عدل منكم واقيموا الشهادة (٢ـ الطلاق)

وفي روايات امام الجماعة وشرائطه عن الباقر (ع) قال لاتصل خلف من لاتثق بدينه (ئل ٥ ابواب صلاة الجماعة ب١١ ح٨)

و عن مولانا الجـواد (ع) قال: ان كان الذى يؤم بهم ليس بينه و بين الله طلبة فليفعل (ح١٢)

فاذا كانت العدالة معتبرة في شهود كفارة الصيد من الغنم والبقر والابل و في شهود الايصاء بالمال ولو كان نزراً يسيراً ، و في شهود طلاق المرأة وامام الجماعة وغيرهما، فكيف لاتعتبر في امام القوم وزعيم الملة وهويريد التصرف في

النفوس المحترمة والاموال الجمة الغفيرة؟ فالاولوية ثابتة قطعا.

ولقوله تع: وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم (١٥ الشورى) فالامر المتعلق بالنبي بان يعدل بين الرعية، امر لكل راع، لرعية كما ورد فى الاثار كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته، والاية ظاهرة فى العدل فى الحقوق، و هو القسم الاخير من اقسامه.

و اما السنة فلقول امير المؤمنين لشريح (ثم واس بين المسلمين بوجهك ومنطقك ومجلسك، حتى لايطمع قريبك فى حيفك، ولاييأس عدوك من عدلك

(ئل ١٨ ص١٥٥ ح١ - ص٢٥٦ ح٢)

وقوله « ع »: وان افضل قرة عين الولاة استقامة العدل فى البلاد، وظهور مودة الرعية. (كتابه الى مالك ص٤٣٣)

واما الاجماع فلما هو مسلم عند علماء الشيعة من لزوم العدل فى النائب قاضيا كان او مفتيا اوغيرذلك، ويظهرذلك للمراجع المتتبع.

و اما الزهد فلمامر من كلام على « ع » فى النهج: (ان الله قد فرض لائمة العدل ان يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره) (نهج خطبة ٢٠٧) والظاهر ان المراد بائمة العدل ليس خصوص الامام المنصوب من قبل الله تعالى، بل كل من له الرئاسة و الامامة بالحق فى مقابل ائمة الجور والظلم من الجبابرة والطواغيت، و ربما يشهد له التعليل، وهو قوله كيلا يتبيغ، والتبيغ هو التسلط والغلبة.

ولقوله «ع» ايضا: (وقد علمتم انه لاينبغى ان يكون الوالى على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل، فتكون فى اموالهم نهمته، ولاالجاهل فيضلهم بجهله اه) (نهج خطبة ١٣١ ص١٨٩)

ولازم اشتراط عدم البخل والنهمة، بذل اموال المسلمين لهم وزهادته عنها.

وعن مولانا السجاد «ع» فى حديث. اذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه

فرويداً لا يغرنكم ، فما اكثر من نصب الدين فخا، فان تمكن من حرام اقتحمه ، واذا وجد تموه يعف عن المال الحرام ، فرويداً لا يغرنكم ، فما اكثر من ينبو عن المال الحرام ، و يحمل نفسه على شوهاء قبيحة، واذا وجد تموه يعف عن ذلك، فرويداً لا يغرنكم، حتى تنظروا ماعقله، فما اكثر من ترك ذلك اجمع،ثم لايرجع الى عقل متين ، واذا وجدتم عقله متينا ، فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا مع هواه يكون على عقله ، او يكون مع عقله على هواه ، وكيف محبته للرئاسات الباطلة وزهده فيها .

و لكن الرجل كل الرجل نعم الرجل ، هو الذى جعل هواه تبعا لامر الله، وقواه مبذولة فى رضا الله، فذلكم الرجل نعم الرجل فيه فتمسكوا، وبسنته فاقتدوا قال صاحب الوسائل هذا مخصوص بمن يؤخذ عنه العلم ، ويقتدى به فى الاحكام الدينية ، كما هو الظاهر، لا بامام الجماعة (ئل ۵ ابواب صلاة الجماعة ب۱۱ ح۱۴)

واما المقام الثالث وهو بيان ما لاجله النصب ، فقد قيل ان نيابة الخليفة من الامام تختص ببيان الحلال و الحرام ، والقضاء بين الناس ، اذ لايستفاد من تلك الادلة ازيد من ذلك ، وان كان بيان الاحكام فى الامام يغاير البيان فى نائبه ، من جهة ان الامام يبين الاحكام الواقعية فى كل مورد على ما هو عليه بلا تطرق اى شك وشبهة فى ذلك كما مر، واما النائب عنه فله فى بيان الاحكام طريقان .

الاول ـ نقل الرواية والحديث بالفاظ الامام اوبنحو النقل بالمعنى ، فالامام ينقل الحكم عن الله . والراوى ينقل عن الامام ، ويجب على المنقول اليه تصديقه والعمل على وفق ما اخبر به ، سواء افاد العلم بالواقع ام لا ، وقد سموا هذا فى علم الاصول بالخبر والسنة ، وقسموه الى الواحد والمستفيض والمتواتر ،واستدلوا على حجية القسمين الاولين ولزوم الاخذ بها بمفهوم آية النبأ وبآية الكتمان وغيرهما من الادلة .

الثانى ـ الافتاء وهو الاخبار عن الحكم الذى استظهره من الادلة الموجودة

عنده ، واستفاده من نصوصها او ظواهرها فيما لم يتيسر له تحصيل العلم بالاحكام الواقعية ، وهو بهذا العنوان فقيه و مفت ، و هو الذى استدلوا لحجيته على الجاهل بآية السؤال ، وما دل على لزوم رجوع الجاهل الى العالم وغيرهما و بهذا البيان ظهر لك اندفاع اشكالين .

الاول ما يستشكله بعض الجهلة بان الحكم المنزل من السماء الى النبى و المودع بيده عند الامام واحد ، فكيف وقع الاختلاف بين نوابه ، فيحكم هذا بحكم وذاك بخلافه ، وثالث بخلافهما .

وقد يؤيد ذلك بقول مولانا اميرالمؤمنين (ع) : (ترد على احدهم القضية فى حكم من الاحكام ، فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره ، فيحكم فيها بخلاف قوله ، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذى استقضاهم ، فيصوب آرائهم جميعا ، والههم واحد ، ونبيهم واحد ، وكتابهم واحد ، افأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه ، ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل الله سبحانه دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه ، ام كانوا شركاء له ، فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى ، ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول (ص) عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول : (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) وفيه تبيان لكل شيء ، وذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضا، وانه لا اختلاف فيه ، فقال سبحانه : ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اه (خطبة ١٨ من النهج ص ٦٠)

واما الثانى فهو ما استشكله الاخباريون على الفقهاء الاصوليين من تقبيحهم صدور الفتوى منهم ،وقولهم ان اظهار الرأى والاعتقاد فى مسئلة من المسائل جرأة على الله تعالى ، وليس لغير النبى والامام المنصوب من قبله اظهار الرأى ، بان يقول هذا رأيى ، وهذا مما افتى به ، ثم يأمر الناس باتباعه وتقليده ، وكل ذلك باطل و خلاف ما انزله الله على رسوله ، فهو بدعة والبدعة فى النار

والجواب عن الاشكالين انه قد ظهر لك ان بيان الاحكام فى ناحية الامام ،

عبارة عن اخباراته عن الله تعالى وعن احكامه الواقعية المكتوبة فى اللوح المحفوظ و اما النائب المفتى فحيث ان الامام المنصوب غائب ، ولايمكنه الوصول الى جميع الاحكام الواقعية بنحو القطع ، فان اتفق له الوصول الى الحكم الواقعى بعد الفحص والاجتهاد فهو مصيب

وان لم يتفق له ذلك كما يقع كثيرا ، فيفتى بما استفاده من ظواهر الادلة بظن انه حكم الهى واقعى ، مع احتمال الخطاء ايضا ويطلق عليه الحكم الظاهرى ، فالمجتهد الذى اخبر بالحكم الظاهرى لايدعى انه حكم واقعى الهى مطابق لما عندالله وعند وليه .

بل هو يعترف بانه لايستطيع ادراك الواقع، والجأته الحاجة الى تلك الاستفادة والعمل به لنفسه ومراجعيه ، اذ لايجوز عقلا ترك الاحكام الواقعية بالكلية اعتذاراً بعدم العلم بها ، كما انه لايمكن اولا يجب الاحتياط التام فى اطراف محتملاتها لعدم القدرة اوللزوم العسر والحرج المنفيين قطعا .

وح فيمكن ان يستفيد المفتى الاخر من ظواهر الادلة خلاف مااستفاده الاول وهكذا النائب الثالث والرابع ، فيقع الاختلاف فى الفتاوى و الجميع معترفون بوحدة الحكم الواقعى ، و كون الاختلاف فى الحكم الظاهرى وهو ما استفادوه من الادلة و زعموه حكما واقعيا ، و نتيجة الكلام ح انه ليس فى كل واقعة من اعمال العباد الاحكم الهى واحد

فان ادركه الجميع و وصلوا اليه قطعا فهو ، والا كان غيره حكما ظاهريا لامناص لهم عن الاخذ به والعمل على طبقه، حفظا للواقع عن الانطماس والاندراس اذااهملوه رأسا ، وللنفوس عن الوقوع فى العسر والحرج المنفيين شرعا والموجبين لنفور الناس عن الدين اذا عملوا بالاحتياط التام لادراكه ومثل المقام كمثل المريض الذى اجتمع عليه الاطباء لمعالجته .

فتارة يظهر لهم الحال ويطلعون على المرض ويتوافقون على مداواه ويعلمون دوائه ، واخرى لم يتفقوا على قول ويزعم كل واحد له مرضا خاصا ودواء مخصوصا

وثالثة يعترف الجميع بعدم العلم بالمرض فيداوى كل بمايكون مسكنا فعليا للالام مع اختلافهم في الدواء المسكن ، او وفاقهم ، فهنا للاطباء تكليف ، و للمريض تكليف آخر .

اما الأطباء فلااشكال في ان وظيفتهم اذالم يحصل لهم الوفاق ان يظهر كل منهم مافهمه من المرض والدواء ، واما المريض فان حكم عقله في صورة الاختلاف بلزوم ترجيح الاعلم والافضل ، والاكان مخيرا في العمل بقول من شاء واراد، فعلم بذلك جواب الاشكال الاول وانه ليس لله في كل حادثة احكام مختلفة بل حكم واحد والاختلاف نشأ من عدم القدرة على الوصول اليه .

واما كلام مولانا اميرالمؤمنين ، فليس المراد به نفي الاختلاف وذمه مطلقا ، وبيانه ان الاحكام الشرعية التي يستفيدها المجتهد من الادلة على اقسام ثلاثة.

الاول القطعيات المتخذة من نصوص الكتاب الحكيم والروايات والمتواترة او المحفوفة بالقرائن القطعية ، وهذا القسم لا اختلاف فيه غالبا بين المجتهدين

والثاني ـ الاحكام المستنبطة من الامارات وظواهر الكتاب والسنة كماعرفت

الثالث: الاحكام المستفادة من الاصول العملية الجارية في موارد عدم الامارات كالاباحة المدلول عليها بالبرائة والا ستصحاب وغيرها ، والاختلاف بين الفقهاء لايكون الافي هذين القسمين فترى ان فقيها استظهر من امارة اواجراء اصل من الاصول حكماخاصا ،واستظهر الاخر حكما مخالفاله ، فعلم ان منشأ اختلاف الفتيا على الغالب هو العمل بالامارات والاصول العملية، ورفع الاختلاف لايكون الابترك العمل بهما والرجوع الى النصوص القطعية ، وحيث انهاغير وافية ببيان جميع الاحكام الواقعة وما يبتلى به الناس منها ، فلامناص عن الرجوع الى الامارات والاصول

مع انه وردت اخبارمتواترة آمرة بالرجوع اليهافي مقام تشخيص الوظائف واستفادة الاحكام، فراجع ادلة حجية خبر الواحد والاصول العملية من الاستصحاب والبرائة وقاعدة الطهارة وغيرها ، وعليهذا فهل يمكن توجه الذم و التوبيخ الوارد

فی كلام علی(ع) الی هذا النوع من الاختلاف ، مع انه من اللوازم الحسية للعمل بتلك الامارات والاصول كلا ، ولايكون ذلك قطعا .

نعم وهيهنا اختلاف فی الفتيا بطريق آخر وقع بين طائفة كثيرة من علماء الاسلام وهو الاختلاف الناشی عن العمل بالقياس و الاستحسان ، وهما المنشأ لاغلب الاختلافات الواقعة فيما بينهم ، وانت خبير بانهم عاملون بهما فيما اذا لم يكن فی ـ المسئلة دليل من الكتاب والسنة النبوية، ولايعتنون باقوال ائمة اهل البيت ، كما انهم لايعتقدون بامامتهم ، فهم مع اعترافهم بحديث الثقلين قد تركوا العمل برواياتهم ، وعملوا بالقياس والاستحسان .

فالاختلاف الواقع بينهم كالعمل بمنشائه ، امر مبغوض عند الله ورسوله ، ولااشكال فی كون كلام علی (ع) راجع الی ذلك وتوبيخا عليه ، وذما لاعراضهم عن التمسك بما امر به النبی بقوله : ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا .

ففی موثقة سماعة بن مهران عن الكاظم (ع) مالكم وللقياس ، انما اهلك من هلك من قبلكم بالقياس ، لعن الله فلانا كان يقول قال علی وقلت انا وقالت الصحابة وقلت انا ، ثم قال اكنت تجلس اليه فقلت لاولكن هذا كلامه .

(ئل ۱۸ ابواب صفات القاضی ب۶ ح۳)

وفی صحيحة ابان عن الصادق (ع) قال ان السنة لاتقاس الاترى ان المرأة تقضی صومها ولاتقضی صلاتها ياابان ان السنة اذاقيست محق الدين (ئل ۱۸ ب۶ ح۱۰)

وفی رواية مسعدة بن صدقة عن الباقر «ع» عن علی «ع» قال من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره فی التباس ، ومن دان الله بالرأی لم يزل دهره فی ارتماس (ب۶ ح ۱۱) فعلم بما ذكرنا ان الاختلاف بين فقهائنا الامامية لم يقع غالبا الافی مؤدی الامارات والاصول ، وان الحكم الواقعی الالهی فی تلك الموارد واحد ليس بمتعدد ولا مختلف ، والاختلاف انما نشأ عن الجهل بها، وكيفية اتخاذ الطريق فی الوصول اليها من العمل بالظواهر واجراء الاصول ونحوهما ، وذلك من لوازم عدم وجود الحجة العالم بجميع الاحكام ، و من نتائج غيبته عنا فيرجع الامر بالاخرة الی

قصورنا وتقصيرناوعدم جدارتناللقائه والكون تحت رايتهوا كتساب سعادة الدارين بشريف وجوده

ويعلم مما ذكرنا جواب اشكال الاخباريين، فان المجتهدالمستنبط للاحكام عن الامارات والاصول فى الموضوعات التى لايمكنه الوصول اليها علما، لايدعى كونه حكما واقعيا الهيا، ولاكونه نفسه مشرعا للاحكام ولاجاعلا لها ، بل هويقول ان المستفاد من هذا الكلام الصادر من الله تعالى، أو من المعصوم مثلاهذا المعنى وان ظاهرهذا اللفظ يعطى هذا الحكم الايجابى أو التحريمى ، وحيث انه مأمور شرعا بالاخذ بتلك الامارات والاصول والعمل على وفقها كما هو مقتضى حجية الاخبار ، فلاجرم يتخذ ما استفاده وظيفة الهية لازم الاتباع وبرنامجا عمليا واجب الجرى على طبقه .

وأما عوام الناس وبسطائهم فمقتضى القانون العقلائى أو الفطرى العقلى ، هورجوع كل جاهل فى كل موضوع وحادثة الى العالم بحكمه والعارف بالوظيفة فيه، فعليهم ان يقلدوا فى المقام المجتهد المستنبط للاحكام وهذا أمرغيرقابل للخدشة والانكار .

وأماثبوت منصب القضاء للنائب فلماعرفت من دلالة المقبولة والمشهورة .

هذا والظاهر قيام النائب مقام الامام فى جميع ماله من المناصب الاماشذ من الاحكام كما لعلك تعرف .

والدليل عليه امور .

الاول مانقلناه آنفا من قوله (ع) مجارى الامور بيد العلماء بالله الامناء على حلاله وحرامه .

الثانى مكاتبة الحميرى وقد ذكرناها أيضا عند بيان الدليل على اصل وجوب النصب .

الثالث: ان اللازم مقايسة المنصوب بالنصب العام فى هذه الازمنة على المنصوب بالخصوص فى زمان حضور الامام (ع) ، فالنائب فى هذا العصر حكمه حكم محمد

ابن أبي بكر وابن عباس ومالك الاشتر وغيرهم (ره)، وانت اذا لاحظت الكتب التى كتبها الامام (ع) اليهم وأورد فيها مايدل على حكمهم ووظائفهم، اذعنت كل الأذعان واعتقدت جازما باتا على ان له جميع ماللامام ، فهاك قطعات من كلامه (ع) فى كتاب له الى الاشتر النخعى (رض) حين ولاه على مصر وأعمالها بعد ما اضطرب أمر محمد بن أبى بكر. قال (ع) : (نهج خ ٥٣ ص ٤٢٦)

و اعلم انه ليس شيىء بأدعى الى حسن ظن راع برعيته من احسانه اليهم و تخفيف المؤنة عنهم . (ص ٤٣١)

وقال (ع) : وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء فى تثبيت ماصلح عليه أمر بلادك ، واقامة مااستقام به الناس قبلك (ص ٤٣١)

وقال (ع) : وأعلم ان الرعية طبقات لايصلح بعضها الابعض ، الجنود ، كتاب العامة ـ قضاة العدل ـ عمال الانصاف ـ أهل الجزية ـ التجار و أهل الصناعات ـ الطبقة السفلى ـ ثم قال ولكن على الوالى حق بقدر مايصلحه. (ص ٤٣١)

وقال (ع) : وليكن آثر رؤس جندك عندك من واساهم فى معونته وأفضل عليهم من جدته . (ص ٤٣٣)

وقال (ع): وان أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل فى البلاد وظهور مودة الرعية . (ص ٤٣٣)

وقال (ع) : ولاتصح نصيحتهم الابحيتطهم على ولاة الامور وقلة اشتثقال دولهم

وقال (ع) : ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك فى نفسك . (ص ٤٣٤)

وقال (ع) : ثم انظر فى امور عمالك فاستعملهم اختباراً ، ولا تولهم محاباة واثرة .

وقال (ع) ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم (ص ٤٣٥)

وقال (ع): وتفقد أمر الخراج بمايصلح أهله فأن فى صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم (ص ٤٣٦)

وقال (ع) : ثم انظر فى حال كتابك ، فول على امورك خيرهم واخصص رسائلك التى تدخل فيها مكائدك وأسرارك باجمعهم لوجوه صالحى الاخلاق (ص٤٣٧)

وقال (ع) : وأجعل لرأس كل أمر من امورك رأسا منهم (٤٣٧)

وقال (ع) : ثم استوص بالتجار وذوى الصناعات وأوص بهم خيرا المقيم منهم، والمضطرب بماله ، والمترفق ببدنه ، وان فى كثير منهم، ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكاراً للمنافع وتحكما فى البياعات ، وذلك مضر للعامة ، وعيب للولاة ، فامنع من الاحتكار ، فان رسول الله منع منه ، وليكن البيع سمحاً بموازين العدل، فمن قارف حكرة بعد نهيك أياه ، فنكل به وعاقبه فى غير اسراف . (ص٤٣٨)

وقال (ع) ثم الله الله فى الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم من المساكين والمحتاجين ، وأجعل لهم قسماً من بيت مالك ، وقسماً من غلات صوافى الاسلام فى كل بلد . (٤٣٨)

فترى انه قد فرض مالكاً الاشتر أممن له رعية يجب ان يحسن ظنه بهم وله بلاد يلزمه العدل فيها، واصلاح أمرها واقامة أهلها ، وان رعاياه طبقات شتى ، ولكل عليه حق وان له جنوداً وؤساء الجنود .

وان من اللازم نصح الرعايا له وعدم استثقالهم دولته ، وان له انتخاب القضاة واختيار العمال ، وبعث العيون اليهم، وتفقد أمر الخراج والمقاسمة ، واصلاح امور الناس ، والنظر فى حال الكتاب ، ومراعاة حال التجار، وذوى الصناعات ، والمنع عن الاحتكار، وعقاب المحتكرين، والتوجه الى الطبقة السفلى ، وتقسيم بيت المال فيهم ، الى غير ذلك من الامور التى ليست الا من وظائف نفس الأمام (ع) ، فهو (ع) قد رتب الجميع على من عينه لتصدى امور ناحية معينة ، مما كان تحت سلطنته.

قال تعالى : **ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم (٦٢) فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين** (٦٣آل عمران) .

التفسير

مرجع الاشارة اما الى جميع القصص والحالات التى حكاها الله عن عيسى من لدن بشارة مريم بولادته الى توفيه ورفعه اليه ، كما سردت من الاية ٤٥ الى الاية ٥٥، او الى خصوص قصة المباهلة، وعلى اى تقدير، فالقصص بالفتح بمعنى التحديث والنقل ، والمعنى ان ذاك التحديث حق ثابت، مطابق للواقع لايتطرق اليه كذب ولاخطاء واشتباه ، اذ قد نزل به الروح الامين على قلب النبى الكريم من عند رب العالمين .

ثم انه حيث كان المستفاد من ذاك القصص تولد عيسى من بشر مثله، واعترافه بعبوديته لربه ، وعدم كونه الها وربا ، بين تعالى انه مامن اله الا الله ، والاله مصدر بمعنى العبادة اوالتحير ، والمراد به هنا المعبود ، او المتحير فيه ، ومقتضى نفى الجنس ح انه ليس غير ذات الله تعالى موجودا اخر، يليق بخضوع جميع اصناف الموجودات لجنابه ، وعبادة جميع ذوى العقول من الملائكة والاناس والاجنة والشياطين لـه ، اوليس ذات لاتدركه العقول ولاتحوم حوله الافهام بحقيقته ولابكيفية صفاته و سائر جهاته الا الله تعالى،فالمراد انه لاينطبق هذان العنوانان الاعلى الله، وقد ذكر الله تعالى لنفسه بعد اثبات وحدانيته، وصفين: العزة والحكمة، ولابد ان يعلم قبل ذكر معنى الوصفين ان صفات الله تعالى على قسمين: صفات الذات وصفات الفعل .

فالاولى : مالم يقع تحت ارادته تعالى ولـم يكن محكوماً بها ، كالعلـم والقدرة .

والثانية : مايقع محكوما بالارادة ، كالخلق والرزق ، فانه تعالى يريد تارة فيخلق ويرزق ، ولايريد اخرى فلايخلق ولايرزق .

والفرق بينه تعالى وبين خلقه كالانسان مثلا فى صفات الذات، انها فيه غير حادثة ، والالزم سبق عدمها واتصافه بالجهل والعجز فى بعض الاوقات وتعالى ربنا عن ذلك ، فهى قديمة بقدم الذات ، وايضا انها متحدة مع ذاته تعالى ، والالزم تركبه من صفة وذات وليس الله كذلك، وهذا بخلاف صفاتنا فانها حادثة فينا مسبوقة بالعدم ، وهى غير ذاتنا ، ولذا نتصف بها تارة وبعدمها اخرى .

وهنا فرق ثالث بين صفات الله تعالى مطلقا وصفات مخلوقه ، انها بالاضافة اليه تعالى مطلقة غير مقيدة بقيد فى صفات الذات ، او بقيد فى الجملة فى صفات الفعل ، و هى فينا مقيدة بقيود كثيرة و محدودة بحدود ، فهو تعالى عالم بكل شيىء و قادر على كل شيىء ، وكذلك سميع و بصير بكل مايحق ان يسمع ويبصر، و تلك الصفات فى الخلق محدودة بزمان خاص و مكان معين و متعلق محدود ونحو ذلك .

واما صفات الفعل فهو تعالى وان لم يكن خالقا ورازقا مثلا فى بعض الاحيان، الا انه متى كان خالقا فهو خالق كل شيىء ورازق كل حى، بخلاف الخلق والرزق مثلا فى غيره .

وعلى هذا فالعزيز اما ان يلاحظ بمعنى كونه غالبا بالقوة ، فهو صفة ذات، واما بمعنى فعلية غلبته على الاعداء واهلاك الكفار وتدميرهم فى مامضى وفيما يأتى، فهو صفة فعل ، وعلى اى تقدير فهو ملحوظ بنحو الاطلاق ولذا فسروه بالغالب غير المغلوب .

واما الحكيم فهو بمعنى ذى الحكمة، وهى اصابة الحق بالعلم والعقل كما فى مفردات الراغب، فالله تعالى حكيم فى جميع افعاله بمعنى كونها على وفق الحق، وكونها كما ينبغى ويليق عقلا لانقص فيها ولاعيب ، وليس شيىء منها بحيث يدرك العقل نقصانه ، ووقوع الغلط والعوج فى خلقه وتدبيره .

ولحاظ كل شيىء من اجزاء العالم بنفسه والدقة فى كيفيته وكمه ولونه واعراضه

وحالاته ، كثمرة من شجر مثلا ثم لحاظه مع نسبته الى سائراجزاء العالم، واضافته الى مايقارن وجوده منها، من جهة كمال ربطه بها وربطها به ، كملاحظة ارتباط الثمر بالشجر ، والخواص الموجودة فيه فى انتفاع الحيوان به، والتقوى باكله واستفادة البدن منه ، وسائر مايشاهد ويعاين او يعلم بالدقة والتجربة، يورث القطع واليقين باتقان الصنع فى جميع اجزاء العالم ، وهو معنى الحكمة ، وكون خالقه ومدبره عليما حكيما .

قال تعالى : الذى احسن كل شيىء خلقه .

وقال تعالى : ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير (۴ الملك)

فالله تعالى اوجد الاشياء على اتقان الصنع فى اصل الايجاد، وعلى تدبير تام بعد الايجاد ، وعلى ترتب النفع العام الملحوظ من خلقتها وتدبيرها ، وكل ذلك من الحسن والاعجاب بمكان لوتأملته لم تجدفيه فطورا وفتورا ، ورجع اليك بصرك خائبا .

وقوله تعالى: فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين ، ظاهر الكلام ان الله تعالى جعل اعراضهم افساداً ، ثم حكم بانه عليم بذلك ، المقصود منه التهديد بالعذاب وحيث ان المخاطب فى هذه الايات علماء النصارى وعدة من اعيانهم ومتبوعيهم ، و خلافهم فى اصول الدين التى تتبعها اصول الاخلاق وفروع الشريعة ، فلااشكال فى كون توليهم عن النبى وكتابه سبباً لتولى التابعين وسائر عوام النصارى فى جميع احكام الدين عن رسول الله (ص) ويكون ذلك ايضا سبباً لتولى اعقابهم متسلسلين الى مايعلم الله من الازمنة ، فلاجرم كان اعراضهم افساداً لامة كبيرة وجيل بعدجيل،وهو امر عظيم .

قال تعالى: **قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم انلانعبد الا الله ولانشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون** (۶۴ -آل عمران)

التفسير

كان توجه الخطاب في الآيات السابقة الى طائفة النصارى و اتباع الانجيل والخطاب هنا لاهل الكتاب جميعا من اليهود والنصارى ، والمقصود دعوتهم الى ترك الانداد و رفض الاشراك والاجتماع على التوحيد، والمراد بالكلمة هنا معناها وهو الذي فسر بامور ثلاثة عدمية ، لازمة الوجود لامر واحد ، وهو التوحيد اعتقادا وعملا، والفرق بين تلك الامور.

ان المراد بالاول التوحيد عملا وهو العبادة له تعالى والخضوع لجنابه دون غيره من خلقه.

وبالثاني التوحيد اعتقادا وعدم الاشراك له تعالى قلبا،وهذان الامران نهى عن الاشراك وحث على التوحيد على النحو الكلي ، فالمراد بالثالث النهي عن المصداق المتخذ الها ، والمجعول شريكا ، فقوله ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا ، اشارة الى ماقالته الطائفتان في حق عزير والمسيح وغيرهما

ان قلت ما هو معنى تساوى تلك الكلمة بين المسلمين وأهل الكتاب ، وكيف يصدق هذا التساوى مع ابتعاد الطائفتين عن الاسلام ، وتفرق كل طائفة الى فرق كثيرة .

قلت معناه تساويها بينهم في حكم العقل وقضاء الفطرة السليمة ، وفي مقتضى أصل دينهم وحقيقة شرعهم ، اذلا اشكال في ان العقل السليم و كل شريعة من الشرايع داعيان الى التوحيد، وقد نشأ جميع الاختلافات والتفرق الى أحزاب وفرق والتشعب الى شعوب وقبائل، لاجل الانحراف عن الطريق القويم وما شرعه الله من الشرايع

وما وصاه للناس بلسان الانبياء ، فالغرض من الاية دعوة أهل الكتاب الى مقتضى حقيقة الدين وروح جميع الشرائع وهو التوحيد اعتقاداً وعملا ، ولو أجابوا هذه الدعوة كان مفادها الاذعان بجميع الرسل وجميع الكتب السماوية ، ومنها القرآن وكانت النتيجة اسلامهم وترك اشراكهم .

وقوله تعالى: ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، والظاهر ان قول بعضهم بربوبية بعض واتخاذه ربا على قسمين ، اتخاذه ربا فى العبادة ، وربا فى الطاعة ، والاول هو القول بالوهيته حقيقة بمعنى كونه فى مرتبة فوق رتبة الممكن ، ومن اوصافه وجوب ذاته وقدمها وخلقه الاشياء ورزقه وغير ذلك .

والثانى هو القول بكونه مخلوقا ممكنا مع القول بقداسته ، وبلوغه الى مرتبة من الكمال بحيث يجب الخضوع له وطاعته فى جميع ماصدر منه بلامطالبة دليل ، كاعتقادنا بالنسبة الى الانبياء والائمة (ع) ، ويشهد بما ذكرناه قوله تعالى فى سورة التوبة (٣١) : اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الله الها واحدا لااله الاهو، فان التفصيل فى الاية الشريفة بين الاحبار والرهبان وبين المسيح فى اتخاذهم ربا يعطى اختلاف عقائدهم فى المسيح وغيره .

اما فى الاحبار والرهبان ، فالظاهر انهم كانوا يطيعونهم فى كل ماقالوه طاعة مطلقة ، حتى مع العلم بفسقهم ومشاهدة مايصدر منهم من اتباع الهوى والميل الى الرئاسات وتحريف الكتاب وارتكاب المآثم .

ففى صحيحة ابى بصير قال سألت اباعبدالله عن قول الله عزوجل (اتخذوا احبارهم اه) فقال اما والله مادعوهم الى عبادة انفسهم، ولو دعوهم الى عبادة انفسهم ماأجابوهم ، ولكن احلوا لهم حراما ، وحرموا عليهم حلالا ، فعبدوهم من حيث لايشعرون (كا ـ نور الثقلين ج ٢ ص ٢٠٩ ح ١١١) .

وعنه عن ابيعبدالله (ع) فى الاية، قال اما والله ماصاموا لهم ولاصلوا، ولكنهم

احلوالهم حراما وحرموا عليهم حلالا فاتبعوهم، وفي رواية اخرى فكانوا اربابهم من دون الله . (ح ١١٤ و ١١٥)

واما في المسيح فاقوالهم فيه مختلفة، وقد نقل عدة من المتصدين لنقل كلماتهم ان اصول اقوالهم ترجع الى ثلاثة، قال الأستاذ الطباطبائي في كتابه الميزان ماخلاصته: ان محصل ماقالوه ان الذات جوهر واحد له اقانيم ثلاثة ، اقنوم الوجود ، واقنوم العلم ، وهو الكلمة ، واقنوم الحياة، وهو الروح ، وهذه الاقانيم الثلاث هي الاب والابن وروح القدس، فالابن وهو اقنوم العلم نزل الى الناس من عند ابيه ، وهو اقنوم الوجود بمصاحبة روح القدس ، وهو اقنوم الحياة التي بها يستنير الاشياء انتهى .

ثم انهم لم يتعرضوا في الغالب لحال اقنوم الحياة، وعمدة الكلام في ابحاثهم واقعة في كيفية ارتباط الاقنومين الاولين اعني الاب والابن، فقال الملكانية ان بنوة عيسى للاب بنوة حقيقية، (وانا لسنا ندري هل يلتزمون بسائر لوازم ذلك من وجود الزوجة المناسبة لمقام الربوبية والزواج والمواقعة ، وانه هل انحصر عيسى بالولادة من الالهين ، اوان لهما اولاد أخر بنون وبنات الى غير ذلك من اللوازم الفاسدة وغير الممكنة في الواجب) ، وقالت النسطورية : ان الاب قد حل في الابن كحلول ضوء الشمس في البلور والزجاج الضخيم مثلا ، وقالت اليعقوبية : ان الاب قد تنزل وتجسد وتجسم فصار لحما ودما فتصور بصورة الابن وهو عيسى .

ثم ان في الايات ايضا اشارة الى بعض تلك الاقوال قال تعالى :
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة (٧٣ المائدة)

والظاهر ان هذا الكلام اشارة الى الاقانيم الثلاث التي منها الاب وهو الله في اعتقادهم
وقال تعالى: وقالت النصارى المسيح ابن الله (٣٠ التوبة) وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، (٢٦ الانبياء) ، وفي الايتين اشارة الى مذهب الملكانية .

وقال تعالى : لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم (٧٢ المائدة)

وهذا اشارة الى مذهب النسطورية، ويمكن ارادة مذهب اليعقوبية بارادته الانقلاب، هذا : واما الاناجيل الموجودة بالفعل، فهى مختلفة فى المرمى، فيستفاد من بعضها اصل التثليث ، ويصرح بعضها بالحلول والاتحاد ومايدل عليه من عباراتها اكثر ، ففى انجيل متى الاصحاح الثامن والعشرون العدد ۱۹

قوله لتلامذته (اذهبوا وتلمذوا كل الامم وعزوهم باسم الاب والابن وروح القدس، وفى انجيل يوحنا الاصحاح الرابع عشر العدد السابع وما بعده : (لو كنتم تعرفوننى لعرفتم أبى أيضاً ومن الان تعرفونه وقد رأيتموه أيضاً .

قال له فيلبس : ياسيدنا أرنا الاب وحسبنا ، قال له يسوع ، أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى يافيلبس: من رآنى فقد رأى الاب ، فكيف تقول انت أرنا الاب؟ أما تؤمن انى فى أبى وأبى فى ، وهذا الكلام الذى أقوله لكم ليس هو من ذاتى وحدى ، بل أبى الحال فى، هو يفعل هذه الافعال آمنوا أبى أنا فى أبى وأبى فى.

وفى الاصحاح السابع عشر من انجيل يوحنا العدد العشرين .

(تكلم اليسوع بهذا ورفع عينيه الى السماء فقال : ياابت قدحضرت الساعة فمجد ابنك ليمجدك ابنك ، ثم ذكر دعاء لرسله من تلامذته ، ثم قال ولست اسأل فى هؤلاء فقط بل وفى الذين يؤمنون بى بقولهم ليكونوا باجمعهم واحداً ، كما انت ياابت ثابت فى وأنا أيضاً فيك .

وفى انجيل يوحنا فى الاصحاح الاول العدد الاول (فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عندالله والله كان الكلمة مذالبدء ، كان هذا عندالله كل به كان وبغيره لم يكن شيىء مما كان ، به كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس .

وفى الانجيل الاصحاح الثامن العدد (۴۲)

لكنى خرجت من الله وجئت ولم آت من عندى بل هو أرسلنى . وبالجملة منشأ اختلافهم هذه العبارات ونظائرها من الاناجيل، وكثر الاختلاف بينهم والتشتت والتشعب ، وينقل ان مذاهبهم تبلغ سبعين أوأكثر .

قال‌الله تعالی : **یااهل الکتاب لم‌تحاجون فی‌ابراهیم وماانزلت التوراة والانجیل‌الامن بعده افلاتعقلون . هاانتم هؤلاء حاججتم فیما لکم به علم فلم‌تحاجون فیمالیس‌لکم به علم والله یعلم وانتم لاتعلمون. ماکان‌ابراهیم یهودیا ولا نصرانیا ولکن‌کان حنیفا مسلما وماکان من‌المشرکین ان‌اولی الناس بابراهیم ...** المؤمنین ۶۵ ـ ۶۸ آل‌عمران .

التفسیر

ابراهیم هو النبی العظیم والرسول الکریم خلیل‌الرحمن ، الذی ذکره الله تعالی فی موارد کثیرة من کتابه واثنی‌علیه فیه ثناء جمیلا ، وذکره ذکراً حسنا فمن الامور المربوطة به .

۱ ـ ایتائه الرشد وکمال العقل والدرایة ، (ولقدآتینا ابراهیم رشده من‌قبل ۵۱ الانبیاء) .

۲ ـ تبریه من أبیه وقومه ونسبتهم الی الضلالة لاجل‌عبادة الاصنام ، وجعله تلک البرائة کلمة باقیة فی‌عقبه واذ قال ابراهیم لابیه وقومه : اننی براء مما تعبدون الی یرجعون .　　(۲۶ ـ الزخرف)

۳ ـ اعطائه الحجة ورفعه درجات (وتلک حجتناآتیناها ابراهیم علی قومه نرفع درجات من نشاء) ۸۳ الانعام .

۴ـ احتجاجه علی قومه للتوحید بافول الکواکب و القمر و الشمس ، و احتجاجه علی‌ملک زمانه وجعله محجوجا .

قال‌تعالی : فلماجن علیه اللیل رأی کوکبا قال‌هذا ربی‌فلما افل قال‌لا احب الافلین ۷۶ فلمارأی القمربازغا قال هذا ربی‌فلما افل قال‌لئن لم‌یهدنی ربی‌لاکونن من القوم الضالین ۷۷ فلما رأی الشمس بازغة قال هذا ربی هذا اکبر فلما افلت

قال ياقوم انى برىء مما تشركون . (٧٨ الانعام)

وقال تعالى : الــم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان اتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال انا احيى واميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر . (٢٥٨ البقرة)

٥ ـ كونه صديقا نبيا : واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبيا . (٤١ مريم)

٦ ـ كيده للاصنام وجعلها جذاذة واقحامه القوم فى الكلام (فجعلهم جذاذا الاكبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون .... قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ماهولاء ينطقون (٥٧ ـ ٦٥)

٧ ـ كيد قومه لــه بالقائه فى النار وانجاء الله لــه ، (قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين) .

٨ ـ قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم ٦٩ وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين) ٧٠ الصافات .

٩ ـ مجيىء الرسل اليه واحضاره العجل الحنيذ لهم وجداله فى استخلاص قوم لوط (ولقد جائت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ .... قالوا لاتخف انا ارسلنا الى قوم لوط ... فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجائته البشرى يجادلنا فى قوم لوط (٧٤ هود)

١٠ ـ بشارة الرسل له ولزوجه بالاولاد (فبشرناها باسحق و من وراء اسحق يعقوب ٧١ هود)

١١ ـ اعتزاله عن امته وخروجه ولوطا الى الارض المقدسة (ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنافيها للعالمين (٧١ـ انبياء)، وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين (٩٩ صافات) .

١٢ ـ طلبه الولد من الله وقبول دعائه .

(رب هب‌لي من‌الصالحين فبشرناه بغلام حليم) (١٠٠صافات)

١٣ ـ حمده لربه على ان وهبه اولادا .

(الحمدلله الذي‌وهب لي على‌الكبر اسمعيل واسحق ان ربي‌سميع الدعاء). (٣٩ ابراهيم)

١٤ ـ امره بذبح ولده في الرؤيا وتصديقه ذلك ومجيىء الفداء .

(فلما بلغ معه السعي قال يابني‌اني‌ارى في‌المنام اني اذبحك فانظرماذا ترى قال ياابت افعل ماتؤمر ستجدني انشاء الله من الصابرين . فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان ياابراهيم قد صدقت الرؤيا ... وفديناه بذبح عظيم . (١٠٧ صافات)

١٥ ـ ابقاء الثناء عليه بعده .

(وتركنا عليه في الآخرين) (١٠٨ الصافات)

١٦ ـ جعلهم ائمة داعين الى‌الخيرات عاملين بالصالحات .

(وجعلناهم‌ائمة يهدون بامرناواوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاةوايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) (٧٣ انبياء)

١٧ ـ اختباره بكلمات واتمامه اياهن وانتخابه بالامامة . (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما . (١٢٤ البقرة)

١٨ ـ دعائه لمكة المكرمة بالامن ولاهلها بالرزق .

(واذ قال‌ابراهيم رب اجعل هذا البلدآمنا وارزق اهله من‌الثمرات قال‌ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . (١٢٦ البقرة)

١٩ ـ رفعه واسماعيل قواعد البيت ودعائه .

(واذيرفع ابراهيم القواعد واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم (١٢١ البقرة)

٢٠ ـ عهد الله اليه والى ابنه ان‌يطهرا بيته

(وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي‌للطائفتين والعاكفين والركع السجود . (١٢٥ البقرة)

٢١ - طلبه من الله بعث الرسول من اهل مكة .

(ربناوابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم . (١٢٩ البقرة)

٢٢ - اصفطائه فى الدنيا وصلاحه فى الاخرة وايمانه .

ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين. (١٣٠ البقره)

وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار . (٤٧ ص)

انه من عبادنا المؤمنين . (١١١ الصافات)

٢٣ - تسليمه‌لله تعالى .

(اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين . (١٣١ البقرة)

٢٤ - كونه امةقانتا لله حنيفا شاكرا وفيا .

(ان ابراهيم كان امة قانتالله حنيفاولم يك من المشركين شاكرا لانعمه‌اجتباه وهداه الى صراط مستقيم . (١٢١ النحل)

وابراهيم الذى وفى . (٣٧ النجم)

٢٥ - امر الله محمدا (ص) باتباع ملته واعلامه الناس ذلك .

ثم‌اوحينا اليك اناتبع‌ملة ابراهيم‌حنيفا١٢٣ النحل قل اننى هدانى‌ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا . (١٦١ الانعام)

٢٦ - امر الناس بالتأسى به وباتباعه .

(قدكانت لكم اسوة حسنة فى‌ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انابرءاؤ منكم ومما تعبدون من دون الله . (٤ ممتحنة)

وقوله تعالى : ياأهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم اه .

ليست محاجةاليهود والنصارى فى ابراهيم بدعوى كل‌طائفة منهماان‌ابراهيم كان من امة نبيها عاملا بشريعته ، حتى يحمل قولـه تعالى : وما انزلت التوراة والانجيل اه على الجواب عن خطائهم وان ابراهيم كان قبل موسى وعيسى ، فان ذلك غير محتمل فى حقهم ، اذلااشكال فى انهم كانوا عالمين بتقدم عصر ابراهيم

وكون بعثته قبل موسى وعيسى .

بل الظاهر بعد التامل فيما اجاب الله عنهم بقوله تعالى: ما كان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا ، وقوله : وما انزلت التوراة والانجيل الامن بعده ، ان كل طائفة منهم كانت تدعى ان ابراهيم كان عاملا بشرعها ، بمعنى كون شرع ابراهيم متحدا متوافقا مع شرعها ، فاليهود تدعى انه كان يهوديا اى آخذا بشريعة مطابقة لشريعتها.

والنصارى ايضا تدعى مثل ذلك . و هذا كما ينقل عن المسلمين ايضا ان شريعة ابراهيم مطابقة لشريعة الاسلام ولوفى الجملة ، ومنشأ التوهم فى كلاالفريقين اما كان مزعمة غير مدعومة بحجة ، او حسبان ، ان حقية ابراهيم و موسى مثلا تستلزم وحدة شريعتهما ، او كان ذلك فى اليهود لاجل قولهم بعدم امكان النسخ فى الاحكام الشرعية ، فيلزمهم القول بوحدة الشريعتين ، و على اى تقدير يكون محصل الجواب عن دعواهم، ان بعث الرسول وانزال الكتاب كالتوراة والانجيل مثلا ، معناه انزال شريعة مستقلة ناسخة لسابقتها ، فنزول التوراة و الانجيل بعد ابراهيم ، معناه عدم كونه يهوديا ولانصرانيا ، وما لعله زعموه من استلزام حقية المبعوثين وحدة الشريعتين ، منشائه جهل الطائفتين بالفرق بين الدين والشريعة و عدم تعقلهم ذلك ، فانه لااشكال فى ان الدين واحد فى جميع الازمنة والاعصار كما قال تعالى : ان الدين عند الله الاسلام . (١٧ -آل عمران) وقال : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى اه فقد شرع الله للجميع دينا واحدا (١١- شورى)

واما الشريعة فهى متعددة بتعدد اولى العزم من الانبياء ، قال تعالى:

لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (٤٨ - المائدة)

لكل امة جعلنا منسكاهم ناسكوه (٦٧- الحج)

وقوله تعالى : ها انتم هؤلاء حاججتم اه ظاهر الاية ان للطائفتين احتجاجا فى بعض الامور ، صادرا عن علمهم بمتعلق الحجة وانه ليس بمنكر ولامذموم ، و

انما الذم يتعلق بهم فيما ادعوه فى حق ابراهيم كما ذكر فى الاية السابقة ، واحسن ما يقال فى توجيه احتجاجهم على ما علموه ، هو دعوى النصارى نبوة عيسى وحقية كتابه وشريعته ، فهم يدعون ذلك عن علم به ويستدلون له ويحتجون على اثباته بحجج ، وهم فيه مصيبون ، ودعوى اليهود عدم بنوة عيسى لله ، او عدم اتحاده مع الرب ، اوعدم كونه احد الثلاثة، هذا وقيل فى ذلك مطالب اخر اغمضنا عن ذكرها .

وقوله : ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين

الحنيف المائل الى الحق ، ويضاده الجنيف وهو المائل الى الباطل ، و يلاحظ ذلك فى العقائد والاخلاق والاعمال الجوارحية . والميل الى الصواب فى كل مرحلة منها حنفية . والظاهران اطلاق هذا الوصف على ابراهيم لاجل كون مقتضى عصره واهل زمانه طرأ الفسادوالانحراف .والدعوة الى الباطل ،والجذب الى الخرافات فى شتى مراتبها وجهاتها ، فهو(ع) كان (بما اتاه الله تعالى من الرشد حيث قال: وآتيناه رشده من قبل) يتخلص من كل جاذبة فى اى موضوع الى الحق والصواب فى ذلك المورد ، وقد وقع نظيرذلك للنبى الاعظم محمد (ص) فقد نشأ وبرع بين جذبات واقتضائات متنوعة من دعوة قومه الى الاشراك والوثنية وعبادة الاصنام ، و دعوة العادات و الرسوم الفاسدة الى الرذائل الخلقية والى الاعمال المنكرة والفواحش ، فاتصف بالحنفية فى جميع ذلك بتوفيق من الله ، قال تعالى : (الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك) . (الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا فهدى) . ولعل المراد بالوزر الذى ينقض الظهر هو تلك الاقتضائات والجذبات .

و قد استعملت كلمة حنيف مفردا فى القرآن الكريم فى عشرة موارد ، ثمانية منها فى وصف ابراهيم الخليل اوتوصيف دينه وملته ، ووقعت فى موردين وصفا لنبينا محمد (ص) اولدينه ، وهومشعر الى ماذكرنا ، قال :ان ابراهيم كان امة

قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين (١٢٠- النحل)

ولافرق فيما ذكرنا بين وقوعها وصفا للشخص اولدينه وطريقته ، وقال(ع) بعد ما انكر ربوبية الكواكب والقمر والشمس : انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا (٧٩-الانعام) .

و قوله مسلما . الاسلام قد يطلق على الاقرار باللسان ، سواء حصل معه الاعتقاد فى القلب ، ام لم يحصل ، فهوفى المرتبة دون الايمان و به يحصل حقن دم المسلم ، و قد يطلق على مرتبة فوق الايمان ، فان الايمان و الاعتقاد قلبا قد لايوجب العمل، فاذا قوى ذلك بحيث صارت النفس خاضعة لربها منقادة لاوامره سلما لله تعالى اطلق عليه الاسلام ، فالاسلام هوالمرتبة القوية الكاملة من الايمان بحيث يستلزم العمل بالاركان ، ولعل هذا هوالمراد بقوله تعالى : (ان الدين عند اللهالاسلام) . فالدين عبارة عن الايمان والعمل كليهما اوالايمان الملازم له

وقوله تعالى : وماكان من المشركين ، لعله رد لدعوى مشركى مكة حيث يدعون ان ابراهيم الخليل كان منهم، وهم ابنائه وعلى دينه ، ويمكن كونذكره اشعارا ببطلان دعوى الطائفتين منوجه آخر ، والمراد انكم ان تدعون انابراهيم كانيهوديامتشرعا بالتوراة الحقيقيةالمنزلةمن السماء و كذاالانجيل،فهى باطلة،لنزول الكتابين بعده ، وان ادعيتم انه كان على ماهوالموجود عندكم و على طريقتكم الفعلية الجارية فيكم ، فلازمه انيكون ابراهيم ايضا مشركا فى الطاعة اوفى العبادة كما انتم كذلك ، لكن ابراهيم كان حنيفا مسلما ولميكن منكم

وقوله : ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذاالنبى والذين آمنواوالله ولى المؤمنين .

ليس المراد بالاولوية هنا التسلط والولاية فى التصرف والتدبير كماهوواضح بل المراد بها القرب من الشيىء منولى يلى فلانا دنا منه وقرب ، وليس المراد بالقرب ايضاً القرب المعنوى منجهة كمال الايمان ، فانه لواريدذلك لكان موسى

وعيسى ايضاً اولبين به ، بل الظاهر ان المراد القرب من حيث العمل بشريعته ، فان ابراهيم كان جائيا بشريعة خاصة عاملا بها ، والاقرب اليه من جهة العمل بهاهو اتباعه المؤمنين فى عصره ومايليه من الاعصار ، والنبى الاعظم محمدصلى الله عليه وآله واتباعه والمؤمنون به ، من اجل ان شريعته (ص) اقرب الشرايع الى شريعة ابراهيم ، فان شرع موسى كان يغاير شرع ابراهيم لاجل شموله لبعض الاحكام الخاصة المرتبطة ببنى اسرائيل، كتحريم صيد السموك يوم السبت. (وقلنالهم لاتعدوا فى السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا (۱۵۴–النساء)

(ولقدعلمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت (۶۵ - البقرة)

وكتحريم الطيبات التى كانت لهم حلالا (فبظلم من الذين هادوا حرمناعليهم طيبات احلت لهم) (۱۶۰ - النساء)

وكتحريم بعض الانعام (وعلى الذين هادوا حرمنا عليهم كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما اه) (۱۴۶ - الانعام)

وكذلك شريعة عيسى كانت تغاير شريعة ابراهيم من جهات كتشريع الرهبانية فيها (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ماكتبناهاعليهم الاابتغاء رضوان الله (۲۷ - الحديد)

ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لايستكبرون . (۸۲-المائده).

وكتشريع الزهد الشديد عن الدنيا كمايحكيه فعل عيسى (ع)

وتشريع وجوب الحصر او استحبابه ، بمعنى ترك التزويج الى آخرالعمر وغيرذلك ، وكان اقرب الشرايع الى شريعة ابراهيم هوالاسلام ، بل يمكن ان يقال ان بين شريعة ابراهيم والاسلام عموم وخصوص مطلق، وكل ماكان من شرعه فهوفى الاسلام ولا عكس ، ويشير اليه قوله تعالى :

ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا(۱۲۶ - النحل)

وقال ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله واتبع ملة ابراهيم حنيفا.

(۱۲۵ - النساء)

ولعل ذلك لاجل ان ابراهيم (ع) كان داعيا للناس الى الاصول الاعتقادية وامهات الفروع العملية مما تستقل به العقول ، اذ لم يمكن لـه تشكيل الحكومة والولاية على المجتمعات التى تقضى تشريع فروع متشعبة من الشرايع ، ثم اضيف اليها فى الاسلام احكام يقرب من ذلك فى كونها فطرية عقلانية ، منطبقة على حال الملاء البشرى فى كل عصر وزمان كما قال :

(فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها):

قال تعالى : **ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم و ما يضلون الا انفسهم وما يشعرون (٦٩) يااهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون (٧٠) يااهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون**

(٧١-آل عمران)

التفسير

الود حب الشيىء وتمنى وجوده ، والمراد به هنا ليس هو الحالة القلبية محضا بل الود والحب عملا ، فحبهم اضلال المسلمين هـو سعيهم فى ذلك وايجادهم مقدمات الاضلال ليتحقق منهم ذلك ، وحيث ان المراد بالاضلال هنا هوما كان ذات الجهات والابعاد اى الاضلال فى الاعتقادات الجوانحية والصفات والملكات الروحية والاعمال الجوارحية و ان الحكم المذكور لايختص بزمان خاص كزمان نزول الاية الشريفة ، بل الكلام يقتضى عموم المعنى لكل عصر ومصر و كل زمان ومكان ، كما يشهد به العيان ، فكل ما صدر منهم مما كان سبباً لتحريف العقائد والاعمال عن مسيرها الشرعى الالهى ، فهو مصداق للاضلال كنشرهم للكتابين المحرفين فى بلاد المسلمين وتبليغهم عقائدهم الباطلة فى بلاد المسلمين ، ودخالتهم فى امور المسلمين من نشر الكتب المشتملة على عقائدهم ، ونشر الجرائد اليومية والاسبوعية والسنوية المشتملة على الخرافات فى المجتمعات

الاسلامية ، وبناء الكنائس والمدارس والأمكنة المعدة للفحشاء والمنكر فى البلاد الاسلامية ، وادخال سائر وسائل الفحشاء فى الممالك الاسلامية، وغيرذلك من كثير الخيانات والمنكرات التى ملاءت بلاد المسلمين،فكل ذلك من الاضلال الذى ودوه واحبوه وداً عمليا وحباً خارجيا .

وقوله: ومايضلون الا انفسهم . اى أنهم أضلوا انفسهم وماضلوا المسلمين، وهذا اشارة الى قانون عام عالمى وسنة تكوينية اجراها الله فى عباده من رجوع نتائج اعمال الناس الى انفسهم ان خيراً فخيراً وان شراً فشراً .

وحيث ان هذا العالم ، اعنى الحياة العاجلة الدنيوية متصل بعالم الاخرة والحياة الدائمة الابدية ، فقد يكون الرجوع فى هذا العالم ، وقد يبقى الى عالم الاخرة ، وح فيتضاعف الجزاء ويزداد، ويصير اضعافا مضاعفة على حسب اختلاف النشأتين فى جميع خصوصيات الحياة وكمال النشأة الاخروية فى كل الجهات ، فان الاخرة لهى الحيوان ، فالادراكات الروحية فيها اقوى بمراتب ، والتلذذ والتألم الجسمانية فيها كذلك :

وتشهد على تلك السنة الالهية آيات. قال تعالى:

لها ماكسبت وعليها مااكتسبت (۲۸۶- البقرة)

ظهر الفساد فى البر والبحر بماكسبت ايدى الناس (۴۱ - الروم)

ان قلت ان قوله تعالى: ومايضلون يشتمل على جملتين ايجابية وسلبية والمعنى انهم يضلون انفسهم ومايضلون المسلمين .

اما الجملة الاولى فهى التى تؤيدها الكبرى الكلية المذكورة ، فهم قداضلوا انفسهم وجعلوها شقية ضالة تستوجب النار وتنتهى بالاخرة الى الجحيم، وهو المراد بضلالة النفس ، الا ان الكلام فى الجملة السلبية ، فكيف يصح ذلك اذا فرضنا انهم اضلوا عدة من المسلمين فاخرجوهم من الايمان واوردوهم الكفر والعصيان ؟ بل لازم هذا الامر كون الجملتين ايجابيتين بان يقال انهم اضلوا المسلمين فاضلوا انفسهم

قلت حصول الضلالة فى المسلمين باضلال الكفار على قسمين

احدهما اختيارهم الضلالة عن علم وعمد ، ولو كان ذلك بعد دعوة الكفار ووسوستهم واغوائهم .

والثاني ضلالتهم عن جهل وغفلة بحيث كانوا معذورين في ذلك.

اما الاول فلا اشكال في ان للفعل الحاصل هناك اعني الضلالة نسبتين ، نسبة الى الضال بالاصالة ، و نسبة الى المضل بالتبع ، كما في سائر موارد نسبة الفعل الواحد الى المباشر والسبب ، وحيث ان المباشر هنا فاعل مريد مختار في فعله ، ويترتب عليه عقاب فعله ، سوغ ذلك نفي النسبة عن السبب لضعفها فيه وقوتها في المباشر .

وهذا كما في نسبة الاعمال القبيحة الى الانسان المرتكب لها والى الشيطان، وفي نسبة الاعمال الصالحة الى فاعليها والى الله تعالى ، الاتلاحظ قوله تعالى فيما يحكى عن الشيطان ، مما يقوله في جهنم لاتباعه (وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلاتلوموني ولوموا انفسكم (۲۲ - ابراهيم)

فترى ان الشيطان ينفي اللوم الناشي عن العقائد الفاسدة و الأفعال القبيحة عن نفسه الملازم لنفي نسبة تلك الافعال عن نفسه ، ويظهر ايضا انه لو كان هناك تسلط عليهم باكراه اواجبار لتوجه اللوم الى الشيطان كلا اوبعضا

هذا كله في اثبات النسبة ونفيها ، و اما العقاب الاخروى المترتب على الضلالة المذكورة في الآية وعلى كل فعل قبيح صدرعن المباشر المختار، اذا كان ذلك بامر من الغير ودعوة و اغواء منه ، فلا اشكال في انه كما يترتب على الفاعل المختار في مباشرته العقاب المجعول لذلك الفعل يترتب نظيره على الامر المشير اليه، والداعي المتسبب لحصوله

فلاحظ قوله تعالى في حكاية حال اهل النار: (وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرائنا فاضلونا السبيل ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا.

(۶۸-الاحزاب)

والمراد بضعفين عذاب عمل السادة بالمباشرة وعذابهم بالامروالاغواء

وقوله تعالى: (كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعاً قالت اخريهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون (۳۸ ـ الاعراف)

فان الاية الشريفة تدل على كون عذاب الامة الاولى ضعفا، لضلالهم بانفسهم واضلالهم المتأخرين منهم رتبة او زمانا ، التابعين لضلالهم والمقتدين بفعالهم ، وعذاب الامة المتأخرة فهو ضعف ايضا لضلالهم وعونهم المتبوعين فى اضلالهم

ويشهد بما ذكرنا ايضا ما ورد من ان من سن سنة حسنة فله اجر من عمل بها ومن سن سنة سيئة فله وزر من عمل بها

وما ورد من ان الراضى بفعل قوم كالداخل فيه معهم اه .

و هذا يدل على عقاب الامر بالعصيان ، و الداعى الى مخالفة الرحمن بـالاولوية .

فتحصل مما ذكرنا ان نفى نسبة الضلالة الصادرة من المسلمين الى الكفار انما هو لاجل ضعف تلك النسبة وقوة اسناد الفعل الى المباشر المختار ، وهو لاينافى توجه العقاب على الكافر المضل ، فان العقاب قد يتوجه بدون تحقق الانتساب ايضا كما عرفت هذا .

واما فى صورة حصول الضلالة فى المسلمين باغواء الكفار مع كونهم معذورين فتوجه الاضلال اليهم اوضح ، اذ الظاهر ان المراد برجوع الاضلال الى الكفار رجوع عقابه وهو النار وعذاب الاخرة ، ولااشكال فى انه اذا كان ضلال المسلمين عن جهل وغفلة بحيث كانوا معذورين على ما قاله تعالى : (و ماكنا معذبين حتى نبعث رسولا) فلا عقاب عليهم ، والعقاب المترتب على تلك الضلالة مترتب على الكفار ، فهم قد أضلوا انفسهم بالقائها فى الهلكة والعذاب ، ولم يوقعوا المسلمين فى العذاب .

نعم لو كان المراد بالاضلال جعلهم محرومين عن الفوز والنعم الاخروية لم تكن السابقة صادقة ، اذ الكفار المضلين كما حرموا بانفسهم عن النعم والبركات حرموا الضالين ايضاً منها ، فان العذر فى الضلالة يكون سبباً لعدم ترتب العقاب لالترتب الثواب ايضا.

هذا . ولك ان تقول فى جواب الاشكال المذكور ان المراد بالود ، الحب القلبى لاالعملى وان الاخبار عن وجود صفة من الصفات الباطنية فى الكفار ، فالمراد ان فى قلبهم حب ضلالة الناس وود ايقاعهم فى الكفر والعصيان ، و حيث ان نفس هذا الحب رذيلة اخلاقية وعائبة شيطانية وخبث فى السريرة الانسانية ، فهم قد اضلوا انفسهم بتحصيل هذه الرذيلة ، والفرض انه لاتأثير له فى حال المسلمين . فلم يضلوا الاانفسهم ولم يشعروا بمرضهم هذا لحبهم انفسهم وحب الشيىء يعمى ويصم.

وقوله : يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون) الكفر اصله الستر ويستعمل فى الانكار والجحد، حيث ان الجاحد لامر كأنه يستره وهو المراد هنا والاية فى اللغة العلامة الظاهرة الحاكية عن شيىء غير ظاهر بحيث اذا ادرك الاول فهم الثانى ، وقد استعملت فى الكتاب الكريم فى موارد :

الاول فيما جعله الله وعينه لفرض كونه آية وعلامة لتوحيده وقدرته وسائر اوصافه اونبوة نبيه اونحو ذلك ، ولتسم بالاية الخاصة . وذلك كمعجزات الانبياء وسائر الامور الخارقة لناموس الطبيعة .

قال تعالى : فى قصة صالح النبى عليه السلام (ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جائتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى ارض الله

(٧٣- الاعراف)

وقال تعالى فى قصة عيسى (قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لاولنا وآخرنا وآية منك) (١١٤-المائدة)

وقال فى قصة عزير: اوكالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى

يحيى هذه‌الله بعدموتها فأماته‌الله مأة عام ثم بعثه ... ولنجعلك آية‌للناس (۲۵۹ ـ البقرة)

وقال‌تعالى‌فى‌قصة نوح«ع» فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين (۱۵ العنكبوت) اى جعلنا الحادثة المذكورة اونجاة اولئك القوم آية للناس.

وقال فى‌قصة موسى (ع) وفرعون: فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم‌آيات مفصلات . (۱۳۳ الاعراف) .

وقال تعالى : وجعلنا ابن‌مريم وامه‌آية‌وآويناهما الى‌ربوة ذات قرار ومعين (۵۰ المؤمنون) .

وقال‌تعالى : فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن‌خلفك آية. (۹۲ يونس)

المورد الثانى فى مطلق ماخلقه وانشأه ممايستدل به‌العاقل على توحيد الله و سائر اوصافه اوعلى المعاد والبعث .

قال تعالى ومن‌آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم و الوانكم (۲۲ الروم) .

وقال تعالى : ومن آياته الجوارفى‌البحر كالاعلام . ان‌يشأيسكن‌الريح‌فيظللن رواكد على ظهره (۳۲ الشورى) .

وقال: ومن آياته‌ان خلقكم من تراب ثم‌اذا انتم‌بشرتنتشرون (۲۰ الروم)

وقال تعالى : ومن‌آياته ان تقوم السماء بامره‌ثم اذادعاكم دعوة من الارض اذاانتم تخرجون (۲۵ الروم)

المورد الثالث فى خصوص الكلمات القرآنية والقطعات منها، وقديقال ان استعمالها فيهاليس لاجل خصوص وضع تخصيصى او تخصصى شرعى فى ذلك وان‌كان لايبعد حصوله عند المتشرعة ، بل لكون الايات المصطلحة والقطعات كنفس الكتاب الكريم آية‌الهية ومعجزة مثبته لتوحيده ونبوة نبيه .

قال تعالى : هوالذى انزل عليك الكتاب منه‌آيات محكمات هن أم‌الكتاب واخرمتشابهات (۷ آل‌عمران) .

وقال تعالى : ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم (٥٨ آلعمران) الرتلك آيات الكتاب وقرآن مبين (١-الحجر) الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير «١-هود» كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته (٢٩ص)

اذا عرفت ذلك فيمكن انيكون المراد بالاية فى آيتنا المبحوث عنها هو ـ المعنى الاعم الشامل لجميع تلك المصاديق فان اهل الكتاب كانوا منكرين للقرآن الكريم ، وهومن الآيات الخاصة الالهية انزله الله تعالى بعنوان الاعجاز و تحدى فيه جميع الناس بقوله :

قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيراً «٨٨ ألاسراء» .

وقوله : وان كنتم فى ريب ممانزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله و ادعوا شهدائكم من دون الله ان كنتم صادقين (٢٢ البقرة)

وقوله : ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين . «١٣ هود» فمن ادعى النبى الاعظم لم يأت بمعجزة تجبه بها المنكرين وتقحمهم كما اتى موسى بن عمران «ع» بالعصا واليد البيضاء و عيسى بن مريم باحياء الموتى وغيرهما من الانبياء بغيرها من المعاجز ، فقد اخطأ و خبط وأنكر ما هو اوضح من الامس نعم ليس الكتاب الكريم مثل تلك المعجزات مما يناسب حال العوام والبسطاء من الناس بل مما يدركه اهل النهى وذووا الالباب وكذا قصة المعراج ومجيء الملائكة فى غزوة بدر وشق القمر ونحو ذلك .

وبالجملة فالانكار من الكفار كفر بهامع الشهادة والحضور .

وكذلك انكارهم للايات العامة فان ادلة التوحيد وادلة صفات الله تعالى الجلالية والجمالية هى التى ملاءت الافاق لمن كان له قلب اوألقى السمع وهوشهيد، فالقول بالتثليث ونحو ذلك انكارلها وهم حاضرون عند الايات شاهدون لها ومثله انكارهم للايات القرآنية بماهى كلمات الله .

فظهر ان معنى قوله تعالى : وانتم تشهدون اى تحضرون تلك الآيات وهى بمرئى منكم ومنظر ومدرك .

وقوله: ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون خطاب ايضا لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، واللبس الخلط ، ولبس الحق بالباطل يكون تارة فى الأصول الاعتقادية واخرى فى الاعمال ،فالاول كما فى القول بالتثليث ونحوه فالقول بأن الله هو الذى له ابن اوله شريك كروح القدس خلط للحق بالباطل ، ويلازمه كتمانهم الحق وعدم معرفتهم ربهم من حيث الذات و الصفات بما يتيسر للانسان معرفته ، ونظير هذا اشراك عبدة الأوثان ، فانهم وان كانوا قائلين بالله تعالى كما يشهد بذلك قوله تعالى :

ولئن سئلتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله (٢٥ لقمان)

وقوله تعالى : واقسموا بالله جهد ايمانهم (١٠٩ الأنعام) الاان القول بان الاصنام هم الشفعاء عندالله ، اوانهم يقربون الطالب الى الله زلفى، يكون سببا لكتمان الحق وهو الله، فان الاله الذى يكون اقرب الخلق اليه والشفعاء لديه احجار واشجار نحتها الانسان، ليس هو الله تعالى، فقد صار الحق ح مكتوما. واما الخلط فى الفروع فكعبادات اهل الكتاب ، اذ الخضوع والعبادة للابن وروح القدس مثلا عصيان فى الحقيقة وليس عبادة ، مضافا الى ما يصدر منهم من المنكرات باسم العبادة من اكل العجين المعهود وشرب الخمر واللعب والرقص الخاص ، فالعبادة التى هى الحق الجدير بالاتيان به مكتومة، فهى كصلوة المشركين عندالبيت حيث يقول تعالى وماكان صلوتهم عندالبيت الا مكاء وتصدية .

وقوله تعالى : وانتم تعلمون . اى تعلمون خلط الحق بالباطل و تعرفون الحق من الباطل لقيام الحجج عليهم بواسطة دعوة النبى الاعظم صلى الله عليه وآله وآيات الكتاب الكريم ، فلم يكن اعراضهم عنها الا لاتباع الهوى وحب الرئاسة والشهوات.

ولوقيل انه لم يكن يعرف ذلك جميع اهل الكتاب فكيف اطلاق الكلام وعمومه ؟

قلنا الظاهر ان الخطاب المتوجه الى الطوائف كأهل الكتاب والمشركين و غيرهم في غالب الايات لولا جميعها ليس الا لخصوص المتبوعين من الناس العارفين بالحق المميزين بينه وبين الباطل ، واما التابعون المقتدون المتعصبون في اتباعهم، فغير مخاطبين، ولعلهم معذورون في عدة من موارد التكليف لجهلهم قصوراً واعتقادهم جزماً بما القاه اليهم علمائهم وكبرائهم .

قال تعالى : **وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم - قل ان الهدى هدى الله - ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم - العظيم -(٧٢ - ٧٤ آل عمران)**

التفسير

قد يوجه معنى الآيات على نحو يرتبط بعضها ببعض ويكون الجميع مسوقة لبيان غرض واحد ، وحاصله ان الظرف الاول : و هو قوله تعالى : وجه النهار اى اوله متعلق بصلة الموصول اعنى قوله انزل المذكور لفظا ، و كذا الظرف الثانى متعلق بفعل مقدر يفسره الموصول السابق وصلته ، اى واكفروا بما انزل عليهم آخر النهار ، والمراد بالذى انزل حكم خاص لامطلق ، فيعلم من مفاد الاية الشريفة ان هنا حكما انزله الله على المسلمين اول النهار ، وحكما انزله آخره ، فاوصت طائفة من اهل الكتاب بعضهم بعضا بالايمان بالحكم الاول و اظهار ذاك الايمان على المسلمين ، وبالكفر والاعراض عن الحكم

الثانی ، هذا کله رجاء ان یرجع المسلمون عما اعتقدوا به من الاصول و الفروع وعلی هذا فیکون قوله : ولاتؤمنوا الالمن تبع دینکم ، تتمة للکلام‌السابق وتأکید للزوم‌الکفر بالحکم اللاحق،وعدم‌الاعتراف بکونه حقا الا لاتباع دینهم ولشیاطینهم.

ثم ان هذا القائل ادعی‌ان الحکم الاول عبارة عن وجوب‌استقبال‌المسلمین القبلة الاولی وهی بیت المقدس فی صلاتهم‌فی المدینة ، والحکم‌الثانی‌استقبالهم القبلة الثانیة و هی الکعبة حیث نسخ الله الاولی بعد بضعة عشر شهرا من هجرة النبی الی المدینة وامر الناس باستقبال الثانیة ، و کان زمان نزول النسخ صلوة الظهر اوالعصر بعد ما صلی‌النبی رکعتین ، فجاء جبرئیل الی النبی الاعظم وهو مشتغل بصلوة الجماعة فی المسجد ، فحول وجهه الشریف من المسجد الاقصی الی المسجد الحرام ، ثم تحول المأمومون ، فصار الرجال مکان النساء والنساء مکان الرجال . بمعنی تقدم صفوفهن علی صفوفهم ، وکان هذا الامراعنی تحویل القبلة مذکورا فی التوراة وصفا للنبی الاعظم ، وعلی هذا فقوله : ان یؤتی احد مثل ما اوتیتم فی‌محل النصب علی‌اضمار‌مخافة او کراهة.

وقوله : اویحاجوکم عند ربکم عطف علیه

وقوله : ان الهدی هدی الله ، جواب عن امرهم بالکفربالحکم‌الثانی وترک الاعتراف بحقیته .

کما ان قوله : قل ان‌الفضل‌اه جواب عن قولهم ان‌یؤتی احد مثل‌مااوتیتم، فحاصل‌مفاد الایة ح‌ان الطائفة قال بعضهم لبعض آمنوا بحکم الاستقبال فی‌الصلاة نحو‌المسجد الاقصی واکفروا به نحوالکعبة، ولاتقروا بکون الحکم المذکورثابتا فی‌التوراة الالاتباع دینکم حذرا من ان‌یؤتی المسلمون قبلة مثل ما اوتیتم، وحذرا من ان یحتجوا علیکم بذاک الاقرار‌یوم‌القیامة : فاجاب الله‌تعالی عن سترهم‌الحکم واخفائه عن المسلمین بأنه لم یکن جحدکم حکم الله تعالی وثبوته فی کتابکم الالمنعکم عن هدایة الله ، مع ان الهدایة النافذة التی لایمنع عنها هی‌هدایة الله ،

وعن حصرهم بعث النبى ونزول الكتاب بانفسهم بان رحمة الله بيده يختص بها من يشاء من المسلمين وغيرهم هذا ما ذهب اليه بعض فى معنى الاية و اختاره صاحب الميزان دام ظله لكن فيه :

اولا انه ليس ههنا حكم شرعى خاص نزل فى اول النهار ثم نسخ ونزل خلافه فى آخره ، فان امر القبلة ولزوم استقبال النبى والمسلمين الى بيت المقدس كان من اول بعثة النبى الاعظم فى مكة ، و قد صلى هو والمؤمنون الى القدس ثلثة عشر عاماً فى مكة ، وما يقرب من سبعة عشرشهرا فى المدينة ، نعم قد كان (ص) يراعى احيانا فى مكة استقبال القبلتين القدس والمسجد الحرام ، وبالجملة لانعرف هنا حكما نازلا فى اول النهار ولم نعرف وقت نزول الحكم الاول عند ابتداء بعثة الرسول (ص).

وثانيا انه لم يكن الحكم الناسخ اى استقبال مكة فى آخر النهار، بل فى وسطه اذ المروى ان جبرئيل اتاه فى صلاة الظهر بعدما صلى منها ركعتين فحول وجهه الى الكعبة.

وثالثا جعل الظرف الثانى اعنى قوله آخره متعلقا بفعل مقدر بتقدير واكفروا بالذى انزل عليهم آخره خلاف الظاهر بل ظاهره انه متعلق باكفروا، فيكون مؤيدا لتعلق الظرف الاول بكلمة آمنوا ، وليس فيه خلاف الظاهر.

و رابعاً ان قوله تعالى : لعلهم يرجعون فى مقام تعليل ما حكموا به من الايمان اول النهار والكفر آخره، فجعل قوله ان يؤتى احد وأو يحاجوكم ايضاً تعليلا غير ظاهر.

فالاولى ان يقال فى معنى الايات ان الاية الاولى مسوقة لافادة امر، والثانية لبيان امر آخر، وكلاهما من الامور الخفية التى كانت بين علماء اليهود وكبرائهم، اخبر عنهما القرآن بنحو الاعجاز ، اظهار الفساد امرهم وحسدهم وكتمانهم الحق المعلوم عندهم.

اماالاول فهونوع من التخطط والحيل التى رسموها لتضعيف عقائد المسلمين وارجاعهم عن دينهم بأن يدخل عدة منهم فى الاسلام ويؤمنوا فى الظاهر اول النهار ثم يكفروا آخره ، قائلين بانا آمنا ودخلنا فى الدين و قربنا من الاسلام و احكامه و قوانينه ، فلم نر فيها صدقا وحقا ، ولامايليق ويجدر بالقبول ، فخرجنا الى ماكنافيه وقدفعلوا ذلك راجين ان يؤثرفى رجوع من آمن بذاك الدين من المسلمين.

و اما الاية الثانية . فالايمان فيها بمعنى التصديق والاعتراف لسانا كما فى قوله تعالى : قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اى يصدق المؤمنين ويقر بصدقهم ، ويؤيد تعديته باللام كما فى المقام، فالغرض من الاية بيان امر آخر من اقوالهم فيما بينهم والكشف عن مكرهم عندماخلوا الى شياطينهم وهواستيصاء بعضهم الى بعض ان لايعترفوا للمسلمين بامرين مع كونهما معلوما عندهم مذكوراً فى كتابهم .

الاول: بعث نبى منهم ونزول كتاب ودين عليهم، مثل ماوتى اليهود.

والثانى: احتجاجهم يوم القيامة على اليهود بكتابهم ودينهم ، حيث اخبرالله تعالى فيه بمجيىء النبى وحقية كتابه ودينه : فقوله تعالى : ولاتؤمنوا عطف على قوله آمنوا اى قالت طائفة منهم لاتؤمنوا الخ.

وقوله : ان يؤتى اه متعلق بقوله لاتؤمنوا وجملة قل ان الهدى معترضة واقعة موقع الجواب عن قولهم ، كماان قوله قل ان الفضل اه ايضاً جواب عن كلامهم ، فان الثابت فيهم امران كتمانهم الحق والعلة الحقيقية الباطنية فى ذلك هو الحسد ، فاجاب عن كتمانهم بان الهداية النافذة المؤثرة ليست الاهدايةالله، فكتمانهم لايدفع مشيةالله ولايؤثر شيئاً ، واجاب عن حسدهم للمسلمين ولما آتاهم الله تعالى من النبى والكتاب بقوله قل ان الفضل بيدالله فقولوا ماشئتم واحسدوا ما اردتم ، فلاتمنعون فضل الله عمن اراده الله بالاحسان ولارحمته عمن اراده بالرحمة والامتنان.

ثم ان تقديم التعليل الاول وجعله بنحو الجملة المعترضة لعله لبيان شدة قبح

كتمانهم او لامر اخر لانعلمه ، والاية الشريفة مما اعترف عدة من المفسرين بانها اصعب آيةفى القرآن من حيث اللفظ والمعنى والله العالم بحقائق تنزيله .

وقوله قل ان الفضل ـ العظيم ـ الفضل عبارة عن الزيادة على قدر الاقتصار كفضل العلم والمال والجسم والعمل وغيرذلك ، ويكثراستعماله فى مطلق النعمة والرحمة عبارة عن الصفة القلبية الخاصة ، وتستعمل اذا جعلت وصفالله تعالى فى ترتيب آثار ذلك ، فترجع الى انعامه تعالى فى الدنيا او فى الاخرة اوفيهما ،

وقوله : يؤتيه من يشاء ، وكذا قوله يختص برحمته من يشاء ، فقد يتوهم منه ان تعليق ايتاء الفضل وتخصيص الرحمة بمشية الله يدل على عدم ملاك وميزان فى ذلك بحسب الواقع وعند العقل ، بل له ان يؤتى من لااستحقاق له عند العقل فيغفر للكافر المسيىء ويدخله الجنة ، ويحرم المؤمن العامل ويورده النار ، فان الله لايسئل عمايفعل وهم يسئلون ، لكن قدمرنا ما يوضح حقيقة الامر فى نظائر المقام.

ففى الايتين ان ارجعنا الضمير المستتر فى كلمة يشاء الى الموصول كان المعنى ان الله يؤتى الفضل ويختص بالرحمة من يشائهما فلا فضل ولارحمة لمن لم يشأهما ، وهذا معنى مرجوح ، بل ظاهر الكلام رجوعه الى الله تعالى .

ولايرد ماذكرناه من الاشكال ، اذتعليق الاعطاء على المشية لايقتضى لغوية المشية وعدم وجود الحكمة فى ذلك ، فقد ثبت بالعقل والنقل امتناع صدور اللغو واللهوعنه تعالى وكون جميع افعاله صادرة عن حكمة وصلاح ، وقدعرفت ان اصول نعمه تعالى التى اليها يرجع معنى الفضل والرحمة ستة :

١ ـ نعمة الوجود ، و نعمة وسائل البقاء ٢ ـ وحفظ الوجود ٣ ـ و نعمة العقل ٤ ـ ونعمة الدين، ٥ ـ ونعمة التوفيق للعمل به، ٦ ـ ونعمة الثواب والجزاء لمن عمل به ، وقد اقتضت حكمته تعالى اعطاء الاوليين لكل ما اوجده و ابقاه ، والوسطيين لجميع ذوى العقول والمكلفين من الانس والجن بل الملك والشيطان فهى اخص من الاولى ، والاخيرتين لمن آمن وعمل صالحا من المكلفين ، فدائرتها

اضيق من سابقتها ايضا ، وليس اعطائها في جميع درجاتها الالحكمة ومصلحة وان لم ندركها احيانا اوفي غالب مواردها.

قال تعالى : **ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لايؤده اليك الامادمت عليه قائما ذلك بانهم قالواليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (۷۵) بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين (۷۶) ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولايكلمهم الله ولاينظر اليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب اليم (۷۵-۷۷ -آل عمران)**

التفسير

القنطار هو المال الكثير : او اربعة آلاف دينار ، اوملاء مسك الثور ذهبا وقيل فيه غير ذلك ، والدينار هو الذهب المسكوك اذاكان وزنه ۱۸ حمصا، ويطلق عليه الدينار الشرعي ، والدينار المعمول في زماننا هو ماكان وزنه ۲۴ حمصا ، ويطلق عليه الدينار الصيرفي فاذا نقصت عن وزن الدينار الصيرفي ربعه ساوى الدينار الشرعي ، واذا زدت على الشرعي ثلثه ساوى الدينار الصيرفي .

ثم ان ظاهر الاية انها مسوقة لبيان اختلاف في حال اهل الكتاب وان بعضهم عاملون بمقتضى شريعتهم مؤتمنون صادقون ، وبعضهم خائنون للمسلمين كاذبون، فالاية كاشفة عن حقيقة الامر في حق كل طائفة ، وفيها تعليم لزوم الجرى على وفق الانصاف في نقل الحديث عن احد او القضاء في حق شخص او ملة وامة ، فان الغالب علينا في تلك الموارد الجرى على خلاف الانصاف فنحكم في فرد بما تقتضيه صفاته اوفعاله الغالبة بلاملاحظة غيرها ، وفي الامة على طبق حال الاكثرين من دون ملاحظة حال الاقلين ، مع ان مقتضى النصفة في كل مورد بيان الواقع على

ما هو عليه والكشف عن حقيقة الامر وواقعه ، ثم انه هل المراد بالاية ان بعض اهل الكتاب من اليهود والنصارى حافظون على الامانة ، وبعضا من الطائفتين غير حافظين اوان المراد بالبعض الحافظ هو النصارى ، وبالبعض غير الحافظ هو اليهود، ارجحها الثانى .

ويؤيده قوله تعالى : لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لايستكبرون. (٨٢-المائدة)

وقوله تعالى : ذلك بانهم قالوا اه بيان لعلة عدم التأدية فيمن اوتمن على الدنيا وان ذلك لمزعمتهم الكاذبة ودعويهم الفاسدة ، و هى ان الله تعالى لم يجعل للاميين سبيلا عليهم وذكر الاميين فى كلامهم يشعر بان العلة فى تلك الدعوى كونهم اميين ، فلهم فى المقام دعويان هما كمقدمتين انتجتا جواز أكلهم مال المسلمين وعدم التزامهم برد اماناتهم .

الاولى ان المسلمين اوغير اهل الكتاب اميون

الثانية ان الله لم يجعل للاميين على أهل الكتاب سبيلا ، فصارت النتيجة عدم تأديتهم ما ائتمنوا عليه . هذا ، ومرادهم بالامى:

اما المنسوب الى الام ، فغرضهم كون المسلمين جاهلين بالكتاب و الدين وسائر العلوم ، فكأنهم باقون على الحالة التى ولدتهم امهم ، واليهود هم العالمون بالكتب المنزلة على الانبياء وبالقصص والتواريخ والانساب و غير ذلك من العلوم المتداولة فى ذاك العصر ، وهذه ترجع الى دعوى وجود امتياز لهم على غيرهم امتيازا كسبيا ، فصار سبباً لعدم السبيل عليهم.

واما المنسوب الى ام القرى وهى مكة ، وغرضهم ان اهل مكة و هم النبى الاعظم و سائر المهاجرين عنها الى مكة وهم اعيان المسلمين و ركنهم و اسس قواعدهم ومؤسس قوانينهم من اولاد اسماعيل النبى ، واليهود من اولاد اسحق ،

و قد جعل الله السؤدد والشرف والرفعة فى اولاد اسحاق ، و ليس لغيرهم سبيل عليهم ، وكم لليهود من هذه الدعاوى فقد حكى الله عنهم فى كتابه قولهم:

وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحبائه. (۱۸ـ المائدة)

وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة (۸ـ البقرة) (۲۴ـ آل عمران)

قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء . (۱۸۱ ـ آل عمران)

الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار (۱۸۳ـ آل عمران)

وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا . (۶۴ـ آل عمران)

وهذه الدعوى ترجع الى دعوى التفاضل بالامتياز الذاتى والاصالى .

ثم ان قوله تعالى: ويقولون على الله الكذب اما تكذيب للدعوى الاولى لو كان المراد فضلهم الاكتسابى ، و اما للدعوى الثانية ، فان الظاهر انهم كانوا يسندونها الى الله ، و كانت جزء من عقائدهم الدينية ، ويمكن رجوع التكذيب الى مااستنتجوه من المقدمتين وهو جواز اكلهم وديعة المسلم والامتناع عن ردها ، اذ لو فرضت صحة المقدمتين ايضاً لم تنتجا تلك النتيجة ، اذ الظاهر ان وجوبها مطلق غير مقيد بالتسلط وعدمه بل وبالايمان والكفر وغيرذلك ، و قد ورد فى عدة من الروايات التعرض له فراجع .

ثم انه قد يستشكل فى المقام بان الله تعالى ذم اهل الكتاب و وبخهم على دعويهم عدم السبيل للاميين عليهم المساوقة مع دعوى فضلهم على المسلمين بل مع دعويهم التسلط على انفس المسلمين واموالهم ، فان عدم ثبوت حق القصاص عليهم مثلا اذا قتلوا وعدم مطالبتهم بالمال اذا اتلفوه يستلزم تلك السلطنة بلا ترديد ، فالذم والتوبيخ راجع فى الحقيقة الى دعويهم السلطنة على الاميين ، فكيف ثبت نظير هذا الحكم للمسلمين بالنسبة الى الكفار غير الذميين فى شريعة الاسلام ؟ الاترى ان الاصحاب قد افتوا بجواز قتل الحربى واخذ ماله وانه لاسبيل للحربى عليه بقصاص فى النفس اومقاصة فى مال.

والجواب ان رد الله دعوى تسلط اهل الكتاب علـى غيرهم لايستلزم عدم تشريعه تسلط احدعلى احداوطائفة على طائفة اخرى مطلقا ، بل قدتقتضى المصلحة العامة فى المجتمع جعل السلطنة كذلك واهدار دماء عدة وهتك احترام المال لعدة آخرين.

ان قلت من هوالحاكم فى هذا المضمارولمن القضاء فيه وماهوالملاك فى تشخيص احترام النفوس وحرمة الاموال .

قلت: لابدمن انيكون الحاكم فيه هوالله تعالى وهل ذلك الاموضوع كسائر الموضوعات التى يجب ان يجعل له حكم ويشرع له قانون ، وح نقول انمقتضى الادلة والقواعد هواصالة الاستقلال فى الانسان واصالة عدم سلطنة احدعلى احد ، بمعنى ان الاصل ان يكون كل انسان حرا بذاته مستقلا بنفسه ، له ان يفعل مايشاء ولا يكون لاحد مـن مثله عليه سبيل بالغلبة والاستخدام والاستعباد فى بدنه ، والاستحمار فى فكرته والاستثمار فى اعماله ، والجامع للكل منع كل انسان عن استضعاف مثله فى شتى شئونه واموره .

وهذه القاعدة هى التىأمضتها المجتمعات الدولية وجعلتها مناس قوانينها الاصلية فىمنشورها، واليها أشار المحقق الانصارى قده فى كتابه المكاسب فىمقام تعرضه لبيان مناصب الفقيه وانها ثلاثة ، الافتاء والقضاء بين الناس وولاية التصرف فى الاموال والانفس ، بمعنى استقلاله بنفسه فىالتصرف اوتوقف تصرف غيرهعلى اذنه واناطته باجازته ، قال وهذا القسم هوالمقصود بالتفصيل هنا .

ثمقال : مقتضى الاصل عدم ثبوت الولاية لاحدبشىء من الامور المذكورة خرجنا عنهذا الاصلفىخصوص النبى والائمة عليهم السلام بالادلة الاربعة، وعلى هذا فيمكن ان يقال انهذا الاصل يلازم اصلاآخر، وهواصالة الاشتراك والمساواة فى التكليف بمعنى تساوى جميع افراد الانسان فى مرتبة التشريع ، فهم شرع سواء فى التكليف بالاصول وهم متساوون فى خطاب الفروع ، ولاتفاضل بينهم

الافیما اخرجه الدلیل کماسیجیء .

و هذا الاصل یقابل اصالة المساواة التکوینیة المردودة بالادلة والوجدان ، فانه‌لاتساوی بین‌افراد الانسان فی‌مراحل التکوین ، فهم‌مختلفون فی العقول‌وجمیع الحواس الباطنة ، و مختلفون فی الصفات والملکات ، و مختلفون فی الحواس الظاهرة ومختلفون فی‌خصوصیات الاجسام‌والهیئات ،کما انهم‌مختلفون‌فی‌الجملة فیما هوخارج عن‌حیطة الجسم والروح کالاولاد والاموال مثلا.

وماقد یترائی فی کلمات بعض المستحدثین من‌دعوی تساوی‌الانسان‌بالفطرة والذات فی جمیع الحواس الباطنیة والاوصاف النفسانیة ، و انما نشأ الاختلاف من العوارض‌الخارجیة، واختلاف‌اقتضاء محیط حیاته من‌الاباء والاقربین‌والخلطاء والمعاشرین وغیرهم، ولوفرض فی مکان تساوی جمیع تلک الجهات، من بدء نشأ الانسان لکانوا متساوین فی جمیع تلک الجهات ، لم یقم‌علیه دلیل من حکم عقل وشهادة تجربة واختبار.

ان قلت‌کیف تدعی الاشتراک والمساواة فی‌التشریع مع ان الناس مختلفون فی‌غالب الاحکام الشرعیة المجعولة من جانب الشارع کالصلاة والحج والزکوة و غیرها ، فان عدة منها لم تشرع فی حق الصبیان والمجانین والمرضی والفقراء ونحوهم .

قلت لیس المراد باصل الاشتراک والمساواة کونها مجعولة فی حق جمیع الناس من غیر استثناء ، والا لزم خلاف المصلحة والحکمة فی جعلها و تشریعها ، کماستعرف ، فانه لماکان اللازم لمشرع القوانین ملاحظة المصلحة فی تشریعها، سواء فی‌ذلک الشارع الحکیم او غیره ممن یتصدی لتقنین القانون علی ملقوامة، فیلاحظ الحکم والموضوع‌اولاوالصلاح والفسادالمترتب‌علی‌المتعلق والموضوع ثانیا : ثم ینشأ الحکم ویرتبه علی الموضوع ، فاذا اراد المشرع ایجاب الحج

مثلا لابد له من ملاحظة المصلحة الملزمة فى تشريعه . فيرى ان المصلحة مترتبة على عنوان المستطيع من جهة المال والبدن والسرب، لاعلى جميع الناس فيجعل الحكم وينشأه على ذلك العنوان ، ولازم ذلك خروج عدة كثيرة عن موضوع التشريع ،

ولا بأس بذلك فان المدعى فى المقام هو أن اصالة الا شتراك و المساواة ملحوظة فى العنوان بعد ترتب الحكم ،فلافرق فى وجوبه على المستطيع بين افراده ولاامتياز فيه بالمكان او الزمان او القبائل والطوائف ، فهيهنا اختلاف فى شمول الاحكام من جهة، واتحاد وتساو فيه من جهة اخرى، والاول عبارة عن كون الناس مختلفين فى انطباق العناوين ذات المصلحة وعدمه ، ومنشائه اختلافهم فى مراحل التكوين كما عرفت ، و الثانى عبارة عن تساوى الواجدين للعنوان الواقع فى موضوع الحكم .

والظاهر ان القاعدة المعروفة فى علم اصول الفقه بقاعدة الأشتراك يراد بها هذا المعنى ، فترى ان المدعين لكون الخطابات القرآنية مختصة بالحاضرين فى زمن الخطاب، تمسكوا فى تسرية الحكم الى الغائبين او الموجودين بعد ذلك الزمان ، بأن جميع المكلفين مشتركون فى الحكم متساوون فيه ، فاذاثبت حكم فى حق الحاضر المخاطب ثبت فى حق من سواه ، ثم اتموا الدليل بان المراد اشتراكهم فيما اذا ساووا فى الملاك اى العنوان المتخذ فى لسان الدليل وظواهر الخطابات ، وهذه هى قاعدة المساواة المذكورة .

هذا فى نفس الاصل المذكور اعنى اصالة عدم السلطنة واما موارد التخصيص والاستثناء فهى كثيرة .

منها موارد تسلط الانبياء والائمة ونوابهم على النفوس والاموال على اختلاف فى سعته وضيقه كما عرفت .

ومنها موارد تسلط المسلم على الكافر الحربى نفسا ومالا

ومنها تسلط المولى على عبده

ومنها تسلط الاب والجد على الاولاد واموالهم في الجملة .

ومنها تسلط الزوج على زوجته كذلك وغيرذلك من الموارد .

اما سلطنة الانبياء والائمة فقد عرفت ثبوتها لهم بالادلة الاربعة . فلابد من تخصيص القاعدة بذلك و سيتضح لك ملاك التخصيص واما سلطنة المسلم على الكافر فهي ايضا مقتضى الادلة الشرعية مع انها توافق حكم العقل والاصول العقلائية ايضا ، فان حكمهم في نظام الدول و الحكومات هو ان المتمرد المعرض عن القوانين الموضوعة لصلاح حال الملة ان كان من عقلاء القوم و من اهل الرأي و النظر في الاحكام والقوانين ،وكانت مخالفته لاجل تخطئة اهل التقنين وابطال آرائهم وما وضعوه من القانون ، فالواجب عطف النظر الى دعواه وقبولها لو كان حقا ، و ابطالها بالدليل ان كان باطلا

وان كانت المخالفة للقوانين و التمرد عنها لمجرد كونها مخالفة لاهوائهم الباطلة وميولهم الفاسدة ورئاساتهم وشهواتهم ولم يمكن اصلاحهم بالدعوة الى الحق والنصح والموعظة ، فاللازم مقاتلتهم واهدار دمائهم واباحة اموالهم ونحو ذلك ، وهذا ليس يستنكر عند العقل والعقلاء ، وقد حكم الشارع بما حكموا به

ثم ان كلا التخصيصين قد وقعا في الحقيقة في طريق حفظ تلك القوانين والتمكين من اجرائها في المجتمعات البشرية ، الا ان الاول واقع في سلسلة العلل بايجاد المقتضي ، والثاني برفع الموانع، فتلخص مما ذكرنا ان هنا قواعد ثلاثا وعدة مخصصات .

القاعدة الاولى اصالة عدم سلطنة احد على احد

والثانية اصالة الاشتراك في التكليف والمساواة في التشريع

والثالثة اصالة الاختلاف في التكوين في ابعاده الخمسة. واما موارد التخصيص فهي كولاية الانبياء والائمة (ع) وتسلط المؤمن على الكافر وغيرهما مما عرفت ، هذا كله في الاصل الجاري في النفوس واحترامها ، واما الاموال فتوضيح الحال فيها يستدعي بيان امور:

الاول ذكر الايات الدالة على انتساب كل شيء الى الله تعالى ملكا ، كما انه كذلك خلقا وتدبيرا.

الثاني: ذكر ما دل منها على ان الارض ومافيها للناس ومسخرة لهم.

الثالث: ذكر ما دل منها على تحديد تصرفه بالاباحة .

الرابع: ذكر ما دل منها على مالكية الناس لبعض الاشياء ملكا اضافيا.

الخامس: ذكر مادل على ان الارض وما عليها يرثها المتقون وعباد الله الصالحون.

اما الامر الاول: فيظهر من الكتاب الكريم ان الله تعالى هو المالك للاشياء، كما انه الخالق لها والمدبر لامرها ، فالسماء والارض والجماد والنبات والحيوان كلها ملكه و جميع ذوى العقول عبيده وارقائه وقد انزل الله تعالى سورة ذكر فى اولها عموم ملكه تعالى فسماها سورة الملك.

تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير. الملك)

١ - ذلكم الله ربكم له الملك(١٢- فاطر)

٢- قل اللهم مالك الملك (٢٧-آل عمران)

٣- وله ملك السموات والارض (١٨٩-آل عمران)

٤ - الا انله ما فى السموات والارض (٥٥ - يونس)

٥ - قل من رب السموات والارض قل الله (١٦-الرعد)

٦ - ولله خزائن السموات والارض (٧- المنافقون)

٧ - ولم يكن له شريك فى الملك (٢ - الفرقان)

٨ - ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا (٩٣-مريم)

٩ - قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس (١ - الناس)

١٠ - ثم استوى على العرش يدبر الامر(٣- يونس)

واما الامر الثانى فتدل آيات من الكتاب على اختلاف السنتها من حيث العموم والخصوص على ان الارض وما عليها كلها للناس ، وانها خلقت لاجلهم ، ويقرب ما دل على انها مسخرة للانسان قال تعالى :

والارض وضعهاللانام (١٠ـ الرحمن)

الذی جعل لکم الارض مهداوسلك لکم فیها سبلا (٥٣ ـطه)

الذیجعل لکم الارض قرارا (٦٥ـ غافر)

هوالذی جعل لکم الارض ذلولا(١٥ـ الملك)

والله جعل لکم الارض بساطا (١٩ـ نوح)

هوالذی خلق لکم ما فیالارض جمیعا (١٩ ـ البقره)

و الانعام خلقها لکم فیهادفء ومنافع و منها تأکلون ... والخیل والبغالو الحمیرلترکبوها وزینة ... هوالذی انزل من السماء ماء لکم منه شراب ومنهشجر فیه تسیمون ینبت لکم به الزرع والزیتون والنخیل والاعناب ومن کل الثمرات... وما ذرأ لکم فیالارض مختلفا الوانه (٥ـ ١٣ ـ النحل)

انفقوا من طیبات ما کسبتم ومما اخرجنا لکم من الارض(٢٦٧ ـالبقرة)

وانزلنا من السماء ماء بقدرفاسکناه فی الارض وانا علی ذهاب به لقادرون فانشانا لکم به جنات من نخیل واعناب لکم فیها فواکه کثیرة ومنها تاکلون ... و ان لکم فیالانعام لعبرة نسقیکم مما فی بطونها و لکم فیها منافع ومنها تأکلون و علیها وعلی الفلك تحملون (١٨ـ ٢٢) ویقرب منها الایة (٧٩ من غافر)

وآیة لهم الارض المیتة احییناها واخرجنا منها حبا فمنه یأکلون وجعلنافیها جنات من نخیل واعناب وفجرنا فیها من العیون لیأکلوا من ثمره (٣٥ـیس).

اولم یروا انا خلقنا لهم مما عملت ایدینا انعاما فهم لها مالکون ، وذللناها لهم فمنها رکوبهم ومنها یأکلون ولهم فیها منافع ومشارب (٧١ـ٧٣ـیس)

وسخرلکم مافیالسموات والارض (٢٠ـ لقمان)

المتران الله سخرلکم مافیالارض والفلك تجریفیالبحربامره(٦٥ـالحج)

الله الذی سخرلکم البحرلتجری الفلكفیه بامرهولتبتغوا من فضله ...وسخر لکم ما فیالسموات وما فیالارض جمیعا منه (١٣ـ الجاثیة)

وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها.
(۱۴- النحل)

الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار (۳۲-ابراهيم)

والمستفاد من هذه الطائفة هو تسلط الانسان على الارض تسلطا خارجيا، واستيلائه عليها استيلاء تكوينيا، وان مجموع الارض وما عليها لمجموع ساكنيها وانها اموال عامة لعامة هذا النوع، وحيث انها سيقت مساق الامتنان دلت بالالتزام على جواز تصرفهم فيها كيف شائوا وارادوا، فكانت النتيجة ان كل تسلط وتصرف تعلق بها وقدر عليها الانسان فهو سائغ له وله الرخصة فيه

واما الامر الثالث فآيات دلت على تحديد اباحة التصرف بعدم اتباع خطوات الشيطان او بالتقوى او بعدم الاسراف او بعدم الطغيان او نحو ذلك.

۱- قال تعالى: يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان (۱۶۸-البقرة)

۲- وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون (۸۸-المائدة)

۳- وهو الذى انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين (۱۴۱-۱۴۲-الانعام)

۴ - يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ... قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق (۳۲-۳۳-الاعراف)

فالحلال هو غير الممنوع من قبل الشرع والطيب هو غير الممنوع من ناحية

العقل والطبع ، والظاهر كونهما مفعولا مطلقا ، فالمراد تصرفوا تصرفا مطلقا غير ممنوع منه ، فهذه الايات دالة بالمطابقة على قاعدة جواز التصرف التشريعى المدلول عليها بالالتزام فى الايات السابقة ، والمقرونة بها حدود وشرائط تحدد ذاك الجواز وتقيده ، كقوله تعالى : (ولاتتبعوا خطوات الشيطان) .

فان اتباع الشيطان اى الطاغى المتمرد عن الطاعة فى الاصول او الفروع يوجب دخول الانسان فيما لايليق شرعاً ولايحق عقلا.

فيرجع مفاد الاية الى تجويز كل تصرف سوى ماورد فيه منع من الشرع ، ونظير ذلك كلمة التقوى فى الاية الثانية: فان ذكرها بمنزله تقييد الجواز بها، ومعناها الاجتناب عن موارد التحريم، ويقرب منهما قوله: (واتوا حقه) وقوله:(ولاتسرفوا) فهما والاسراف هو تجاوز الحد فى كل فعل يفعله الانسان كما فى المفردات.

والظاهر ان المراد تحديد التصرفات بعدم خروجها عن الموازين الشرعية والعقلية، فيقرب من القيود السابقة فى المرمى، وكذا قوله قل انما حرم ربى الفواحش اه. فان ذكره بعد الحكم باباحة كل زينة من زينة الدنيا ، كتحديد الاباحة بعدم وقوع استعمال الزينة فى مسير الحرام والفواحش ، ويتحصل من هذه الايات تحديد التصرف وتقييده، وانه كما ان قدرة الانسان تكوينا وتسلطه خارجا محدودة غير مطلقة وان كانت تتزايد وتتكامل كما يعرف من مقايسة حاله فى اوائل عصر تكونه مع قدرته الفعلية، فكذلك اباحة تصرف كل فرد من المجتمع الانسانى فى الارض وماعليها من الاموال العامة محدودة بحدود ، فلم يسوغ له كلما شاء و اراد ، من الاكل والشرب واللبس والنكاح وغيرها.

بل انما تتعلق بالتصرف الواقع فى السبيل المشروع له من ناحية خالقها و واهبها ، او بعدم كونه على نحو ينطبق عليه عنوان اتباع الشيطان ، او وصف الطغيان، اوالاسراف اوترك التقوى، ويرجع بعض هذه القيود الى لحاظ المصالح

المتعلقة بالمتصرف مع قطع النظر عن غيره، وبعضها الاخر الى ملاحظة حال الغير من جهة عدم وقوع التزاحم بين المتصرفين ومراعاة حقوق سائر افراد المجتمع، وبعضها الثالث الى ملاحظة كلا الامرين، وليس جميع الحدود الواردة فى حق كل فرد مربوطا بحال غيره ومجعولا لاجل دفع مزاحمته عنه كما يتوهم.

واما الامر الرابع فآيات يستفاد منها الملك الاضافى للناس وان لهم التملك منها فى الجملة، والتسلط على الاراضى و غيرها مما عليها سلطنة اعتبارية، اضافية وليعلم قبل ذلك:

اولا ان انتزاع الملكية الاعتبارية يكون فى الغالب بعد تحقق ثلاث مراحل: التسلط التكوينى، والاباحة التشريعية، والاقدام من الانسان على حيازة شيء وتخصيصه لنفسه، فاذا امضاه الشارع تحقق ح عنوان المال المضاف الى الشخص المساوق للملكية الاصطلاحية والاضافة الاعتبارية التى ذكرناها، و هى آيات كثيرة تدل على المقصود بالالتزام بمعنى دلالتها على احكام تكشف عن كون اصل ملكية الاشخاص للاموال فى الجملة مفروغاً عنه، و مفروض الثبوت بحيث لاشبهة فيه ولاارتياب.

كتحريم القرب من مال اليتيم، واكل اموال الناس بالباطل، وادلاء الاموال الى الحكام، واخذ اموال الناس بالاثم، واكل اموال اليتيم ظلما، واخذ الاموال بالربا وانفاقه رئاء وحسبان تأثير المال فى خلود الانسان واعطائه السفهاء، وابطال الصدقة منها بالمن.

و كتجويز القرب من مال اليتيم بالطريق الاحسن والامر بايتاء شيء منها العبيد، وتجويز اخذ رأس المال فى باب الربا، وايجاب الجهاد بها وبالانفس، ودفع مال اليتيم اليهم بعد ايناس الرشد، واخذ الصدقة منها للتطهير و مدح جعل الحق فيها للسائل.

وكالاخبار عن كونها سبب للافتتان، وعن ايراث اموال الكفار للمسلمين، وان

اعطائها لبعض ليس مسارعة فى الخيرات ، ومدح ايتائها تزكية للنفس و تطهيراً لها وغير ذلك من الاحكام المترتبة على الاموال المضافة الى الاشخاص ، وهى المعبرعنها بالملك الاعتبارى الاضافى ، الكاشفة كشفا قطعيا عن امضاء الشارع تلك الملكية.

ويستفاد ذلك من مواردكثيرة من الكتاب الكريم.

منها موارد الحث على الصدقات والانفاقات الواجبة والمندوبة قال تعالى :

خذمن اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها (۱۰۳ ـ التوبة)

وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى مالهتزكى (۱۸ـ الليل)

الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار (۲۷۴ـ البقرة)

مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل (۲۶۱ـ البقرة)

وفى اموالهم حق للسائل والمحروم (۱۹ـ الذاريات)

لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاه الناس (۲۶۴ـ البقرة)

قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا ممارزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتى يوم لابيع فيه ولاخلال (۳ـابراهيم)

ومنها موارد بيان حكم مال اليتيم قال تعالى:

ولاتقربوا مال اليتيم الابالتى هى احسن. (۱۵۲ـ الانعام)

الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فـى بطونهم ناراً . (۱۰ـالنساء)

:وآتوا اليتامى أموالهم ولاتتبدلوا الخبيث بالطيب ولاتأكلوا اموالهم الى اموالكم(۲/۶ـالنساء)

فان آنستم منهم رشداً فادفعوااليهم أموالهم (۶ ـ النساء)

ومنها موارد الجهاد بالمال قال تعالى:

:انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله (۴۱ـالتوبة)

ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم و اموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى فى سبيل‌الله (١١١- التوبة)

ومنها موارد الأرث قال تعالى

للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون. (٧ النساء)

واذا حضر القسمة اولوالقربى واليتامى والمساكين فارزقوهم‌منه (٨_النساء)

ولكم نصف ما ترك ازواجكم ... ولهن الربع مماتركتم(النساء _١٢)

ومنها موارد الوصية قال تعالى

كتب عليكم اذاحضر احدكم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين (١٨٠- البقرة)

فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصى بها اودين (١١النساء)

ولكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين (١٢ النساء)

ومنها موارد مختلفة قال تعالى:

ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدوداً (١٣ _ المدثر)

ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهاراً (١٢-نوح)

واحل لكم ماوراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين .

(٢۴- النساء)

وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ولايسئلكم اموالكم (٣۶ - محمدص)

لاتلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله (٩ _ المنافقون)

وآتوهم من‌مال‌الله الذى آتاكم (٣٣ النور)

ومنها موارد الربا قال تعالى

واحل‌الله البيع وحرم الربا (٢٧۵- البقرة)

يمحق‌الله الربا ويربى الصدقات (٢٧۶-البقرة)

اتقوا الله وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين (٢٧ _ البقرة)

وما آتيتم من‌ربى ليربوا فى اموال الناس فلا يربوا عندالله (٣٩-الروم)

وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لاتظلمون ولاتظلمون (۳۷۹ - البقرة)

ومنها موارد المعاملات قال تعالى:

واحل الله البيع وحرم الربوا (البقرة ۲۷۵)

انفقوا من طيبات ماكسبتم (۲۶۷البقرة)

اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه (۲۸۲ البقرة)

الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم (۲۸۲ البقرة)

الاان تكون تجارة عن تراض منكم (۲۹ النساء)

قل ان كان آبائكم ... وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا (۲۴- التوبة)

انى اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرنى ثمانى حجج (۲۷ القصص)

ياابت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين . (۲۶ القصص)

قال تعالى : **بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين . ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لاخلاق لهم فى الاخرة ولاينظراليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب اليم .** (۷۶/۷۷ آل‌عمران)

التفسير

الايفاء الاداء والاعطاء تماما وكملا، كما ان الاستيفاء الاخذ كذلك ولم يستعمل فى القرآن الا متعديا بباب الافعال او التفعيل ، والعهد هو الايصاء والشرط وعهد الى زيد اوصاه وشرط عليه ، و المراد بالعهد هنا الاعم من اقسامه الثلاثة ، فالاول هو العهود الالهية الحاصلة بينه تعالى وبين عبده ، وهى الاحكام الشرعية الاصولية والفروعية ، فلها نسبة الى الله ونسبة الى العبد، وقداطلق العهد على الاحكام الصادرة

من الله فی مواضع من الكتاب الكريم قال تعالى :

وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود . (١٢٥ البقرة)

الم اعهد اليكم يابنى آدم الاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين . (٦٠يس)

ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسى ولم نجد له عزما . (١١٥ طه)

واوفوا بعهدى اوف بعهدكم واياى فارهبون . (٤٠ البقرة)

ثم ان ايصال ذلك الايصاء والشرط اما بالحجة الظاهرة كالرسل والأوصياء وانزال الكتب كما هو الثابت المحقق فى اغلب الاحكام الشرعية ، واما بالحجة الباطنة اعنى العقل الذى يوافق النقل فى موارد كثيرة ، كما انه ينفرد بالحكم احيانا، فبين قيام الحجتين ومؤداهما عموم من وجه .

فقد تقوم الحجة الظاهرة بحكم ولم يدركه العقل ولم يحكم فى مورده بشىء كأغلب التعبديات، وقد تقوم الحجة الباطنة ولادليل شرعى كموارد التخيير والاحتياط فى المسائل الفرعية ، وقد تقوم الحجتان ويحكم العقل والنقل بحكم كقبح الظلم والكذب وحسن الاحسان والصدق وغيرهما، وايفاء هذه العهود عبارة عن امتثال احكام الله تعالى جميعا باتيان الواجبات الاعتقادية والعملية وترك المحرمات كذلك وعدم مخالفة شىء منها .

(كما قال تعالى: وابراهيم الذى وفى) فان الظاهر ان المراد توفيته فى اداء ما عليه من احكام الله وحقوقه .

والثانى العهود المتحققة بين العبد ونفسه كالزام الانسان شيئا على نفسه بالعهد والنذر واليمين ونحوها، فهى عهد والزام منسوب الى العبد، وتوفيتها العمل بمقتضاها تاما ، وعدم الحنث بمخالفتهما لئلا يدخل فى قوله تعالى : (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) ولعله قد استعمل فى هذا القسم قوله تعالى : (واوفوا بعهد الله اذا عاهدتهم) كما عن ابن عباس وقوله تعالى : (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا. (١٧٧

البقرة) وبعض العمومات شامل ايضا كقوله: والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون. (۸ ـ المؤمنون)

والثالث العهود الواقعة بين العباد بعضهم مع بعض ، وهى العقود اللازمة والجائزة كالبيع والاجارة والنكاح والمزارعة والمساقاة ونحوها ، فهى عهود والتزامات منسوبة الى العباد ، فان من يملك ماله بثمن فانما يلتزم باخراج المال عن ملكه ويلزم صاحبه باعطاء بدله. والايفاء بها العمل بمقتضاها وعدم نقضها وفسخها، ولعل بعض الايات وارد فى هذا القسم قال تعالى :

الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة. (۵۶ـ الانفال)

الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا . (۴ ـ التوبة)

وقد ذكر عدة من اصحابنا هذه الاقسام فى ذيل الاية الاولى من المائدة ، وحملوا العقد فى قوله تعالى: اوفوا بالعقود بعد بيان ان المراد به العهد على العهود الثلاثة المذكورة .

وقوله تعالى : (واتقى فان الله يحب المتقين) المراد بالتقوى الاتقاء عن المخالفة فى جميع الاقسام المذكورة للعهد، فان اريد بها التقوى عملا كان عنوان التقوى معلولا للايفاء ، وان اريد بها التقوى قلبا بمعنى الخوف من الله الباعث على الحركة نحو طاعته ، كان ذلك علة للايفاء ، وحب الله عبارة عن انعامه وتفضله ، لانك قد عرفت ان حبه تعالى صفة ترجع الى فعله، لمقتضى الحب وترتيب آثاره.

فيكون المراد بالاثار هنا هى الاثار المترتبة بعد حصول صفة التقوى للعبد لانه الموضوع للحب، فاعطاء الوجود وسائر النعم الدنيوية وبذل نعمة الدين وتوفيق قبوله من آثار الحب الحاصلة قبل عنوان التقوى، وابقاء تلك النعم وكذا اعطاء الثواب فى الاخرة من آثار الحب بعد حصول التقوى ، فهى المرادة بهذه الجملة .

قوله تعالى : (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا) ليس المراد بالاشتراء هنا البيع ، ولا الشراء لعدم تعلقه بالثمن بكل واحد من المعنيين ، اذ الثمن لايباع

ولايشترى ، والقول بان الباء فى قوله بعهدالله زائدة ، و قوله ثمنا منصوب بنزع الخافض، والمعنى ان الذين يبيعون عهدالله بثمن قليل اه حمل للاية على خلاف ظاهره من جهتين ، فالاولى ذهب اليه بعض المفسرين من كون الاشتراء بمعنى الاستبدال فالاية تنهى عن استبدال عهود الله بالثمن القليل بمعنى مخالفتها طلبا للمال والجاه وحبا لمتاع الدنيا .

ثم ان العهد فى هذه الاية منسوب الى الله ،فيشمل الاحكام الالهية بلااشكال وكذا يشمل ما يوجبه الانسان على نفسه ، فانه ينسب الى الله ايضا كما فى قولك عاهدت الله اولله على ان افعل كذا ، واما العهود الواقعة بين الناس بعضهم ببعض ففى شموله الاية لها خفاء ، بل الظاهر ان الاية مسوقة لبيان خصوص القسم الاول من العهود .

وذلك لما يترائى من كلمات القوم من حصر مصداق الاية فى علماء اليهود والنصارى حيث حرفوا التوراة والانجيل ، ونقضوا عهدالله اليهم فى العمل بهما وابلاغهما وبيانهما للناس ، وعدم كتمان احكامهما حفظا للرئاسة و حبا و طمعا فى متاع الدنيا .

لكن الظاهر مع فرض كون المراد بالعهد خصوص القسم الاول ، ان الاية غير منحصرة فى اولئك القوم ، فكل من خالف حكما من احكامه تعالى و تركه حبا للمال اوطلبا للجاه ونحو ذلك فهوقد استبدل عهدالله فى كتابه وسنة نبيه بثمن بخس ودخل فى معنى الاية ، وكم لهولاء من نظائر فى زماننا هذا ، وحيث ان المراد باستبدال العهد الاعم من تغيير احكام الله تعالى وتحريفها وكتمانها عن اهلها ، و مخالفتها عملا ولو مع الاعتقاد بثبوتها، والمراد بالثمن القليل مطلق الانتفاع بشىء من حظوظ الدنيا من الجاه والمال ونحوهما ، فيمكن ان يعد من مصاديق الاية الطوائف التالية

١ - علماء التوراة والانجيل الذين كتموا عن الناس ماانزل الله فى الكتابين من نبوة محمد(ص) واوصاف النبى وكتابه ، حفظا لجاههم وحباً لمتاع الدنيا، فقدتركوا العهد ونبذوه وراء ظهورهم واستبدلوه بثمن قليل .

۲ ـ الذين حرفوا احكام‌التوراة من‌اصولها اوفروعها ووضعوا مكانها احكاما اخر وهولاء ايضاً من‌اهل‌الكتاب وعلمائهم .

۳ـ الذين‌حرفوا احكام‌القرآن‌ونسخوهاووضعوامكانها قوانين‌عصرية‌اخرى فانهم لم يفعلوا ذلك الأطلبا لمقام اومال‌فهم من مصاديق الاية.

۴ ـ الذين انكروا الوصاية وامامة اهل البيت وحرفوها عن‌مسيرها وازالوها عن مراتبها التى رتبهاالله . وجعلوها لانفسهم وتقمصوابها، اواعانوا‌الغاصبين على ذلك ونصروهم واتبعوا اهوائهم .

۵ ـ الذين تركوا مااوجبه الله اوأخذوا بماحرمه تعالى ، فخالفوا احكام الله عملا طمعا فى‌حطام الدنيا ولومع الأذعان بحقيقتها ، وهؤلاء كثيرون ، فمنهم‌العالم غيرالناطق بحق‌والصامت عن‌الامربالمعروف والنهى عن‌المنكرحفظا لجاهه‌ومقامه وحظوظه ، اوطلبا لتحصيل‌ذلك .

۶ ـ ومنهم الظلمة واعوانهم يخالفون احكام‌الله بالعصيان والظلم‌ويتمتعون بذلك من‌الدنيا ومتاعها .

۷ ـ العلماء المتصدون لمقام ومرتبة ليسوالها اهلا ، فنفس التصدى لذلك المنصب ومايستتبعه ذلك من تغييرالاحكام ومخالفتها واتلاف اموال العامةوالخاصة و غيرها . استبدال للعهود ، و ما يصل اليهم من الحظوط الدنيوية ثمن قليل فى قبال ذلك .

۸ ـ اصحاب التجارات والاجارات المحرمة‌كبيع الخمر والمسكروالميتة وآلات اللهووغيرها ، الذين ينتفعون‌بذلك فى‌امرار معايشهم فهم‌يستبدلون‌العهود بالمخالفة ويأخذون ثمنا قليلا .

۹ ـ ارباب الاعمال المحرمة الذين يأخذون بـذلك اجراً من صناع ذلك وعمالها ، والمعاونين عليها كصانع الخمروآلات اللهو والطرب وامكنة الفحشاء والمنكرات والبنوك الربوية والعامل فى‌صنعتها والمعين‌عليها .

١٠ـالمتصدون لكتابة الضلالةوطبع كتبهاونشرها، والاخذون فيذلك اجراً وثمنا قليلا وغير ماذكرمن مواردكثيرة كما قال تعالى فى جميع ذلك : (اذهبتم طيباتكم فيحياتكم الدنيا واستمتعتم بها) .

ثم ان استبدال العهد بالثمن القليل قد يستلزم كفر الفاعل كالاقسام الاربعة الاول، وقديكون سببا لفسقه كباقيالاقسام ، فعلى الاول يكوناطلاق قوله:لاخلاق لهم فيالاخرة محفوظا محكما ، فانه لانصيب للكافر منرحمةالله فيالاخرة، وعلى الثانى فعدم الخلاق امر نسبى بالاضافة اليه .

فان الاعمال المحرمة التى يرتكبها الانسان فيالدنيا يكوننصيبالفاعلمنها هوحظوظها الدنيوية، ولانصيبلهمنرحمةالله بالنسبة اليتلك الاعمال فى الاخرة، وهذا لاينافى تحقق عملصالح منه يستحق به نصيبا فيها كايمانه وبعض الصالحات من اعماله.

ثمان القول بعموم الايتين للموارد المذكورة وغيرها لاينافى ورودهما فى اهلالكتاب وعلماء اليهود والنصارى كمايشهد بذلك ماقبلهما منالايات ومابعدهما لانه لابأس ببيان حكم كلى يكون مورد الكلام ايضا منمصاديقه ، وهذا المقدارمن الربط كاف فيكون الاية مذكورة فيضمن آيات اهل الكتاب .

قوله وايمانهم ، المرادبها الايمان المقرون باخذ الكتاب وقبوله. والالتزام ببيان مافيه ونصرة النبى الاعظم ، وهذا ثابت فيعلماء اليهود والنصارى قال تعالى

الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب الايقولوا علىالله الاالحق (١٦٩ـالاعراف)

واذاخذالله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننهللناس(١٨٧ ـ آلعمران)

فان الغالب اناخذ الميثاق لايكون الابيمين معانه يفهم من آيتنا المبحوث عنهاان هناكيمينا ثابتاخولف طلباللثمن القليل والقدر المتيقن منهذلك .

ويمكن ان يكون المراد بالاية انهم يشترون اى يأخذون لسببترك العهدو فعلاليمين ثمناقليلا ، فيشمل اليمين كل يمين كاذبة يكون سببا للوصول الى شيء

من‌متاع الدنيا ، وبالجملة ان‌كان المراد بالايمان الصادقة فمصداقها ماقارن التزام اهل الكتاب باخذه وتبليغه وعدم كتمانه وان‌كان المراد الكاذبة شملت كل يمين كاذبة‌كان فيهاجلبا لنفع واخذ الثمن ، الاان ذلك لايناسب تعلق الاستبدال به.

قوله تعالى : ولايكلمهم ولاينظر اليهم اه‌قدعرفت فيماسبق ان كلام الله‌تعالى يرجع الى خلق الصوت، فكونه متكلما يرجع الى كونه خالقا، ويظهر من‌الاية ان الله يكلم المؤمنين يوم القيامة تشريفا لهم وحبا وانعاما اليهم فلا يكلم الله هؤلاء الطائفة ، ويمكن أن‌يكون التكلم كناية عن شمول انعامه واحسانه الأخروى لهم كما ان‌النظر اليهم كناية عن ذلك فان من كان حاضرا عند عظيم من العظماء اذالم ينظر اليه‌ولم يكلمه يكشف عن عدم حبه‌اليه واحسانه ، بل‌عن بغضه وسخطه فالكلامان سيقا بعنوان الكناية عن السخط عليهم، ولايصغى الى‌ماقيل ان‌الكناية لاتكون‌الافيما تيسرفيه الاستعمال الحقيقى ولايعقل فى حق‌الله تعالى النظر بالعين .

قوله تعالى: **وان‌منهم لفريقا يلون السنتهم بالكتاب‌لتحسبوه من‌الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هومن عندالله وماهو من عندالله و يقولون على‌الله الكذب وهم يعلمون** (۷۸ آل‌عمران)

التفسير

اللى اجوف واوى وناقص يائى بمعنى الفتل، يقال لويت يد زيد اى‌فتلتها، والظاهر ان علماء الكتابين وقرائهما كانوا يقرؤنهما بلحن خاص ،واذاحرفوا شيئا منهما ووضعوا مكانه كلاما آخرمظهرا انه من‌الكتاب قرؤه‌بلحنه ليكتموا الامرعلى السامعين ويشبهوه عليهم .

فقال تعالى : وان فريقا منهم‌اه والمراد بالكتاب الاول ماكتبوه بايديهم من مخترعاتهم وبالثانى والثالث هوالكتاب الواقعى ، و اطلاق الكتاب على التوراة والانجيل كاطلاقه على القرآن الكريم بلحاظ كونها مكتوبة فى اللوح المحفوظ

كماقال تعالى : انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون .

وقال بل هوقرآن مجيد فى لوح محفوظ ، وهذا بناء على ارادة المكتوب بالفعل من الكتاب ، ويمكن فى خصوص القرآن ان‌يراد الكتاب‌بلحاظ الاستعداد وكونه كتابا بالقوة ، فان اطلاقه على القرآن خاصة فى‌السور المكية ، انماهوبهذا اللحاظ . قال تعالى :

وهذاكتاب انزلناه مبارك مصدق الذى بين‌يديه (٩٢ـ الانعام)

وهذاكتاب انزلناه مبارك فاتبعوه (١٥٥ ـالانعام)

ثم‌ان الله حكى عنهم انهم كذبوا مرتين ، احدهما فى ليهم‌الالسنة بالكتاب والثانى فى تصريحهم انه‌من عندالله فرد الاول بقوله وماهو من‌الكتاب‌والثانى‌بقوله وماهو من‌عندالله ، ثم‌بين ان‌كذبهم مطلقا يصدر منهم عن علم .

ثم‌ان الاية فى مقام الذم و التوبيخ الملازم للسخط و الغضب ، و الحكم لا يختص بمورده ، وهوالكلام الباطل الصادر من‌اهل الكتابين الواقع موقع كلام‌الله تعالى و المتلبس بلباسه من حيث لى الالسنة و الصوت الخاص ، فتشمل الاية‌كل باطل البست عليه ثياب الحق واخرج للناس باسمه وبعنوانه .

١ ـ كما فى الروايات المجعولة المفترأة على النبى والاوصياء فـانها باطلة البست لباس الحق .

٢ ـ وكما فى‌الكتب الضالة التى تنشر بعنوان الحق ، كالتوراة والانجيل و كتب الاديان والمذاهب الفاسدة .

٣ـ وكمااذا ابرز الانسان غيراللائق بمقام ومكانة فى لباس الحق ، كخلفاء الجوروعلماء المذاهب الباطلة والرهبانيين وعبادالفئة المنحرفة ونحوهم .

٤ـ وكمافى الازمنة التى تعرف للناس بالشرف و القداسة كيوم النيروز و المهرجان .

٥ـوكما فى‌الامكنة التى تعرف بالفضيلة والقدس كالبيع والكنائس‌والمقابر

المنسوبة الى اولاد الائمة والسادة اذا كانت كذبا لاحقيقة لها ، وعلى هذا فالاية تقارب في المروى قوله تعالى: (ياهل الكتاب لم‌تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون (٧٢ـالبقره) وقدذكرنا في‌ذيلها ماينا‌سب مانحن فيه

وقوله وهم يعلمون بيان ان الافتراء والكذب على الله مذموم موبخ عليه اذا صدر ذلك عن‌علم ، فان الجهل رافع للعقاب سواء‌كان في‌الاصول ام في الفروع ، نعم‌هو كذلك فيمااذا‌كان عن قصور لاعن تقصير .

قال‌تعالى: **ماكان لبشران يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بماكنتم تعلمون الكتاب وبماكنتم تدرسون ٧٩ ولايأمركم ان تتخذوا الملائكة و النبيين اربابا أيامركم بالكفربعداذ انتم مسلمون(٨٠)**

التفسير

البشر كالانسان جنس يطلق على الواحد والكثير ، والربانى المنسوب الى‌ـ الرب واضيف اليه‌الالف والنون لتأكيد النسبة فالمراد من‌له شدة‌ارتباط بالله‌تعالى والمراد بالحكم هناالدين والشريعة والنبوة وصول الوحى الى الانسان في‌المنام .

وتوضيح ذلك ان هنا عنوانين أولهما النبوة والرسالة وثانيهما الامامة ، فان مجرد تعلق الوحى‌الى الانسان وأمره بالتبليغ محقق لعنوان النبوة والرسالة ، اذهو منبأ عن الله ومرسل من‌قبله الى‌الناس ، والفارق بينهما هوفي كيفية الايحاء ، فالنبى يطلق على من أوحى اليه في المنام وحصل له اليقين والعلم بكونه من عندالله بعد الاستيقاظ ، والرسول هو الذى ينزل عليه الملك بالوحى‌فيراه ويكلمه ، ومن‌شئون هذه الدرجة لزوم ابلاغ الاحكام الى من أرسل اليهم : فقوام العنوانين بالوحى واختلافهما في كيفيته ، والوحى هو الاشارة السريعة الخفية ، وتعلقه من الله تعالى

الى أحد لايلازم نبوة الموحى اليه ، اذ منه مايكون بوساطة أعداد القوى التكوينية كما في قوله تعالى :

وأوحينا الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر اه .

وهذا موجود في جميع الحيوانات كما قال تعالى : (الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وقوله تعالى: (والذى قدر فهدى) ، ومنه مايكون الهاما منه تعالى أو من الملك في القلب من غير حصول العلم بانه من عند الله تعالى ، كما في قوله (واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه) ويكثر نظيره في سائر الناس خاصة في المؤمنين منهم ، فالفارق بين وحى النبوة وغيرها حصول العلم بان الالقاء من الله في الاول دون الثاني .

وأما الامامة فهي مرتبة زعامة الامة والولاية على انفسهم وأموالهم ، ولاملازمة بينها وبين النبوة والرسالة ، فان قوامهما كما عرفت باخذ الاحكام من الله تعالى ثم ابلاغه الى الناس ، ولايستلزم ذلك الولاية المذكورة ، فقد قال تعالى : (وماعلى الرسول الا البلاغ المبين) ويظهر من تواريخ الانبياء وما ورد فيهم ان عدة كثيرة منهم لم يقوموا الا بامر التبليغ كهود وصالح وشعيب ولوط ، وهم أنبياء ورسل .

نعم من تصدى منهم لزعامة الامة وشئون الامامة فهو امام أيضا ، كما قال تعالى: (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين . (١٢٤ - البقرة)

وهذه الرتبة قد أعطاها الله ابراهيم بعد نبوته بل بعد كبر سنه وفي اخريات أيام عمره، اذ الظاهر من الاية ان الامامة عرضت عليه حال وجود ذريته وانما حصلت الذرية له بعد كبره ، حيث يقول : (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق) وسائر الايات التى يستفاد ذلك منه ، وعلى ما ذكرنا فبين عنوان النبى والرسول عموم من وجه ، ويشتركان في كونهما مامورين بالابلاغ ، وما يذكر من الفرق بينهما من ان النبى من أوحى اليه الشرع وان لم يؤمر بتبليغه فان أمر بالتبليغ فهو رسول أيضا ، غير سديد بالنظر الى مايستفاد من قوله تعالى : (وما أرسلنا من

قبلك من رسول ولانبي الاذا تمنى القى الشيطان في أمنيته . (۵۲ ـ الحج)

فانه أطلق فيها عنوان الارسال على النبي وانه اذا أراد ابلاغ شرعه الى الناس زاحمه الشيطان ثم نصره الرحمان ، وهذا لايكون في النبي بالمعنى المذكور.

وعلى هذا فبين عنوان النبي والرسول وبين الامام عموم من وجه ، فان بعض الانبياء والرسل ليس بامام كما عرفت ، وبعض الائمة ليس برسول ولانبي كأئمتنا عليهم السلام ، وقد يجتمع العنوانان كما في عدة من الانبياء كأبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص) ، والظاهر ان الامامة منصب أعلى درجة من النبوة والرسالة ، فكل امام رسولا كان أم لا أفضل ممن ليس بامام وان كان رسولا نبيا ، ولم يثبت افضلية الامام المتصف بالرسالة من امام غير متصف بها مطلقا ، ثم انه يشترط في كلا العنوانين امور :

أولها العصمة من ارتكاب المعاصي فلا يرتكب المنتخب بهما معصية أبدا صغيرة أو كبيرة قبل الانتخاب والاصطفاء وبعده .

ثانيها العلم بالاحكام فلابد من علمه بجميع مايحتاج اليه المرسل اليهم من الاصول والفروع وما يلازمها من العلم بالموضوعات وغيرها .

وأما اشتراط كون المعصوم أعلم بكل الفنون والعلوم من جميع أهل عصره فلم يثبت ذلك في الانبياء والرسل، نعم دلت عليه الادلة في ائمتنا(ع)، ويمكن استظهار كونه من آثار الامامة قارنت النبوة أم لا .

ثالثها الكمالات النفسية والفضائل الخلقية ، فان الظاهر لزوم اتصاف المعصوم بذلك بان يكون بالغا في مراحل الفضيلة أقصاها ومن درجات الكمال اسماها بحيث لم يمكن عادة سقوطه عنها، ولذلك لم يسمع عزل نبي عن نبوته وسقوط امام عن امامته، وهذا هو اللائق بحال سفراء الله ومن اختاره رسولا نبيا واماما هاديا.

ولنرجع الى معنى الاية فنقول ان الآية الشريفة وان كانت في مقام ابراء ساحة المسيح المقدسة عما نسبوا اليه من مقام الربوبية بالانحاء المختلفة من كونه الها

اوابن‌اله أوأحد الالهة الثلاثة ، ففى هذا الكلام عود الى بدء من حكاية حال عيسى والتعرض لشرح ولادته وحياته ومانسب اليه من الامور غيراللائقة بشأنه .

الاانهالاتخلومن الاشارة الى‌أمرهام وحقيقة راهنة خليقة بالتوجه‌اليهاوالفات النظر نحوها ، وهو مقايسة حال‌المنسوبين اليه تعالى والمنصوبين من قبله مع‌حال مخلوقاته وعباده‌المتصدين‌للرئاسات ونصب الأمراء والولاة من الملوك والسلاطين حيث يختارون لامورهم والتصدى لمناصبهم يوما ويعزلون المنتخب فى يوم آخرلانكشاف عدم الجدارة فيه أو لارتكابه ما ليس له فعله ، فالمقصود انه لايسع ولايمكن امكانا وقوعيا صدوردعوى الربوبية لنفسه ممن‌آتاه‌الله الكتاب والحكم والنبوة .

وقوله ولايامركم عطف على قوله ، ثم‌يقول ، زيدكلمة النفى فيه للتأكيد ، والمعنى ماكان لبشرهذا شأنه ان‌يأمركم باتخاذ الملائكة والانبياء اربابا.

والحاصل انه لايصدر منه دعوى الربوبية لنفسه ولاالدعوة الى ربوبية غيره كائناًمن كان ولو كان افضل من‌خلقه الله واكرم من‌برئه كالملائكة ، وجعل المتعلق فى‌مسئلة دعوى الربوبية الناس بنحو الغيبة ، وفى مورد الدعوة الى ربوبية الغير المخاطبين فى‌عصرالقرآن لاجل ان‌ينطبق الكلام على ماكان ماصدر منهم ، حيث انهم ادعوا ان عيسى دعا الناس الى عبادة نفسه ، وكانوا يطلبون من النبى الاعظم تصديق ذاك الامر ودعوة امته اليه .

و قوله تعالى : (ولكن كونوا ربانيين بماكنتم تعلمون الكتاب و بماكنتم تدرسون) اى بل يقول البشر الذى‌آتيناه الكتاب والحكم والنبوة كونوا ربانيين

وقدذكرنا ان الربانى من‌له شدة ربط بالله تعالى‌وكمال قرب‌منه ، وحصول ذلك يستلزم كمال الانسان فى‌ابعاده الثلاثة الروحية : العقائد والاخلاق ، والاعمال وذلك غيرحاصل الابالسعى البليغ والجهد الجهيد فى‌اصلاح تلك الجهات فيزيل به‌كل جهل وريب فى‌عقائده ليصل الى مرحلة اليقين فى‌جميع مدركاته الدينية ،

اصولية كانت امفروعية و يطهر من نفسه من كل رذيلة خلقية ويجعل مكانها فضيلة نفسية حتىلايبقى لهعاتبة يؤنب بها ولااكرومة ناقصة الااتمها ، ويصلح كل عمل ويجعل اعماله واوراده وردا واحدا ، وقد وردفى الحديث انهتعالى قال : (لم يزل يتقرب الى عبدى بالنوافلفكنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به اه)

والحاصل ان البشر الذى اتاه الله النبوة من شأنه انيأمر بالتعالى والتكامل من تلك الجهات حتىيحصل نتيجة ذلك . وهيالقرب الشديد الىالله تعالى

ثم انامره الناس وحثهم على الانتساب والارتباط الىاللهقديكون لفظياحاصلا بالقول ومجرد الدعوة ، وقد يكون فعليا عمليا بان يرى الناس منهصالح العقائد والاخلاق، فيستضيئوا بنوره ويقتبسوا من جذواته ويروامنه صالح الاعمال فيتبعوه ويهتدوا بهداه فيكون ذلك بعثا حقيقيا وامرأ تكوينيا وقد يتحقق كلا الامرين ، وهذا هو الواقع منالانبياء والائمة عليهمالسلام.

ثم ان ظاهر الاية ان النبى الامر بذاك يصرح لهم بعلة مايأمر ، وانه لاجل كونهم منتسبين بكتاب الله ومرتبطين به بالتعليم والتعلم ، فالمامور يشمل جميع المؤمنين بالكتاب من علماء الامة وعوامهم ، فان العلماء معلمون للكتاب وعامة الناس متعلمون متدرسون ، فالاية توضح ان كل نبى كان يأمر فى عصره جميع امته بالارتباط بالله المدرسين للكتاب والمتدرسين له ، وهذا حكم كلى ثابت للانبياء واوصيائهم والعلماء العاملين الذين اتبعوهم باحسان ، فعليهم ان يكونوا كذلك ، ويعلم من لحن الكلام انذلك الكتاب كتاب لووقع موردا للتعليم والتدريس حصل الرقاء فى الفرد او المجتمع العامل ، فيكونون ربانيين و ح فلو لم يحصل ذاك الكمال والربانية فيمجمعنا الاسلامية مع انهم معتقدون بالكتاب وهو يدرس فيما بينهم ويتدرس ، فلابد أن نستكشفعدم وقوع التعليم والتعلم كما هو المطلوب لله والمرضى لجنابه ، ومن المعلوم ان الامر كذلك كيف وقد رفضوا اغلب احكام الكتاب رفضا وتركوه وراءظهورهم تركا ، فمن تارك لكله ، و من متعرض عن بعضه ، ومن مأول لمحكمه ، ومن متمسك لمتشابه ، فآل امرهم الى ماترى .

قال تعالى : **واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لمامعكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ٨١ فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون ٨٢ أفغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السموات والارض طوعاً وكرها و اليه يرجعون ٨٣ قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ٨٤ ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين .** (٨١ - ٨٥ آل‌عمران)

التفسير

يستفاد من الايات الشريفة الفات العقول الى وحدة الدين الالهى ووحدة الرسل الذين جائوا به ، كل ذلك فى ضوء توحيد الله المنزل للدين والمرسل للانبياء ، وينتج الاذعان الصحيح بهما وحدة رابعة، وهى وحدة مجتمع المؤمنين، فان المؤمنين والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ، والمؤمنون اخوة وهم يد على من سواهم ، ففى الايات تذكير لوحدات لابأس بالقول بكونها الغرض الاصيل من سوقها ، وهى ان الله واحد ، والدين واحد ، والرسل كلهم كنفس واحدة ، وهذه اصول مانستنبطه من كلامه تعالى فى ضمن الامور التالية المستفادة منه :

الاول بيان اخذ الميثاق من الناس بايدى الانبياء ووساطتهم على قبول الكتاب والحكمة اعنى الدين النازل الى الناس من عنده تعالى .

الثانى اخذ الميثاق من الناس على نصرهم كل رسول جائهم، وصدق ماعندهم من الدين والكتاب ، ويلازم ذلك اخذ الميثاق من الانبياء انفسهم على الامرين ، و ح فقد اخذ ميثاق السابقين على الايمان باللاحقين .

الثالث: اشهاد الانبياء على ميثاق الامم مع كونه تعالى شاهدا ايضا .

الرابع: توبيخ المعرضين عن قبول الدين الذى كشف عنه الكتاب وشملته الحكمة.

الخامس: امر النبى الاعظم بقبول دين السابقين من الانبياء ، ويلازمه استفادة اخذ الميثاق من كل لاحق على الايمان بما انزل على كل سابق وتصديقهم .

السادس: امير المؤمنين بمحمد (ص) بالايمان بما انزل على الانبياء وتصديقهم.

السابع: امر النبى والمؤمنين بالاذعان بوحدة الرسل من حيث الرب المرسل والدين المرسل به .

الثامن: بيان حقيقة الدين وانها التسليم وانه لايقبل من احد غيره .

فقوله تعالى: (واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتنصرنه، يدل على الامرين الاولين ، وتقريب الدلالة انه ليس المراد باخذ الميثاق اخذه فى عالم الذر كما قد يقال، فانه لاشاهد عليه فى الاية الشريفة، فالمراد اخذه فى الدنيا، والظاهر ان اضافة الميثاق الى النبيين من الاضافة الى الفاعل اى الميثاق الذى اخذه الانبياء من الامم بامر الله، واللام فى قوله لما ، توطئة للقسم، وكلمة ماموصولة، وهى مبتدء، خبرها قولـه لتؤمنن ، والضمير المجرور فى قوله ، لتؤمنن بـه ، راجع اليها ، والضمير المنصوب فى لتنصرنه ، راجع الى الرسول، فالمعنى ان الله اخذ الميثاق من الامم بيد الانبياء على امرين .

اولهما: ان تؤمن بالدين النازل اليهم الذى يحكى عنه الكتاب وتشمله الحكمة.

وثانيهما: ان تنصر الرسول الذى جاء بعد ذلك فصدق دينهم وماجاء به النبى السابق. ثم ان لازم اخذ هذا الميثاق من الامم اخذه من الانبياء ايضا بلاريب واشكال، فان النبى احق بالاذعان بماجاء به من ربه، ونصرة الرسول الذى يأتى بعده من عند ربه

ان قلت: كيف ينصر النبى السابق الرسول اللاحق مع ان الفرض عدم ادراكه زمانا وحصول برهة بين عصريهما، وهذا غير نصرة الامة لبقائهم متناسلين حتى يدركوا النبى اللاحق قلت: تكون نصرته باخبار عن مجيئه وحالاته وزمانه وخصوصيات شريعته، فيكون ذلك كاعداد المكان لنزوله وتهية القلوب لقبوله، واية نصرة اتم من هذه واكمل.

ان قلت : ماهو المراد بالرسول فى الاية وهل هو كل رسول لاحق بالنسبة الى سابقه ، اوخصوص الرسول الاعظم محمد بن عبدالله (ص) ؟

قلت: الظاهر ان المراد كل رسول لاحق ، ولوورد مايدل على كون المراد به محمد بن عبدالله (ص) ، فهو بيان لافضل المصاديق اذ انه اخذ الميثاق من كل نبى لمن بعده مع محمد (ص) فالنبى الاعظم مورد لميثاق الجميع .

ثم ان الذى ذكرنا من معنى الاية هو الذى يساعده مابعدها كما ستعرف ، ويعينه ايضا مانقل عن مولانا الصادق (ع) من قوله (اى واذ اخذ الله ميثاق امم النبيين) وقد اضطرالى تحسين كلام الامام (ع) فى معنى الاية بعض مفسرى اهل السنة مع اعراضه فى الاغلب عن احاديث اهل البيت (ع) .

قوله : (قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصرى) ، الظاهر ان هذه المخاطبة الى اخر الاية واقعة بين الله وبين الانبياء ، وهى تبين اخذ الميثاق من الانبياء ايضا على ماخذوه من الامم ، والاستفهام بمعنى الامر ، والمعنى اقروا انتم انفسكم ايضا بالميثاق الذى اخذتم من الناس واقبلوا على ذلك عهدى الاكيد .

ثم قال تعالى لهم فاشهدوا على انفسكم أوعلى العهد المأخوذ من الناس وأنا من الشاهدين له ، هذا ولو فرضنا ان المخاطبة بين الله وبين الامم أشكل الامر فى معنى الاية بعدم قبول جميع الامم عهدالله ، وعدم اقرارهم على ذلك الاان يقال بكون الاية بيانا لحال المؤمنين المقرين بالكتب والانبياء ، وهذه الاية تشير الى الامر الثالث والرابع من الامور السابقة .

وقوله تعالى فمن تولى بعد ذلك اه اى فمن اعرض من الامم بعد تحقق امر الميثاق فهم خارجون عن طاعة الله ، وهو كفر لكون الحكم من الاصول الاعتقادية، والاية من الشواهد على ان الميثاق المذكور لم يكن بين الله وانبيائه فقط ، بل بينه تعالى وبين خلقه كما حملنا الاية السابقة عليه ، اذ يبعد وقوع هذا التعبير بالنسبة اليهم خاصة مع كون الاية التالية ايضا من تتمة هذا الكلام .

قوله تعالى : (افغيردين الله يبغون وله اسلم اه) يظهر من الاية الشريفة ان المتولى عما آتاه الله من الكتاب والحكمة للانبياء المقصود بها الدين الالهى ، باغ

لغير دين الله وان دينه تعالى هو الاسلام ، فمعنى الاية انه كيف لم يطلب هؤلاء القوم دين الله الذى هو التسليم له ، ويبغون غيرذلك ، وقد اسلم له تعالى جميع ذوى العقول طوعا او كرها .

ان قلت ماهو المراد بالاسلام فى الاية الشريفة وهل هو دين الاسلام اومعناه اللغوى ؟

قلت الاسلام هو التسليم وهو اما جبرى فى مقابل التكوين ، او اختيارى فى مقابل التشريع .

والاول عبارة عن خضوع الاشياء وانقيادها على وفق جريان عالم الكون ، وسيرها فى المجرى الذى تقتضيه العلل والاسباب التكوينية الجارية تحت ارادة الله وامره ، كحركة السيارات واختلاف الليل والنهار وجريان الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض ونمو النباتات وغيرذلك ، ولافرق فى القسم من التسليم بين الجماد والنبات والحيوان .

والثانى عبارة عن انقياد الموجود المدرك الشاعر فى مقابل أوامر الله عن ارادة منه واختيار، وهذا على قسمين طوعى وكرهى .

والاول: هو الانقياد عن شوق الى الطاعة ورغبة .

والثانى: الانقياد عن خوف العذاب والعقوبة هذا . والمراد بالاسلام فيمانحن فيه هو التسليم الاختيارى فى مقابل التكليف ، بقرينة ان الكلام مسوق لتوبيخ الذين تولوا عن الكتاب والحكمة وبغوا دينا آخر، فالكلام فى مخالفة التكليف والتسليم فى مقابله دون التسليم فى مقابل التكوين، مع ان جعل موضوع التسليم ذوى العقول كما هو مقتضى كلمة من الموصولة يشهد بذلك ،كما ان قوله واليه يرجعون يفيد كون الاخبار بالرجوع لبيان محل الجزاء وان الباغى عن الدين والمسلم له طوعا اوكرها مجزيون باعمالهم ان خيرا فخيروان شرأفشر، فالكلام فى الاسلام التشريعى والاية اشارة الى الامر الخامس .

قوله قل آمنا بالله وماانزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى اه .

الاية الشريفة تعطى أمر النبى الاعظم بالايمان بالدين الواحد المنزل على الانبياء الملازم لتصديق نفس الانبياء ، ولكون الحكم ثابتا لكل لاحق من الانبياء بالنسبة الى الماضين منهم ، وتفيد أيضاً الامر بالاذعان بوحدة الرسل ، فهى بيان للامر السادس الى التاسع مما ذكرنا ، والظاهر ان المراد بالاسباط اولاد يعقوب ، فتشمل انبياء بنى اسرائيل كيوسف و داود وسليمان ويونس وأيوب وزكريا ويحيى و الياس وغيرهم .

قوله تعالى: (ومن يبتغ غير الاسلام دينا اه) الاسلام لغة هو التسليم لامر باطنا وقلبا أو ظاهرا ، وقد يطلق على مجموع الاحكام الاصلية والفرعية المنزلة من قبل الله تعالى ، والدين يستعمل بمعنى الجزاء كما فى قوله ، مالك يوم الدين ، وبمعنى الطاعة ، كقوله فاعبدوا الله مخلصين له الدين ، وبمعنى مجموع الاحكام الالهية بالمعنى المذكور ، كقوله يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلاتموتن الا وانتم مسلمون.

وقوله هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله اه.

ثم انه يمكن ان يكون المراد بالاسلام والدين هنا معناهما المصدرى بمعنى الاسلام والطاعة، فالمعنى من يطلب طاعة غير طاعة الله فلن يقبل منه ، لكن الظاهر ان المراد بالكلمتين هو المجموعة من القوانين الالهية ، والمعنى من يطلب دينا ودستورات اجتماعية غير ما انشأ به الله وانزله من القوانين فلن يقبل منه .

وقوله من الخاسرين استعمال كلمة الخسران يعطى وقوع معاملة يطرء عليها الربح تارة والخسران اخرى ، والامر فيما نحن فيه كذلك ، فان العمل بالدين عبارة عن عمل الجوانح والجوارح ، وكل العمل سلعة ومتاع يبيعها المؤمن من ربه والثمن هو الجنة ، كما قال تعالى (هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيله اه) .

وقوله تعالى: (انالله اشترىمنالمؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة اه) فالمؤمنون ربحت تجارتهم والكافرون ابطلوابكفرهم المبيع كله ، فحبطتاعمالهم وخسروا خسراناً مبينا فلايقيم الله لهم يوم القيامة وزنا .

قوله تعالى :**كيف يهدىالله قوماكفروا بعدايمانهم وشهدوا انالرسول حق وجائهم البينات ، والله لايهدى القوم الظالمين . اولئك جزائهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيهـا لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون . الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفوررحيم (٨٦-٨٩)**

التفسير

الاستفهام انكارى والغرضالنفى واياسالنبى الاعظم من هدايتهم ، والمراد بالايمان هناالاذعان قلباً، وبالشهادة الاقرار لسانا ، وفعلشهدوا معطوف علىالايمان بتأويل الفعل مصدراً او المصدر فعلا ، والمعنى بعد ايمانهم وشهادتهم او بعد ان آمنوا وشهدوا ، وذكر مجيىء البينات لبيان كون ايمانهم وشهادتهم ناشئين عن حجة وبرهان لاعن غفلة وجهالة ، والمراد بالبينات الحجج العقلية القـائمة على التوحيدوسائرالاصولالعقلية ، كالايات الانفسية والافاقيةالحاكية عنالتوحيدوالمعاد والحجج النقلية كالكتب النازلة علىالانبياء والمعجزات الصادرة منهم.

ثمانه يمكن انيتوهم انهكيف نفىالله الهداية عن القوم معالعلم بثبوتهافى حقهم فان الكتاب الهادى والمعجزات المثبتة لمؤداها لمينقطعا عنهم ، لكن نقول ان الهداية على ماعرفت سابقا على اقسام : عـامة تكوينية وعامة تشريعية ، وخاصة تكوينية وخاصة تشريعية .

والاولى هىهدايةالله تعالى كل حيوانهىاوكل موجود هىالىماهوصلاحه

فى‌بقائه وادامة وجوده ، كماقال موسى (ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه‌ثم هدى) وقوله تعالى : (الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى) .

والثانية: هى‌انزال الكتب هادية الى الحق وارسال الرسل داعين الى الصدق والهدايتان عامتان شاملتان لافرق فيهما بين‌المؤمن والكافروالصغير والكبيروهما لا تنقطعان عن الحى حتى‌يهلك وينعدم .

والثالثة:هى توفيق الله الشامل لحال عباده وتهيئة اسباب الخير وصالحات العقائد والاعمال .

والرابعة الالهامات الغيبية والالقائات الملكية فى قلوب المؤمنين لارائة طريق السعادة والخيرات ، وهاتان الهدايتان تنقطعان عن المرتد بعد ارتداده ، فلا يوفقهم الله للخيرات ولايلهمهم طريق الوصول اليها .

قوله والله لايهدى اه‌الجملة مسوقة لبيان كون الكافر ظالما غيرجدير للهداية والمراد انه‌ظالم لربه ولرسوله وظالم لدينه وللحجج الواقعة فى‌طريق‌اثبات‌الدين.

قوله تعالى اولئك جزائهم ان عليهم اه اللعنة قديرادبها السخط و الغضب ، فتكون من الصفات وقديراد بهاالطرد والابعاد ، فتكون من‌الافعال ، وقدتستعمل فى الانشاء ، فمعناه انشاء السخط او الطرد نظير الامر والنهى والتمنى والترجى الانشائيات،وعلى هذا فقدينشأ القائل‌لعن احد من‌ناحية نفسه فيقول‌مثلا لعنة‌الله على زيد ، وقدينشأ اللعن من‌نفسه وغيره ، فيقول لعنة‌الله والملائكة على‌زيد ، وهذا كما فى‌انشاء الصلاة والسلام على احد.

قال تعالى : (اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) و(سلام على نوح‌فى العالمين)(سلام على ابراهيم) (سلام على المرسلين) (سلام‌قولامن رب‌رحيم) وقد يقال‌ان اللعن من المخلوق بمعنى الدعاء وطلب اللعنة من‌الله‌فى‌حق من‌يلعنه ، وح فقوله ان عليهم لعنة‌الله ان‌كان جملة انشائية ، فمعناها انشاء‌الله السخط والطرد لهم من‌قبل نفسه وملائكته وعباده ، وان‌كانت اخبارية فمعناها الاخبار بتحقق‌تلك‌الصفة

اوالفعل من‌الله‌تعالى وملائكته والناس بالنسبة اليهم ،والظاهر ان المراد بالناس هنا المؤمنون ، وان كان قديقال بالعموم ، فان الكافر ايضايلعن الظالم والمنحرف عن الحق وان‌لم يرانطباقه على نفسه .

قوله خالدين فيهااى في‌اللعنة ، فان سخط‌الله لهم‌او ابعاده مستمر دائم فى الدنيا والآخرة اذاماتوا كذلك ، فلاتخفيف ولاامهال ولاانظار ، وقدوقع التصريح بعدم تخفيف العذاب عن الكفار في‌موارد من الكتاب الكريم قال تعالى: ان‌الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة‌الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون) (۱۶۲-البقرة)

والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور. (۳۶-فاطر)

وقال الذين فى‌النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنايوماً من العذاب . (۴۹ - غافر)

قوله تعالى الاالذين تابوا اه التوبة هى الرجوع وتوبة العبد من الذنب كفه عنه لقبحه ، ويتحقق جوهرها في‌العبد بامرين الندم على‌ما مضى، والعزم على عدم العودفيما يأتى، قال الراغب (وهوابلغ وجوه الاعتذار فان الاعتذار على‌ثلاثه‌اوجه اماان يقول المعتذر لم‌افعل اويقول فعلت لاجل كذا ، اوفعلت واسأت‌وقد اقلعت، وهذا الاخير هوالتوبة اه .

ثم انك عرفت ان توبة العبد تقع دائماً بين توبتى الرب ، فهوتعالى يرجع الى‌عبده بالاحسان حتى ينتبه العبد بقبح ما فعل ولزوم الرجوع والانقلاع‌عنه ،فاذا رجع وندم رجع‌الله اليه ثانيا بقبوله وستره ما مضى وتكفيره له وبذل رحمته فيما يأتى .

قال تعالى : ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله‌هوالتواب الرحيم (۱۱۸ التوبة)

وقال : فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه (۳۹ المائدة)

واثر توبة العبد ازالة استحقاق العقاب واللوم وحصول القرب الى الله جبرا للبعد الحاصل بالذنب ، فالتوبة مكفرة ومطهرة ، وهى اتم المكفرات وابلغهافانها تكفر الصغيرة والكبيرة حتى الكفروالشرك من حين حصول الذنب الى مايقرب من الموت .

وليعلم ان المكفرات كثيرة نشيرهنا الى بعضها بنحو الاجمال.

فمنها الحسنات فانها تكفر الذنب وتمحوه ، والظاهران ذلك من لوازم طبيعة الحسنة وآثارها ، فكل حسنة تؤثرفى تكفيرشىء من السيئات وان لم يعلم مقداره، وهذا بخلاف الحبط الموجود فى السيئات فانه لاعموم له بل هو من آثار بعض الخطايا المخصوصة كالحسد والغيبة والبهت ونحوذلك ، فالكلية ثابتة فى ناحية التكفيرو لاكلية فى ناحية الحبط قال تعالى:

واقم الصلاة طرفى النهاروزلفامن الليل ان الحسنات يذهبن السيئات. (١١٤هود)

ومنها المصائب فان المستفاد من قوله تعالى: وما اصابكم من مصيبةفبما كسبت ايديكم (٣٠- الشورى) ان المصائب الواردة للانسان انما هى عقوبة للذنوب الصادرة عنه فتكون كفارة لها وسببا لغفرانها.

ان قلت كون المصائب عقوبة غيرملازم لكونها مكفرة مسقطة للاستحقاق ، فلعلها عقوبة عجلت للمذنب قبل العقوبة الاخروية قلت كلا انه قدورد فى الاخبار المعتبرة ان الله تعالى اجل من ان يعاقب عبده بذنب واحد مرتين ، فالمصائب احدى المكفرات الا ان حدود التكفير ومقداره غيرمعلوم لنا هذا ، ولكن الانصاف امكان القول بكون ذلك من قبيل تشديد العقوبة وهوغيرمنفى.

ومنها الحدود والتعزيرات وفيها ورد ان الله لايعذب مرتين بذنب واحد.

ومنها ترك الكبائرمن الذنوب ، فانه كفارة للصغائر الصادرة من المؤمن كما ان ترك الكبائروالمواظبة على الاجتناب عنها تكفرمايقع احياناوندرة ولو كان كبيرة قال تعالى

ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفرعنكم سيئاتكم (۳۱ النساء) اى سيئاتكم الصغائر . و قال تعالى: الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الااللمم انربك واسع المغفرة (۳۲ النجم) وفى الحديث اناللمم ما يصدر عن العبد ندرة فكانه ينزل عليهفى بعض الاحوال.

ومنها دعاء المؤمن فى حق غيره من المؤمنين بالغفران فانها مكفرة لذنب المدعوله وفىالحديث انالدعاء سبب للمغفرة.

ومنها دخول الايامالمتبركة كالاعياد الدينية وشهررمضان وليلة القدروغيرها فانه قد وردت احاديث كثيرة ان الله يعتق فيها ولبركتها اقوامها كثيرة من النار و يفكاعناقا من العذاب وهذا هوالتكفير.

ومنها كبرسن المؤمن ودخوله فىسنىالهرم فانه ايضامكفرلذنوبهفىالجملة كما فىالحديث وان لم نعلم حدود ما يكفرهالله به

ومنها سكرات الموتوغمراته فانهاتكفرشيئا من المعاصى لمنعلم مقداره .

و منها الشفاعة فانه لا اشكال فى تحققها فىالآخرة ، و هى ثابته للانبياء و الائمة والملائكة المقربين والمؤمنين باذن الله ، وهم يشفعون لمن ارتضىالله دينه وقد ادخرنبينا الاعظم (ص) شفاعته لاهل الكبائرمن امته.

ومنهارحمةالله الواسعة وفضله العميم فيغفرلمن يشاء ويعذب منيشاء ولايحد غفرانهبحدولايقيدبمحل التوبةوغيرهامنالمكفرات، قالتعالى: اناللهلايغفرانيشرك به ويغفرما دون ذلك لمن يشاء (۴۸ ـ النساء) والاية غير مقيدة بالتوبة بقرينة عدم غفران الشرك ، فالمعنى ويغفرلمن يشاء ولولميكنقد تاب منه اوحصلمنالمذنب سائرالمكفرات ، ثمانه ينبغىالتنبيه فىباب التوبة علىامور:

الاول ان التوبة موضوعها مخالفة الله فانها فىالاصطلاح عبارة عن الرجوع من الذنب الىالطاعة ، واما اداء حقوق الناس فلادخلله فىحقيقتها، نعمقديكون ذلك من لوازم التوبة كما يكون غيره ايضا منها ، و بالجملة حقيقة التوبة يتحقق

بحصول الندم ،فتارة لايحتاج الى غيره حتى العزم على العود ايضا كما فى الندم عن الذنب مع عدم القدرة عليه فى المستقبل ، واخرى يحتاج الى العزم ايضا كما فى الذنب الذى يقدر على العود اليه ، وثالثة يحتاج الى اضافة امر ثالث كالقضاء فى الصلوات المتروكة عمدا و كاتلاف مال الغير عمدا المستلزم لاداء البدل ، و رابعة يحتاج الى امر رابع كالكفارة فى الصوم الذى افطره عمدا ، و كالقتل عمدا فانه يحتاج الى تسليم النفس للقصاص والكفارة الجامعة للخصال الثلاث ، واما فعل مايشغل الذمة بحق الناس فقط من غير تحقق الذنب كاتلاف مال الغير خطأ ، و القتل كذلك فلامحل للتوبة فيه ، نعم اداء حق الغير واجب ، فلو تركه كان عصيانا محوجا الى التوبة ، ويمكن ان يقال ان التوبة امر انتزاعى ينتزع من تحقق ما ذكر فى تلك الموارد ، ففى مورد ينتزع من امر واحد وهو الندم ، وفى آخر من امرين ، وفى ثالث من امور ثلاثة وهكذا، ولايبعد القول بوجود كلا الاطلاقين له.

الثانى يظهر من بعض الآيات ان التوبة مقبولة اذا كان الذنب صادرا عن جهل، ففى غير الصورة لاتقبل التوبة قال تعالى:

انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم (١٧ النساء)

كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم . (٥٤-الانعام)

ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم. (١١٩-النحل)

فان الجهالة اما بمعناه الحقيقى ، وهو عدم العلم اللازم تقييده ح بالجهل التقصيرى اذلاذنب لمن عمل بالسوء جاهلا به قاصرا فى جهله ، فمفاد الآيات ان قبول التوبة انما هو فى الذنب الصادر عن جهل دون الصادر عن علم وعمد، وان كان معنى الجهالة السفاهة اى العمل الصادر عن غلبة الهوى والشهوات بحيث نزل

علمه عند العقلاء منزلة الجهل، فصار صاحبه كالجاهل لزم ايضا تقييد مطلقات الايات بهذه الصورة .

والجواب هو مايقال فى المقام انه يمكن دعوى كون قيد الجهالة توضيحيا بمعنى ان السوء لايصدر من الانسان الاعن جهالة، لابمعنى الجهل بالحكم اوالموضوع الرافع للتكليف، بل بمعنى الغفلة عن عظمة الخالق وعن مفاسد المخالفة والمضار المترتبة عليها فى الدنيا والاخرة، اذلااشكال فى ان العارف بجميع جهات الحكم لايقدم على المخالفة ، فالعامل بالسوء لايعمله الابجهالة .

الثالث: يظهر من بعض الايات ان التوبة تقبل اذاصدر بعد الذنب بلافصل او بغير فصل طويل ، واذااخر العبد التوبة الى اواخر العمر فلاتقبل فيها قال تعالى :

انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما (۱۷ـالنساء) .

و ليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان (۱۸ النساء) .

والجواب ان المراد بالقريب هوماقبل حضور الموت ، ويشهد بذلك مقابلة القرب بقوله : حتى اذاحضر احدهم الموت مع ان اطلاق الايات والاخبار الواردة فى باب التوبة ، المحددة زمانها بحضور الموت كافية فى كشف المراد من الايتين .

الرابع: قيل ان التوبة انما تؤثر فى تكفير الذنوب غير الشرك ، واماالشرك فلاتنفع فى تكفيره التوبة . قال تعالى :

ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء و من يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما (۴۸ النساء و۱۱۶ النساء) .

والجواب ان مقايسة الايتين مع اطلاقات التوبة الشاملة لكل ذنب حتى الكفر والشرك تحوجنا الى احد امرين :

احدهما تقديم ظهور الايتين وتقييد اطلاقات قبول التوبة بغير الشرك .

والثانى تقديم تلك الظواهر وتقيد الايتين بغير حال التوبة والمعنى ان فى صورة عدم تحقق التوبة من العبد لايغفرالله منه الشرك ، ويغفر غير ذلك لمن يشاء سواء فى ذلك حال حياته وبعد مماته ، وهذا ارجح بل متعين بالنظر الى روايات كثيرة واردة فى قبول التوبة الى حين حضور الموت و معاينة العبد بعض حالات عالم البرزخ .

الخامس: قديستشكل فى تشريع التوبة بانها سبب لتجرى الناس على المعاصى اذ بعد ماعلم من سعة دائرتها وشمولها للمعاصى الصغيرة والكبيرة فى جميع ايام العمر ، تستلزم جرئة الانسان على العصيان ووسيلة لتسلط الشيطان .

والجواب ان تشريع كل حكم تابع للملاك الغالب ، فرب واجب فيه مفسدة مغلوبة لمصلحته . فاللازم ، ح تشريع الايجاب كما ان الحرام ايضا قد يكون فيه مصلحة مغلوبة لمفسدته، فالحكم هو الحرمة لامحالة ، ففى المقام لوفرضنا عدم تشريع التوبة للمعاصى وعدم عفوه تعالى عن اى جرم وعصيان حتى الصغائر من الذنوب، فمعنى ذلك اولا عدم قبول الاسلام من احد من الكفار و عدم الاذن لدخولهم فى الدين ، فيكون ذلك نقضا للغرض من تشريع الشريعة و ارسال الرسل و انزال الكتب ، فمن البين ان اللازم عقلا على مشرع الشريعة قبول توبة من تاب عن كفره وضلاله .

ولو فرضنا الكلام فى غير الكفر و الشرك بل فى توبة المؤمن عن معاصيه الفرعية صغارها و كبارها فعدم القبول فيها يكون سببا ليأس المجرم من رحمة الله وتجريه على ماوقع فيه من المعصية وغيره وعلى الاصرار والاستمرار بل قدينجر ذلك الى الخروج عن الدين مع ملاحظة ان اغلب افراد المكلفين يبتلى بالمعصية لامحالة .

فهذه المفسدة اعنى تجرى العاصى على دوام العصيان او على الخروج عن الدين اكثر واقوى من مفسدة التجرى الحاصلة من تشريع التوبة .

مع ان مسئلة العفو عن الذنب امر عقلائى و سنة جارية بينهم يعملون بها ولاينكرونها ،فكيف يكون منكرا من الرئوف الرحيم الذى كتب على نفسه الرحمة، مع ان عدم علم الانسان بالتمكن من التوبة ، واحتمال فوتها عنه بنسيانها اوالموت فجأة مانع عن التجرى فى الجملة :

قال تعالى **ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون (۹۰) ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملاء الارض ذهبا ولوافتدى به اولئك لهم عذاب اليم ومالهم من ناصرين** (۹۱ ـ آل عمران)

التفسير

هنا ابحاث الاول ان الكفر بعد الايمان هو الذى يسمى فى علم الفقه ارتدادا وله احكام كثيرة وآثار دنيوية واخروية لم تتعرض الاية الشريفة لبعضها ، و اجمال الكلام فيها ان المرتد ان كان احد ابويه او كلاهما مسلما عند انعقاد نطفته وحكم باسلامه لذلك ثم ارتد بعد كبره ، يسمى مرتدا فطريا ، وان كان ابواه كلاهما كافرا فحكم بكفره .

ثم اسلم بعد البلوغ ثم ارتد عن الاسلام يسمى مرتداً مليا ، وعلى التقديرين فهو اما رجلا اوامرأة .

أما المرتد الفطرى فقد رتب عليه احكام، استحقاقه القتل فيجب على الحاكم اولكل من اطلع على حاله قتله ، وبينونة زوجته منه ولزوم اعتدادها عدة الوفاة ، و خروج امواله عن ملكه وانتقالها الى ورثته المسلمين ؛ و نجاسة بدنه وعدم صحة العبادة منه ، وحرمة تزويجه المسلمة ، وجواز اخذ ما اكتسبه من المال بدون رضاه وغير ذلك ، ثم انه اذا تاب بعد ذلك لم تتغير الاحكام الثلاثة الاول ، ويتغير الباقى فيصير بالنسبة اليها مثل المسلم، فتوبة الفطرى غير مقبولة من جهة ومقبولة من اخرى.

واما المرتد الملى فينظر ثلاثة ايام ويستتاب فيها، فان تاب والا قتل ، وتعتد زوجته من حين ارتداده، فان تاب كان احق بها ولاتخرج امواله عن ملكه تاب ام لم يتب ، نعم لوقتل ورثها المسلم من وراثه .

واما المرتدة الفطرية والملية فلا قتل لهما بل تحبسان وتستتابان فان لم تتوبا خلدتا فى السجن ولاتخرج اموالهما عن ملكهما .

الثانى: انه يفهم من الاية ان الوجه فى عدم قبول التوبة هنا هو ازدياد الكفر ، فيتوجه سئوال انه ماهو معنى ازدياد الكفر وكيف يكون ذلك ؟ فنقول ان قلنا بان الكفر وهو الانكار مفهوم ذومصاديق فان منها الانكار قلبا ، ومنها الكفر لفظا ومنها الكفر عملا كقتل النبى والوصى ، والخروج على الامام والقاء المصحف فى النار او النجس وغير ذلك و نعوذ بالله منها ، فازدياده يكون فى الكمية ، كمن انكر قلبا ثم لفظا ثم عمل ما يكون كفرا فى الكمية وهو واضح . وان قلنا بانه امر قلبى فيمكن ان يكون ايضاً كجحد الاصول فى القلب متدرجا ، و ان يكون فى الكيفية فان الجحد القلبى ظلمة وقسوة ورين فى القلب كما ان الايمان نور وضياء فيه ، فازدياده يكون فى الشدة والضعف ، وما به الازدياد هو العمل المحرم من صغائر الذنوب وكبائرها ، فكما ان القلب يستضيىء بنور الايمان ويشتد ويتقوى بالعمل الصالح ، فكذا يظلم بالكفر ويتقوى بالسيئات حتى يصل الى الطبع والختم والرين .

الثالث: ان ظاهر الاية الشريفة عدم قبول توبة الكافر الذى ازداد كفره ، ولكن الذى دلت عليه اطلاقات الادلة من الايات والاخبار ، قبولها الى قرب الموت بل الى حضوره بمشاهدة الميت من آثار الاخرة مالم يشاهده الاحياء ، فيحصل التنافى بين الايات .

ولوقيل بأن فن الاستدلال الاصولى يقتضى تقييد الاطلاقات ، فكل توبة مقبولة الا التى وقعت بعد ازدياد الكفر ، فلا منافاة .

قلنا لااشكال فى دلالة الاخبار بنحو الصراحة على قبولها الى زمان حضور

الموت مطلقا حتى ممن زاد فى كفره فراجع اخبار الباب ، ولذلك اول المفسرون ظاهر الاية الى ان المراد ، عدم تمشي التوبة ممن ازداد الكفر حقيقة وانه يمنعه كفره ذلك عن الرجوع التام والندم الحقيقى، فلايتحقق الا التوبة الظاهرية وبنحو النفاق وهذا غير بعيد ، ولعل اليه يشير قوله تعالى فيما بعده (واولئك هم الضالون) اى حتى حال توبتهم وبعد وقوعها ، ولازم ذلك كون التوبة عن نفاق خوفا أورياء أو لغيرهما .

الرابع: انه يظهر من قوله تعالى : (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اه) ان الكافر اذالم يتب عن كفره فى الدنيا ، فلامخلص له من شديد العذاب وأليم العقاب فى الاخرة ، وقد ذكر فى الاية أمران مما يتوسل به اهل الدنيا لنجاتهم عن الحوادث والكوارث ، المال المفدى به للاستخلاص ، والناصر الشافع فى الانجاء ، ويلازم ذلك انه لاينفعه اعماله الدنيوية لو فرضنا صدور الخيرات منه وهذا هو المسمى بالحبط .

فهيهنا امران نتعرض لهما اجمالا :

الاول ان الكافر معذب فى الاخرة وانه لاينفعه الفداء والشفيع .

الثانى انه لاتنفعه اعماله الصالحة لحبطها وبطلانها ، وحيث ان موضوع الحكمين عنوان الكافر سواء أكان كفره بعد الايمان ام كان أصليا ، فينبغى اولا التوجه الى معنى الكفر والمعروف منه عند الشارع والمتشرعة انه عبارة عمن انكر شيئاً من اصول الدين أوفروعه اذا رجع الى انكار اصوله ، ويدل عليه فى الجملة قوله تعالى :

ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا (١٥١ – النساء)

وقوله تعالى :ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل

ضلالا بعيداً (١٣٦ النساء) وغيرهما من الايات الكثيرة التى يستفاد من مجموعها المعنى المذكور.

أما الامر الاول فالاية المبحوث عنها تدل بصريحها على عذابهم فى الاخرة وعلى عدم قبول الفدية منهم، فلا ينفعهم المال، وعلى عدم الناصر لهم فلا تنفعهم الشفاعة، ويقرب منها فى الدلالة قوله تعالى :

ان الذين كفررا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم .

(٣٤ ـ محمد ص)

ولو ان لكل نفس ظلمت مافى الارض لافتدت به . (٥٤ - يونس)

للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لوان لهم مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد .

(١٨ ـ الرعد)

ان الذين كفروا لوان لهم مافى الارض جميعاو مثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتقبل منهم ولهم عذاب أليم . (٣٦ ـ المائدة)

يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعوا من أدبر وتولى

(١١ ـ ١٧ ـ المعارج)

(فى المنافقين) فاليوم لايؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير. (١٥ ـ الحديد)

يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جائت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اونرد فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون . (٥٣ ـ الاعراف)

وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين .

(٤٦ ـ ٤٨ ـ المدثر)

وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ماللظالمين من حميم ولا شفيع يطاع . (۱۸ – غافر)

واما الامر الثانى اعنى عدم نفع اعمالهم الصالحة لحالهم ، فنقول فى توضيحه ان الخيرات الصادرة من الانسان على اقسام ، فانها اما ان تصدر منه حال ايمانه اوفى حال كفره ، وعلى كل تقدير فاما ان يموت مؤمنا اويموت كافرا ، لااشكال فى القسم الاول اعنى الصادرة منه حال ايمانه مع الموافاة عليه .

واما سائر الاقسام فمقتضى الايات عدم نفع العمل الصادر حال الكفر مات عليه اوعلى الايمان ، كما ان مقتضى الايات بطلان عمل من مات على الكفر صدر منه عمله حال كفره اوحال ايمانه ، فهنا دعويان :

الاولى بطلان العمل حال الكفر.

الثانية بطلان عمل من مات على الكفر وتدل على الاولى آيات .

فمنها قوله : ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة . (۱۲۴ – النساء)

ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه (۹۴ – الانبياء)

ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً. (۱۹ – الاسراء)

ومن يأته مؤمنا قدعمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى . (۷۵–طه)

واما الثانية فتدل عليها الايات التالية قال تعالى : والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الاماكانوا يعملون . (۱۴۷ –الاعراف)

وعدالله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة واولئك هم الخاسرون . (۶۹–التوبة)

اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا (۱۰۵–الكهف).

من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ماكانوا يعملون.

(١٦ هود)

ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون . (٢١٧ البقرة) .

والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم ذلك بانهم كرهوا ماانزل الله فاحبط اعمالهم (٩ محمد) وقد مثل الله تعالى لاعمال الكفار بامثلة، فلاحظ الايات التالية:

مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت بـه الريح في يوم عاصف لايقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد . (١٨ ابراهيم)

والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جـائه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب . (٣٩ النور)

اوكظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور

(٤٠ النور)

كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولايؤمن بالله واليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لايقدرون على شيء مما كسبوا. (٢٦٤ البقرة)

مثل ماينفقون في هذه الحياة الدنيـا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وماظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون. (١١٧ آل عمران)

فالمشبه في الايات الاربع اعمالهم الحسنة، وفي الاية ٤٠ من النور اعمالهم السيئة، فشبه الله في سورة ابراهيم اعمالهم بالرماد الواقع في مهب الريح العاصف، فلايبقى من ذلك، فالنتيجة انهم لايقدرون منها على شيء وهذا يشمل جميع اعمالهم الصالحة بذاتها .

وفي سورة النور بسراب يتراءى في القيعان ، ويتخيل انه ماء، وذكر الظمآن

لاجل كون تخيل الماء منه اقوى من غيره ، وهو مع ذلك ساع فى الوصول اليه، وهذا حال الكافر بالنسبة الى اعماله ، وقوله حتى اذا جائه يمكن ان يكون من تتمة المثال او بيانا لحال الممثل الكافر ، فان مجيئه الى عمله عبارة عن موته وروده الى عالم الاخرة ، فلم يجد عمله ووجد الله مالكا لذلك اليوم موفيا حساب الخلق .

وشبه تعالى فى سورة البقرة نفس من انفق المال رياء ومن لايؤمن بالله واليوم الاخر بالصفوان وهو الاحجار الصافية الملساء ، وشبه اعمالهم بالتراب الموجود عليها، فاذا نزلت عليها الامطار الشديدة ذهب التراب بالكلية فتبقى صلدا صافيا لاتراب عليه

وشبه تعالى فى سورة آل‌عمران انفاق الكافر الذى هو مثال لسائر مايصدر منه من الخيرات بالحرث الذى اصابته ريح فيها شدة وبرودة، فاذهبته وافنته واهلكته، فلم يبق فيه ماينفعهم، والتقييد بكون الحرث للقوم الظالمين لاجل ان غضب الاهلاك فيهم اشد .

والاية الثانية فى سورة النور تفيد تشبيه اعمالهم السيئة من كفرهم وعقائدهم الفاسدة ورذائل اخلاقهم وعاداتهم ومعاصيهم البدنية بظلمات البحر الزاخر، والامواج المتراكمة والسحاب الحائل المانع عن ضوء الشمس ونور القمر والكواكب ، فالانسان المفروض فى قعر البحر يكون فى ظلمات ثلاث .

فهو لايرى شيئا حتى يده التى يقربها من عينه ، فالكافر واقع فى ظلمات عقائده واخلاقه واعماله ، فلايمكن ان يرى شيئا من حسناته وان كانت قريبة منه لصدورها منه .

ثم ان ظاهر الايات افادة العموم فى الاعمال حتى آية البقرة لمكان الجمع المضاف (اعمالهم) ووقوع الجنس فى النفى (لايقدرون على شىء مما كسبوا) فلادليل ح على كون عملهم نافعا فى حقهم ، وهذه الايات بمثابة التوضيح للحبط المذكور فى الايات السابقة بالامثلة الموضحة المبينة للمقصود .

ان قلت: ان الايات المذكورة تعارضها آيات اخر تدل على عدم خلو العمل الصالح الصادر من الانسان عن ثواب وجزاء فلاحظ قوله تعالى :

وان ليس للانسان الاما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى (٤١ النجم)

فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره (٨ الزلزلة)

يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا (٣٠ آل‌عمران)

ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا (٢٢ الانسان)

ووجدوا ما عملوا حاضرا ولايظلم ربك احداً (٤٩ الكهف)

ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى (١٥ طه)

ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها فاولئك كان سعيهم مشكورا .

(٢٠ ـ الاسراء)

قلت بعض هذه الايات يدل على ان العامل يرى عمله اى يطلع ويقف عليه، ولاتعرض فيه للجزاء ، فيكون مدلوله نظير قوله تعالى : (ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة الااحصاها) وبعضها الاخر وان كان يدل على المجازاة ، فكل عمل صالح له جزاء وثواب ، وكل عمل سيىء له عقاب ، الا ان نسبة هذه الطائفة الى ما ذكر من ادلة اشتراط الايمان وادلة الحبط ، نسبة المطلق الى المقيد والعام الى الخاص اوالمحكوم الى الحاكم ، فينتج الجمع بينها ان كل عمل صالح له جزاء اذا قارن صدوره الايمان ، ولم يحصل مايكون سببا لحبطه من الكفر والشرك ،هذا مقتضى العمل بالادلة فى مرحلة الاثبات .

واما مرحلة الثبوت فيكون النتيجة القول بكون تأثير الخيرات والصالحات فى المثوبة بنحو الاقتضاء والعلية الناقصة المحتاجة فى فعلية الاثرالى تحقق الشرائط وفقد الموانع ، فاذ لاايمان حين العمل فلاشرط ، واذا ارتد بعد الايمان ومات عليه فقد وجد المانع اوالرافع فلامسبب .

وهذا نظير مايقال فی عكس المسئلة وهو مقايسة اطلاقات ادلة السيئات او عموماتها المقتضية لتأثيرها فی العقوبة بنحو العلية التامة كقوله :

۱ ـ واما من طغى و آثر الحياة الدنيا فان الجحيم هی المأوى.

(۳۷ ـ النازعات)

۲ ـ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا . (۱۴ النساء)

۳ ـ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزائه جهنم خالدا فيها . (۹۳ النساء)

۴ ـ الذين يأكلون الربا لايقومون الا . (۲۷۵ البقرة)

ومن عاد (الى الربا) فاولئك اصحاب النار . (۲۷۵ ـ البقرة)

۵ ـ ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يـاكلون فی بطونهم نارا وسيصلون سعيرا . (۱۰ النساء)

۶ ـ ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب (۶۹ـ الفرقان

فمقتضى الجمع بينها وبين ادلة قبول التوبة اووقوع الشفاعة القول بكون تلك الأدلة مقيدة اومخصصة اوحاكمة على هذه الايات ، ومآله القول بكون مؤدى هذه الايات بنحو الاقتضاء الناقص لاالعلية ، وهيهنا امرينبغی التنبيه عليه ، وهو ان الكفار ينقسمون الى طوائف .

فمنهم من كفر على علم بالله وبدينه عنادا وتعصبا ، ومنهم من كفر عن جهل تقصيری لاعذرله فيه ، ومنهم من هو معذور فی كفر داخل تحت عنوان المستضعف والظاهر شمول الادلة الدالة على حرمان الكافر من عمله فی الاخرة للطائفتين الاولتين ، وانصرافها عن الأخيرة ، بقرينة ورود التوعيد بالعذاب والنار فی بعض تلك الايات ، اذلااشكال فی عدم تعذيب القاصرين ، سواء اكانوا قاصرين فی الاصول ام فی الفروع ، كماقال تعالى :

(وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقوله تعالى: (لايكلف الله نفسا الاما آتاها) ای اعلمها، وح فتبقى اعمالهم تحت الأدلة العامة الدالة على ترتب الجزاء والمثوبة

لكل عمل صالح ، كما ان الادلة الدالة على اشراط تقارن الايمان بالعمل ناظرة الى اثبات الجزاء للعمل المقارن للايمان لا نفيه عن غيره ، فلامفهوم لها ، فيبقى مورد الفرض خارجا عن شمولها داخلاتحت اطلاق آيات الجزاء .

ثم انه بعدملاحظة نعم‌الله السابغة فى الدنيا وشمولها للبر والفاجر والمؤمن والكافر نعما لايقدر القادرون قدرها ويعجز العادون عن احصائها ، يسهل القول بحرمان الكافر الذى فرض صدور صالح الاعمال منه فى الاخرة ، فان ماانعم الله عليه من النعم ومنها القوى المبذولة له فى الاتيان بنفس تلك الاعمال يفوق ماعمله اضعافا مضاعفة

قال تعالى **لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون و ما تنفقوا من شىء فان‌الله‌به عليم ٩٢**

كل الطعام كان حلا لبنى‌اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على‌نفسه من قبل ان‌تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان‌كنتم صادقين ٩٣

فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك‌فاولئك‌هم الظالمون ٩٤

قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ٩٥ آل‌عمران

التفسير

الايات منفصلة عما قبلها بحسب الظاهرفهى مبدء لاحكام و مقاصد أخر ، و البرهوالتوسع فى فعل الخير، وهل المراد به برالله لعبده وفضله و انعامه ، فيعم خير دنياه وصلاح عقباه ، فالمقصود ان الانفاق الخاص سبب لشمول انواع النعم فى‌حق البار؟ اوالمراد برالانسان ، وح فقد يستشكل بان البرمنه هوالانفاق ،فيصير المعنى لن تنالوا الانفاق الا بالانفاق، لكن الظاهرعلى‌هذا ارادة البربمعناه‌الاوسع

وهو البر الاعتقادی والخلقی والعملی، فانه ذو ابعاد اوذو مصاديق ثلاثة ويبينه قوله تعالى (فی سورة البقرة ۱۷۷)

ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوی القربی و اليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفی الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فی البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون.

فقد عد فی هذه الاية البر أمرا مركبا من الايمان بالمبدء والمعاد وما بينهما من الامور الثلاثة ، ومن العمل وهو الانفاق المستحب ، والصلاة والزكاة الواجبة ، و من الخلق والملكة الفاضلة وهو صفة الوفاء والصبر، وقد اشير فی اخر الاية ان تحقق تلك الامور هو الصدق المطلوب من العبد ، وهو التقوى المحثوث عليها من جانب الله تعالى.

وقوله تعالى : مما تحبون ، الموصول فيه عام شامل للاموال و الاولاد و الجاه والبدن والدم وانفاق كل منها بحسب حاله ، فحاصل معنى الاية الاولى ان نيل البر بجوانبه وابعاده لايتسنى لاحد الابيذل ما يملكه ويتسلط عليه من الاموال وغيرها حتى المهجة ...

وقوله تعالى : وما تنفقوا من شیء اه بيان لعلمه الازلی وتعلقه بالانفاق عبارة عن كمه وكيفه وعلته وآثاره الدنيوية وجزائه فی الاخرة ، والتعبير بكلمة عليم لبيان ان علمه غير مقيد بزمان دون زمان.

قوله تعالى كل الطعام اه الطعام كل ما يطعم ويؤكل ، و قد يستعمل بمعنى البر، والظاهر انه كان لغة اهل الحجاز ، والحل الحلال المرخص فيه ، و اسرائيل اسم يعقوب النبی قيل سمی به لانه كان مجاهدا فی الله مظفرا به ، وعند اهل التوراة معناه الغالب على الله الظافر به ، لانه قد صارع الله فی ليلة الى الصباح وظفر عليه

راجع سفر التكوين من التوراة (الباب ٣٢ العدد ٢٤)

ثم الايات الثلاث وهي قوله كل الطعام الى قوله من المشركين ، ناظرة الى رد اليهود في امر اعترضوا فيه على النبي والمسلمين ، وفي امر ادعوه لتصحيح مزعمتهم في بطلان نسخ الاحكام وعدم امكانه وقوعا ، وتوضيح ذلك يتوقف اولا على ملاحظة قوله الاية ١٤٦ في سورة الانعام وهي قوله تعالى :

وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما اوالحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون .

تدل هذه الاية على ان الله حرم على اليهود كل ذي ظفر من الحيوان وهو يشتمل الطيور كلها حتى المحللة لنا ، وكذا الوحوش المحللة كالضبي والغزال و التيس والجوذر ونحوها ويشمل الابل.

وقوله ومن البقر والغنم اه معناه لم نحرم هذين النوعين من بين ذي الظفر مطلقا بل شحومهما ، ولم نحرم ذلك ايضا مطلقا بل الشحوم القابلة للانفكاك عن اللحم بسهولة كشحم الالية ، ومايكون في جوف الحيوان سوى ما حملته الظهور مختلطاً باللحوم وماحملته الحوايا اى الامعاء محاطة به وسوى المختلط بالعظام

وثانيا على ملاحظة قوله تعالى في سورة النساء الاية .(١٦٠)

فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل . وهذه الاية تدل. اولا على كون ما حرمه الله عليهم هو من الطيبات التي ينبغي ان يكون حلالا للناس .

وثانيا على انها كانت محللة لهم فيما قبل التحريم، فطرء عليها التحريم لاجل ظلمهم انفسهم و انبيائهم ، ولماذكر في الاية من الامور الثلاثة ، فقد وافقت هذه

الاية قوله تعالى فى‌ذيل سابقتها (ذلك جزيناهم ببغيهم) .

وثالثا على الفات النظر الى ان اليهود كانوا قائلين ببطلان النسخ ، سواء أكان نسخ الحكم فى الشريعة اونسخ نفس الشريعة ، ولازم ذلك بقاء الاحكام التى كانت فى دين ابراهيم الى زمان موسى وتصديق موسى جميعها .

ورابعا على العلم بان يعقوب النبى كان قدحرم على‌نفسه بعض مايشتهيه من الاطعمة زهادة عن‌الدنيا وقربة الى‌ربه ،ويقال انه‌كان لحم الابل اولحم الجزور او الكبد والكليتين او الشحوم وبعد ملاحظة ماذكرنا يعلم‌توجه اشكالين الى‌اليهود:

الاول انهم كانوا من قبل اهل الظلم والطغيان والاثم و العصيان ، حتى انه حرم‌الله عليهم بذلك شيئا كثيرا من الطيبات المحللة لغيرهم .

الثانى بطلان‌قولهم بالنسخ فان‌تحريم الطيبات عليهم عبارة عن‌نسخ حليتها الثابتة فى‌دين ابراهيم .

ثم‌انهم احتالوا فى‌رد الاشكالين وتوجيه ماهم عليه بانكاركون حرمة تلك الاشياء حادثة بنزول التوراة ولسان موسى الكليم ، بل التحريم كان ثابتا فى دين ابراهيم وشريعته بل‌وفى الشرايع السابقة ايضا.

فهوحكم ثابت الهى غير منسوخ ، فاندفع بذلك كلا الاشكالين بل توجه اشكال الى النبى الاعظم والمسلمين بانهم‌مع تصديقهم ملة ابراهيم وشرعه ، قد اجترئوا على تناول تلك الاطعمة فهم مخالفون لما اعترفوا واقروا به من حكم‌الله الثابت فى الشريعتين .

اذاعرفت ماذكرنا يظهرلك المرادح من آيتنا المبحوث عنها وان الغرض منهاابطال ماادعته اليهود من‌حرمة الاشياء المذكورة قبل نزول التوراة ، وفى‌شريعة ابراهيم دعوى بنوا عليها امورا هامة .

فمعنى الاية الشريفة ان جميع الاطعمة كانت محللة على بنى اسرائيل قبل نزول التوراة حلية ثابتةفى شريعة ابراهيم باقية الى زمان نزول التوراة (سوى ما

حرمه يعقوب النبى لنفسه حرمة انشائية حاصلة بنذراو عهداو حرمة عملية بمعنى عزمه على ترك شيء ممايحبه من المأكل ، كمااتفق نظيره لنبينا محمد «ص» حيث قال تعالى ياايهاالنبى لم تحرم ما احل الله لك تبتغى مرضاة ازواجك .

فقدورد فى تفسير الاية ان النبى «ص» قدعزم ان لاياكل العسل اولا يقارب مارية القبطية، ثم حرمها الله فى التوراة على لسان موسى ،وح فاذا لوحظ نفس تبدل الحلية الى الحرمة، ثبت وجود النسخ فى الاحكام وبطل دعوى بطلانه، واذالوحظ علةذلك النسخ وانها كانت هى ما ذكر فى آية النساء، ثبت ان اليهود كانت امة ظالمة طاغيه مجزية بسيىء اعمالها فى الدنيا قبل الاخرة .

ثم ان مقتضى ظهور الاية ان الحلية السابقة ثم تبدلها الى الحرمة ثابتة فى التوراة مكتوبة فيها ، ولذلك قدامروا بالاتيان بالتوراة وتلاوتها ، ولازم ذلك انهم اناتوا بها وتلوها انكشف بطلان دعويهم وافتضحوا.

وان لم يأتوا بها مع هذه الدعوة الصريحة، انكشف كذبهم على الله وافترائهم فى دعوى سبق التحريم وعدم عروض التغير والنسخ ، ولذلك قال (فمن افترى على الله الكذب آه) اى هم الظالمون لموسى وللتوراة ولامة اليهود ولانفسهم ،وفى هذا تنبيه على ان كل من كتم امرا ثابتا وحقيقة راهنة ينبغى اظهارها ، فهوممن ظلم نفسه وامته واتباعه وظلم تلك الحقيقة .

وقوله تعالى : قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم اه الملـة هنا بمعنى الدين والشريعة ، والحنيف المائل الى الحق والثابت عليه، والظاهر ان الغرض من سوق الاية انه لما ثبت ان النبى اخبر عما فى التوراة بنحو الاعجاز وان الله صادق فيما امر نبيه بابلاغه ، لزمهم اتباع دين الاسلام وهو فى الحقيقة عبارة عن اتباع ملـة ابراهيم ، وابراهيم هو النبى الحنيف فى ابعاده المختلفة اى فى عقائده وملكاته واعماله .

وقولـه وماكان من المشركين اى ليس هو يهوديا ولانصرانيا ليكـون من

المشركين كما اشير اليه في قوله تعالى ماكان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا اه : فانه لوكان كذلك مع ما هم عليه من اعتقاد ببنوة عزير وعيسى لله تعالى ، لزم كونه مشركا .

قال تعالى : (**ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ۹۶)**

فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين . (۹۷ آل‌عمران)

التفسير

يستفاد من الايتين وغيرهما من الايات المربوطة بالمقام، ان للبيت الشريف احكاما وصفات نشير الى بعضها فيما يلى اجمالا ، ثم نفصلها بعض التفصيل :

الاول ـ انه اول بيت وضعه الله للناس .

الثانى ـ انه قيام للناس .

الثالث ـ كونه حرما وحراما .

الرابع ـ وجوب استقباله في الصلاة ورعايته لامور اخر .

الخامس ـ وجوب حجه على جميع الناس وكونه مثابة .

السادس ـ وجوب الطواف به .

السابع ـ كونه هدى للعالمين .

الثامن ـ وجود الايات البينات فيه .

التاسع ـ كونه محل امن .

العاشر ـ كونه مباركا .

الحادى عشر - كفر من ترك حجه .

ثم ليعلم قبل التعرض لبيانها انه قد يقال ان الاية مسوقة لرد مادعاه اليهود من ان اول بيت موضوع لعبادة الناس هو المسجد الاقصى، ولم يبين القائل وجه الاستدلال ، الا انـه واضح ، فان بناء بيت المقدس بيد سليمان النبى قبل الميلاد بما يقرب من الف وخمس سنين ، واما البيت الشريف فهو بناء ابراهيم الخليل بما يقرب من الفين قبل الميلاد ، فالبيت الحرام اقدم بناء من بيت المقدس ، واما الاحكام المزبورة :

فاولها ان البيت الشريف اول بيت وضع للناس بمعنى انه اول بناء بنى لكونه محلا لعبادة الله كمساجدنا بالفعل ، اويتوجه الناس فى عباداتهم نحوه ، او لكلا الغرضين، ولم يكن الى ذلك الزمان محل خاص العبادة، ويقرب من الاية مضمونا

قوله تعالى: والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد. (٢٥ الحج) اى وضعناه وبنيناه لهم حال كونه يستوى فيه المتوطن حوله والوارد اليه من امكنة بعيدة فى استحقاقهم العبادة فيه ، لااحد احق به من آخر ، وقوله تعالى : واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لاتشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . (٢٦ الحج)

والتبوء التهيؤ والاعداد وتعيين الموضع ، وقوله الاتشرك اى اوحينا اليه الاتشرك وطهر اه .

فالاية ممايدل على كون البناء بيدابراهيم الخليل والامربه هوالله، والمهندس لبنائه جبرئيل الامين ،كما فى بعض الروايات ، والبناء ابراهيم الخليل ، والعامل تحت يده ابنه اسماعيل ، ويكفى هذا فى طهارة البيت واتصافه بما يذكر القرآن فى حقه من الاوصاف والاحكام .

وقوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم .

ان قلت يظهر من قوله تعالى نقلا عن ابراهيم الخليل (ربنانى اسكنت من ذريتى بوادغيرذى زرع عندبيتك المحرم اه) ان البيت كان قبل ابراهيم، فانالدعاء صدر منه في اول ماورد ارض مكة وجاء اليها مع زوجه هاجروابنه اسماعيل من موطنه الثاني اعنى بعض قرى الشامات .

قلت لايبعد صدور الدعاء منه بعد بناء البيت ، و المراد بذريته اسماعيل واولاده ، ولو فرض كونه قبل بناء البيت ، فالمراد بالبيت محله المعين الذى مضى في علم الله تعالى ان يكون بيتاله ويقصده عباده بالعبادة.

ويؤيده ما ورد في تفسير قوله تعالى : والبيت المعمور،انه محل في السماء معد لعمرة الملائكة يقابل البيت الحرام فىالارض ، ولااشكال فى سبق خلق ذلك ولازم المقابلة سبق اعداد البيت الحرام فى الارض .

وفى تفسير الفخر الرازى الاستدلال على تقدم بناء البيت على زمانابراهيم بان مقتضى تشريع الصلاة و السجود للانبياء قبل ابراهيم هو وجود الكعبة قبله ، فانهم لوامروا بالصلاة والسجود الى غيرالكعبة لزم وضع بيت قبلها ، فليستاول بيت ، وان امروا بالسجود اليها لزم تقدم بنائها ، والدليل علىتشريع السجودقبل ابراهيم قوله تعالى

اولئك الذين انعم الله عليهم منالنبيين من ذرية آدم وممن حملنا معنوح ومن ذرية ابراهيم و اسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً و بكيا . (٥٨ مريم) .

و لكن فيه مع انه لاتعرض فى الاية للصلاة انه لاملازمة بين تشريعالصلاة فضلا عن السجود وبناء الكعبة بيتا للعبادة ، اذكما ان صلاتهم لم تكن فيها فاتحة الكتاب والسورالقرآنية ، فلابعد فى ان لاتكون مشروطة بالاستقبال ايضا كما فى نوافلنا فى المحمل والسيارة وفى حال المشى ، مع ان الامر بالاستقبال الى بيت واحد تبيان للزوم الاتحاد ، و تسبيب لتحقق الوحـدة بين الملل الاسلامية .

ثم جميع اهل الارض فى زمـان يلزمهم الاتحاد ويضرهم الافتراق والانشعاب

وهذه الحكمة لم تكن موجودة فى عصر كان الانسان يعيش فيه عيش التوحد والتوحش نظير الحيوانات ، و على اى تقدير فلا دليل فى ذلك على تقدم بناء الكعبة ، مع ظهور الايات فى كونه بيد ابراهيم الخليل عليه السلام وابنه ، هذا ولكن قد ورد فى بعض الاخبار ما يظهر منه سبق بناء البيت عن زمان ابراهيم عليه السلام ، بل كونه موجودا مقصودا بالعبادة منذ زمان آدم النبى الى عصر نزول الاية الشريفة .

ففى الكافى عن مولانا الصادق عليه السلام (الفروع ص ١٩١) قال بعث الله جبرئيل فقال السلام عليك يا آدم التائب من خطيئته الصابر لبليته ان الله ارسلنى اليك لاعلمك المناسك التى تطهر بها ، فاخذ بيده فانطلق به الى مكان البيت وانزل الله عليه غمامة فاظلت مكان البيت وكانت الغمامة بحيال البيت المعمور ، فقال يا آدم خط برجلك حيث اظلت عليك هذه الغمامة ، فانه سيخرج لك بيتا من مهاة (البلور وكل شيء صاف) فيكون قبلتك وقبلة عقبك ، واخرج الله له تحت الغمامة بيتا من مهاة . . وانزل الحجر له آه .

وفى معتبرة معاوية بن عمار عن مولانا الصادق عليه السلام قال لما طاف آدم بالبيت وانتهى الى الملتزم قال له جبرئيل يا آدم اقرء لربك بذنوبك اه (الفروع ص١٩٤)

وفى الخطبة القاصعة من نهج البلاغة قال عليه السلام الا ترون ان الله اختبر الاولين من لدن آدم صلوات الله عليه الى الاخرين من هذا العالم باحجار لاتضر ولاتنفع ولاتبصر ولاتسمع ، فجعلها بيته الحرام الذى جعله قياما للناس (خ ١٩٠)

و يمكن الجمع بينها وبين ماذكرنا من ظهور الايات فى كون البناء محدثا بيد ابراهيم الخليل ، بالقول بكون اصل البيت وما يبتنى عليه قواعده موجودا من زمان آدم بل قبل ذلك ، منذ خلق الله الارض كما يشير اليه بعض الاخبار الواردة فى دحو الارض وان كنا لانعلم اصله وجوهره ، وانه هل كان من درة اوحجر خاص ؟ وانه هل كان مساويا مع سطح الارض اوارفع منه بيسير؟ وعلى اى تقدير لم يكن بناء

مرفوعا كما بناه ابراهيم ، فامره الله تعالى ببنائه ورفع قواعده مع ابنه اسماعيل وهذا وجه جمع حسن .

وثانيها كونه قياما للناس قال الله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهرالحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا انالله يعلم مافىالسموات وما فىالارض وانالله بكل شيىء عليم (۹۷ المائدة)

والقيام والقوام اسم لما يقوم به الشيىء كالسناد والعماد لما يسند اليهالشيء ويعمد ، وقيل هو بمعنى القائم والثابت الذى لاينسخ، والمراد بالكعبة هناالامور المتعلقة بها الصادرة فىالامكنة البعيدة والقريبة كالصلاة المأتىبها نحوها، وتوجيه الذبائح اليها و رعاية استقبالها بالنسبة الى المحتضرين الى ان يدفنوا ، و السفر اليها معتمرا وحجيجا ، وفى بعض الروايات ان المراد بكون هذه الامور قواما للناس ،كونها قواما لامرمعايشهم ومعادهم لابمعنى وقوع التجارات والتكسبات بينالحجاج واهل مكة فيستفيدوا ربحا ويفيدوا غنائم (وان كان قد يحصل ذلك) لبعد ان يكون هو الغرض من سفرالحج والسير الىالله والى شعائره ، مع ان هذا مربوط بخصوص العمرة بالحج ، والاية حاكية عن كون جميع الامور المتعلقة بها قواما للناس .

فالظاهر انالمراد انمراعاة مايرتبط بها من بعيد، سببلحصول نحوتقارب واتحاد بين المسلمين ،كما ان قصدهم اليها معتمرين وحجاجا وتلاقيهم وتعارفهم فىالايام المعلومات، واشتراكهم فىالمناسك والاعمال المخصوصة، سببلاطلاع كل طائفة منهم على حال الاخرى ومعرفة بعضهم بعضا فى مختلف امورهمالدينية والدنيويـة وشتى جهاتها العلمية و السياسية و الاقتصاديـة ، فيتعارفون و يتفاهمون ويتقاربون ويحصل بينهم ائتلاف واتحادفيتشكل دولة اسلامية كبيرة، فيتقومصلبهم ويقومون على ساقهم فى معارفهم الدينية المغنية عن كل ماسواها من اوهام ماعند

غيرهم واحلام، وكذا يستغنون بما يحصلونه من العلوم الدنيوية المرتبطة بالمعاش، ثم يقومون على سوقهم فى امر اقتصادهم ، ومايرتبط بذلك من استخراج ماوهب الله لهم من خزائن الارض ودفائنها ، وكيفية صرفها فى مصارفها ، ثم يتقوون فى اعداد القوى الدفاعية والجهادية، فيحصلون العظمة والمجد الاسلامية الغابرة التى اضاعوها واتلفوها باختلافهم وتشتتهم وافتراق بعضهم من بعض ومحاربة بعضهم مع بعض .

وثالثها كونه حراما و محرما ، و اطلق عنوان الحرام و الحرم فى الكتاب الكريم تارة على الكعبة المشرفة، واخرى على المسجد ، وثالثة على مكة، ورابعة على جميع الحرم ، قال تعالى : جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس . (٩٧ المائدة)

وقال: سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (١- الاسرى)

وقال تعالى : فول وجهك شطر المسجد الحرام . (١٤٤-البقرة)

وقال تعالى: رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم (٣٧- ابراهيم)

وقال تعالى : انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة التى حرمها وله كل شىء (٩١-النمل)

وقال تعالى: اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء . (٥٧- القصص)

و قال تعالى : اولم يروا اناجعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم . (٦٧ - العنكبوت)

ثم ان الحرمة عبارة عن الممنوعية ، وهى على اقسام الممنوعية التكوينية، كما فى قوله تعالى: (وحرمنا عليه المراضع) والممنوعية العقلية كالظلم على البرىء، وقتل النفس الزكية والكذب بلا موجب ، والاسائة فى مقابلة الاحسان ونحوها ،

فان كل ذلك حرام عند العقل ، والممنوعية الشرعية كما فى قوله تعالى : حرمت عليكم الميتة والدم اه وقوله تعالى: وحرمت عليكم امهاتكم وبناتكم وقوله تعالى: قل لاأجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه،وغيرذلك .

وهل المراد بالحرمة فى المقام الحرمة التكوينية بمعنى ان الله يحفظ تلك الامكنة عمايقصده الجائرون من تخريبها وقتل اهلها ونهب اموالها ، اوالتشريعية كتحريمه تعالى (۱) القتال فيها (۲) ودخولها بلاعقد احرام (۳) والاصطياد فيها (۴) وقطع شجرها(۵) واختلاء خلاها اى اقتطاع نبتها(۶)والقصاص فيها، والظاهر ارادة الاعم منهما ، الاان الحرمة التكوينية ليست مطلقة بل هى ثابتة فى الجملة .

وقـد تحققت فى بعض الاحيان كما فى قصة اصحاب الفيل ، فقد دفع الله تعالى قاصدى بيته بالسوء بطيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول ، ويشهد على عدم عموم المنع التكوينى قصة القرامطة ونصب الحجاج عليه لعائن الله المنجنيق ورمى الاحجار به نحوالكعبة المشرفة ، واحراقه استارها وتخريبه بعض جدرانها

ويقرب من هذا المعنى قوله تعالى

(ياايهاالذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله ...) ولاآمين البيت الحرام يبتغون فضلامن ربهمورضوانا. (۲-المائدة) والشعائرجمع شعيرة وهى العلامة ، والمراد بها هنا احكام الله مطلقا اوخصوص مناسك الحج واحلالها عبارة عـن الاعراض عنها وعدها محلل الترك

ورابعها: رعايةالتوجه اوتوجيه الغير اليهاوجوبا او استحبابا فىموارد كحال الصلاة الواجبة والمندوبة، وحال احتضار الميت والصلاة عليه ودفنه ، وحال تذكية الحيوان بذبح ونحر ونحوها من الموارد ، ويدل على الحكم فى الجملة قوله تعالى

قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فـول وجهك شـطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره . (۱۴۴-البقره)

وخامسها: وجوب حجه على الناس قال تعالى :

١- ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . (٩٧ - آلعمران)

والحج بالكسر والفتح بمعنى واحد وهو القصد كما في المفردات ، وقد صار عند الشارع والمتشرعة حقيقة في القصد الخاص ، وهو قصد بيت الله و مايتعلق بذلك على النحو المعين ، وقد يطلق على نفس الاعمال المخصوصة ، وعلى الاول قد تعلق حق الله تعالى بالامر القلبي المؤثر في العمل، وعلى الثاني بنفس العمل الخارجي

ثم ان الكلام هل هو انشاء للحق ولتعلقه بالحج كقول الناذر مثلا لله على ان اصوم غدا ؟ او اخبار عن الحق المتعلق به فيما قبل، وعلى الاخبار فهل هو حكاية عن ثبوت ذلك في اللوح المحفوظ ؟ اوعن ثبوته بتشريح ابراهيم الخليل (ع) ، ثم من بعده من الانبياء ؟ الظاهر كونه اخباراً، الا انا لم نعلم زمان حدوث المحكى عنه ولازم تعلق الحق هنا هو الوجوب ، وقال تعالى :

٢- واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا و على كل ضامر ياتين من كل فج عميق . (٢٧ الحج)

الرجال جمع راجل اى الماشى ، والضامر البعير المهزول ، و يأتين جمع محمول على المعنى، فكانه قيل ضامرات، والفج الطريق، والعميق البعيد والخطاب اما لابراهيم الخليل (ع) نظرا الى ملاحظة ما قبل الاية (واذبوأ نا لابراهيم مكان البيت ان لاتشرك بى شيئا و طهر بيتى ...واذن في الناس)

فتدل الاية (ح) على ان ايجاب الحج للناس كان في شريعة ابراهيم وبلسانه، و لم يكن قبله ، وما ينقل من حج آدم وزيارته مكان البيت لعله كان حكما خاصا لـه لاعاما للجميع، فالاية من آيات وجوب الحج، ويمكن كون الخطاب في الاية للنبى الاعظم محمد (ص) ففى الاية التفات ، وقال تعالى :

٣- الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولاجدال في الحج. (١٩٧- البقره) .

اى اشهر الحج اشهر معلومات، وهى شوال وذوالقعدة و ذوالحجة ، و قوله فمن فرض اى اوجب على نفسه ذلك بالاحرام، والمراد انه من احرم بالحج فى تلك الاشهر فليجتنب عن الامور المذكورة ، فالاحرام سبب لفعلية الوجوب كمافى تكبيرة الاحرام للصلاة، والرفث الفحش اوالجماع ، و الفسوق مطلق المعاصى، والجدال قول لاوالله وبلى والله ،والاية تدل على وجوب الحج ايضاً .

و سادسها : وجوب الطواف به ، قال تعالى خطابا لابراهيم عليه السلام : وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود. و قال : وليطوفوا بالبيت العتيق. (۲۹ الحج) .

وقوله للطائفين لايدل الاعلى تشريع الطواف الشامل للواجب والمندوب، فلا يدل على الوجوب كما فى القيام والركوع والسجود ، نعم الظاهر من قوله وليطوفوا هو الوجوب ، الا ان شمول الطواف للواجب منه والمندوب ربما يكون قرينة على حمل قوله وليطوفوا على مطلق المطلوبية والقدر الجامع بين الوجوب و الندب .

وسابعها : كونه اى البيت الشريف هدى للعالمين كما هو المذكور فى آيتنا المبحوث عنها وذلك لامور.

الاول- قدم بنائه و دوام بقائه، فانه يهدى المتأمل الى ربه ، حيث انه تعالى ابقى بيته ومحل عبادته فى العصور المتطاولة سليم البنيان محفوظا عن الحدثان،

الثانى- نفس الاعمال الواجبة والمناسك المشروعة المتعلقة به،فان المتامل فيها والعامل بها يهتدى الى ربه.

الثالث - توجه النفوس نحوه فى صلواتهم و اوقات احتضارهم وموتهم ، وتوجيه الذبائح اليه فان جميعها مذكرة للنفوس وهادية لها الى الله .

الرابع- هداية الحضور عنده والعمل لمناسكه الخاصة العالم الاسلامى الى توحيد الكلمة وتقارب القلوب والافئدة ، و رفع الاختلاف و العداوة و البغضاء ، ويهديهم ايضا الى معرفة امامهم و العمل بما امرهم به و نهاهم عنه ، فالبيت بذاته

هدى للعالمين عامة ، و هدى للمسلمين خاصة ، كما ان القرآن هدى للناس عامة وللمتقين خاصة.

وثامنها - كون البيت شاملا للايات البينات قال تعالى: فيه آيات بينات . والايات هى العلائم الدالة على وجوده تعالى وعظمته وحكمته، و على صدق انبيائه وكتبه ورسله، وقد يقال فى تفسير الايات انها عبارة عن الحوادث الخارقة لناموس الطبيعة الواقعة فى البيت اوفى حواليه، كقتل اصحاب الفيل ، وغور قدمى ابراهيم فى الحجر الذى هو المقام الى الكعبين، وامتناع الطيور عن الاستعلاء على البيت والطيران من محاذاته، الا للاستشفاء، وغيرذلك.

لكن الظاهر ان المراد بالايات العلائم التى تطمئن القلوب بعد ملاحظتها بصدق كون البيت بيت الله تعالى المعمور بامره لعبادته كبقائه فى الوف من السنين معبداً يعبدالله فيه واليه ، وملجأ ياوى اليه كل ذى حاجة، ، وليس فى الارض محل اقدم منه بقى سليما من الحوادث ، و قد كان اهل الجاهلية قبل الاسلام يزورونه ويعظمونه .

وقد قيل ان قول شعيب لموسى(ع)(انى اريدان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى ثمانى حجج) الحجج جمع حجة ، و اريد بها المرة من الحج وكانوا يعدون عندئذ الاعوام بالحجة لجريان عادتهم بايقاعه كل سنة، وعلى اى تقدير فالظاهر ان الايات قدفسرت بقوله تعالى بعدها:

مقام ابراهيم الى آخر الاية ، فالايات ثلاث ، (١) مقام ابراهيم (٢) وامن من دخله (٣) ووجوب حجه والاتيان بمناسكه ، اما الاول فلان وجود المقام فيه مذكر لابراهيم ونبوته ومن ارسله بالنبوة ومن عليه بالرسالة .

قد يقال ان كون مقام ابراهيم آية لاجل غوص قدمه الشريف فى الصخرة التى قام عليها لان يغسل رجله زوج اسماعيل عند قدومه من الشام لزيارة ابنه ، اوقام عليها لبناء البيت ورفع قواعده، اولان يأذن للناس بالحج بعد اتمام البناء .

واما الاخيران فلان تشريع الامن للبيت كجعل الامن التكويني له في الجملة كماعرفت ، وكذلك ايجاب حجه وجعل الاحكام الخاصة للمعتمرين والحجاج، فانه اية تهدى المتأمل الى صدق النبى الاقدم ابراهيم ، والرسول الاعظم محمد(ص) في دعويهما النبوة.

وتاسعها كونه محل امن كما ذكره تعالى في ايتنا المبحوث عنها، و يقرب منها قوله تعالى . و اذ جعلنا البيت مثابة و امنا (۱۲۵ البقرة)

واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات.(۱۲۶البقرة) (۳۵-ابراهيم)

اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيىء(۵۷-القصص)

وقدوقع وصف الامن صفة للبيت تارة،وللبلد اخرى،وللحرم ثالثة، فالجميع امن اى ذات امن ، اوالوصف بحال المتعلق ،

وهل المراد بالامن الامن التكويني كما ذكرنا في كونه حرما فلايقدر احد على التعدي له ولمن دخله ، فهوامن من النهب والهتك والقتل، ونظيره امن الطيور والوحوش والنبات فيه ؟

اوالا من التشريعي فلايجوز لاحد هتكه وايذاء الدا خل فيه وان كان جائزا بنفسه كحرمة القصاص فيه ، والصيد وغيره ، اوالاعم من ذلك الظاهر ذلك .

و عاشرها: كونه مباركا والبركة نموالخير وتزايده او ثباته ودوامه ، وهذا الوصف تاره لاجل كون العبادات الواقعة فيها مباركة كثيرة المثوبة والاجر ،كما روى ان الركعة الواحدة في البيت تقابل الف الف ركعة في غيره .

واخرى لان التوجه اليه يكثر ويتزايد ويبقى ويدوم ، فان الصلوات المأتى بها في جميع اقطار الارض تصلى اليها ، وهى تتزايد بسعة افراد المسلمين حينا بعد حين وتدوم وتبقى على التزايد حتى تظهر الدولة الحقه الالهية، و يملاء صاحبها ارض الله قسطا وعدلا ، فيتوجه جميع من على الارض الى البيت الحرام وايضاان

الدوام يتصور في عدم انقطاع الصلاة نحوه في جميع آنات الليل والنهار فان حركة الارض توجب حلول اوقات الصلات لجماعات اهل الارض وقتا بعد وقت وساعة بعد ساعة فلاساعة الا وهم يصلون فقوم يصلون الظهر وآخرون العصر وثالث المغرب وهكذا، فالصلوات مستمرة دائمة،

وثالثة لاجل توجه البركة الدنيوية والمالية نحو البيت كما في قوله تعالى: اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيىء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لايعلمون. (٥٧ القصص)

وحاديعشرها: كفر من ترك حجه قال تعالى و من كفر فان الله غني عن العالمين والكفر هو الجحد او الستر، وكثيراً ما يستعمل في الاول، واستعماله في ترك شكر النعمة لكونه نحوا من جحدها وسترها، والكفر بالاصول، قد يراد به كفر القلب تارة واللسان اخرى والعمل ثالثة، وعلى التقادير فقد يراد الكفر بالاصول، وقد يراد الفروع وينبغي ان يكون المراد به في المقام الكفر بالفروع عملا، وجزاء الشرط محذوف ناب منابه علة، والتقدير فلن يضر الله شيئاً فانه غني عن العالمين.

بسم‌الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ، وصلاته على عباده الذين اصطفى، محمد و آله‌الطيبين الطاهرين

فهذه ابحاث فى التفسير، وفقنا الله لكتابها راجين بذلك مرضاته تعالى . . مع الاعتراف التام ، بأن القرآن، لاتنفد عجائبه ، ولاتفنى غرائبه ، ولايمكن حتى للاوحدى من الناس ، ان يدرك كل معانيه ، اوان يلم بكل مراميه .. فحقائقه دائماً تتجلى وتظهر ، مادام هناك عقل يعمل ، وانسان يتأمل ..

هذا ..ولبعض الظروف القاهرة ، لم نوفق للابتداء الامن اواسط سورة آل عمران .. فهانحن نقدم ماوفقناالله تعالى الى‌القارىء الكريم ، على أمل‌ان تتاح لنا الفرصة للاتمام، مع‌رجائناالاكيد، من كل ناظرفيه ، ومطلع عليه : ان يغض الطرف عن التقصير ، وينبهنا لمايراه مناسباً ، وله منا جزيل الشكر وفائق التقدير ..

ومن الله نستمد الحول والقوة وهوالموفق والمسدد .

علی المشکینی

فهرس الكتاب

الاية ٢٩ ـ آل‌عمران ـ ٣

الانسلاخ عن الزمان فى صفات الذات ٤ ـ سعة علم الله تعالى ٤ ـ العذاب على النية والعقائد والملكات ٥

الاية ٣٠ ـ آل‌عمران ـ ٧

دفع اشكال فى تعلق علم الله باليوم الاخر ٨ ـ النفس وشمولها للانس والجن والملائكة وغيرها ٨ـ حضور العمل وان للانسان كتابان ٩ ـ معنيان آخران لحضور العمل ١٠ ـ يحذركم الله نفسه ورأفته بالعباد ١٠

الاية ٣١ ـ آل‌عمران ـ ١١

حب الله تعالى ١١ ـ مراتح الذنوب ١٣

الاية ٣٢ ـ آل‌عمران ـ ١٤

معنى طاعة الله والرسول ١٤ ـ كيف ينعم الله على الكفار وهو لايحبهم؟ ١٧

الاتيان ٣٣ ـ ٣٤ ـ آل‌عمران

اصطفاء آدم ونوح ١٨ ـ الاب الثانى للبشر ١٩ ـ آل‌ابراهيم واصطفاؤهم على العالمين ٢٢ ـ السميع والعليم ٢٧

الايتان ٣٥ ـ ٣٦ آل‌عمران ـ ٢٨

امرأة‌عمران ٢٨ ـ معانى التحرير ٢٩ـ وليس الذكر كالانثى ـ ٣٠ الاستعاذة

من الشيطان الرجيم ٣١

الاية٣٧-آل‌عمران- ٣٣

حسن قبول الله لمريم ٣٣ - زكريا بتكفل مريم ٣٥ يفعل الله مايشاء ٣٦-
هداية الله واضلاله ٣٧

الاية ٣٨ -آل‌عمران - ٣٩

عصا موسى ٤١ ان الله سميع الدعاء ٤٠ -

الاية ٣٩ -آل‌عمران - ٤٣

اوصاف النبى يحيى ٤٣

الايتان ٤٠ - ٤١ -آل‌عمران - ٤٦

زكريا لايتكلم ٤٧

الايات ٤٢ - ٤٤ آل‌عمران - ٤٨

المخلوقات الاخرى تكلم الانسان ٤٨- ذلك من أنباء الغيب ٥٢

الايتان ٤٥ - ٤٦ آل‌عمران - ٥٣

من يزرع فى الدنيا يحصد فى الاخرة ٥٦ المسيح يكلم الناس فى المهد ٥٨

الايات ٤٧ - ٤٩ آل‌عمران - ٥٩

أم لم تتزوج ٥٩ كلمة الحكمة فى القرآن ٦١ - التوراة والانجيل ٦٤
الاديان خاصة و عامة ٦٥ - المسيح يخلق طيراً ٧٠ - حقيقة الروح ٧٢
المسيح يحيي الموتى ٧٤ - المسيح يخبر بالمغيبات ٧٥ - من خوارق
العادات ٧٧

الاتيان ٥٠ - ٥١ آل‌عمران ٧٨

المسيح لم يأت بدين جديد - ٧٩

الاية ٥٢ آل‌عمران - ٨٤

السفر الى الله ٨٥ انصار الله ٨٦ الاسلام والايمان ٩١ شهاده الله وشهوده

٩٣-الائمة شهداء على الفاسد ١٠٢

الاية ٥٤ آل عمران - ١٠٦

المكر الحسد والمكر الشيء - ١٠٦

الاية ٥٤ آل عمران - ١٠٨

المسيح عليه السلام لم يمت ولكن الله رفعه اليه ١٠٩

اتباع المسيح فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ١١٤ اتباع الانبياء دائماً هم الغالبون ١٢٠

الاية ٥٧ آل عمران - ١٢٤

هل يدخل الكفار الجنة؟ ١٦٢- الصالحات والسيئات ١٣٠ - خلود الكفار فى النار ١٣٤ الاجر معاهدة بين الله والعباد ١٣٨

الايات ٥٩ - ٦١ آل عمران

الدليل الانى والدليل اللمى على وحدانية الله تعالى ١٣٩ - المباهلة والملاعنة ١٤١ - آية المباهلة دليل على احقية على بالخلافة ١٤٤ - بطلان الشورى ١٤٩ - أبو بكر وعمر لم يكونا أهلا للخلافة ١٥٨ - اسئلة حول الشورى ١٦٠ - ادلة اخرى على اختصاص الخلافة بأئمة الشيعة ١٦٤ - الحكومة الاسلامية عند السنة ١٧٨ - الحكومة الاسلامية عند الشيعة ١٨٠ - خلاف بين الشيعة والسنة ١٨٣ - الشيعة وصفات الحاكم ١٨٤ - أموال الامام ١٩٨ -ولاية الامام التكوينية والتشريعية ٢٠٢- لابد للمسلمين من خليفة ٢١٣ - صفات الحاكم ٢٢٥

الاية ٦٢ و ٦٣ آل عمران - ٢٣٧

صفات الذات وصفات الفعل - ٢٣٧

الاية ٦٤ آل عمران - ٢٤٠

الكلمة السواء ٢٤٠ رأى الاناجيل فى المسيح - ٢٤٢

الايات ٦٥ - ٦٨ آل عمران ٢٤٢

ابراهيم خليل الرحمن ٢٤٤ ماكان ابراهيم يهودياً ولانصرانياً - ٢٤٨
الايات ٦٩ - ٧١ آل عمران - ٢٥٢
ضلال وهداية ٢٥٢
الايات ٧٢ - ٧٤ آل عمران ٢٦٠
الايات ٧٥ - ٧٧ آل عمران - ٢٦٥
من هو الامى: ٢٦٦ - الناس عندالله سواء ٢٦٧ - بعض الناس مسلطون على غيرهم ٢٧٠ - ملكية الاموال على انواع ٢٧١
الايتان ٨٦ - ٧٧ آل عمران - ٢٧٩
انواع العهود ٢٧٩ - الذين يشترون بعهد الله ثمناً قليلا ٢٧٢ -
الاية ٧٨ آل عمران - ٢٨٥
الايتان ٧٩ - ٨٠ آل عمران - ٢٨٧
الله واحدوالدين واحد ٢٩٢ - ميثاق الامم ٢٩٣ - من معانى الاسلام ٢٩٥
الايات ٨١ - ٨٥ آل عمران - ٢٩٢
الايات ٨٦ - ٨٩ آل عمران ٢٩٧
اقسام الهداية وانواعها ٢٩٧ - مكفرات الذنوب ٣٠٠ -
الايتان ٩٠ - ٩١ آل عمران - ٣٠٥
الكفار و التوبة ٣٠٥ - الكفار و عذاب الاخرة ٣٠٧ - الكفار و اعمالهم الصالحة ٣٠٩
الايات ٩٢ - ٩٥ - آل عمران
كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل - ٣١٥
الايتان ٩٦ - ٩٧ - آل عمران - ٣١٩
احكام البيت الشريف وصفاته ٣١٩

VETUS & NOVUM TESTAMENTUM
DEI SUB NUMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

Princeton University Library
32101 057499277